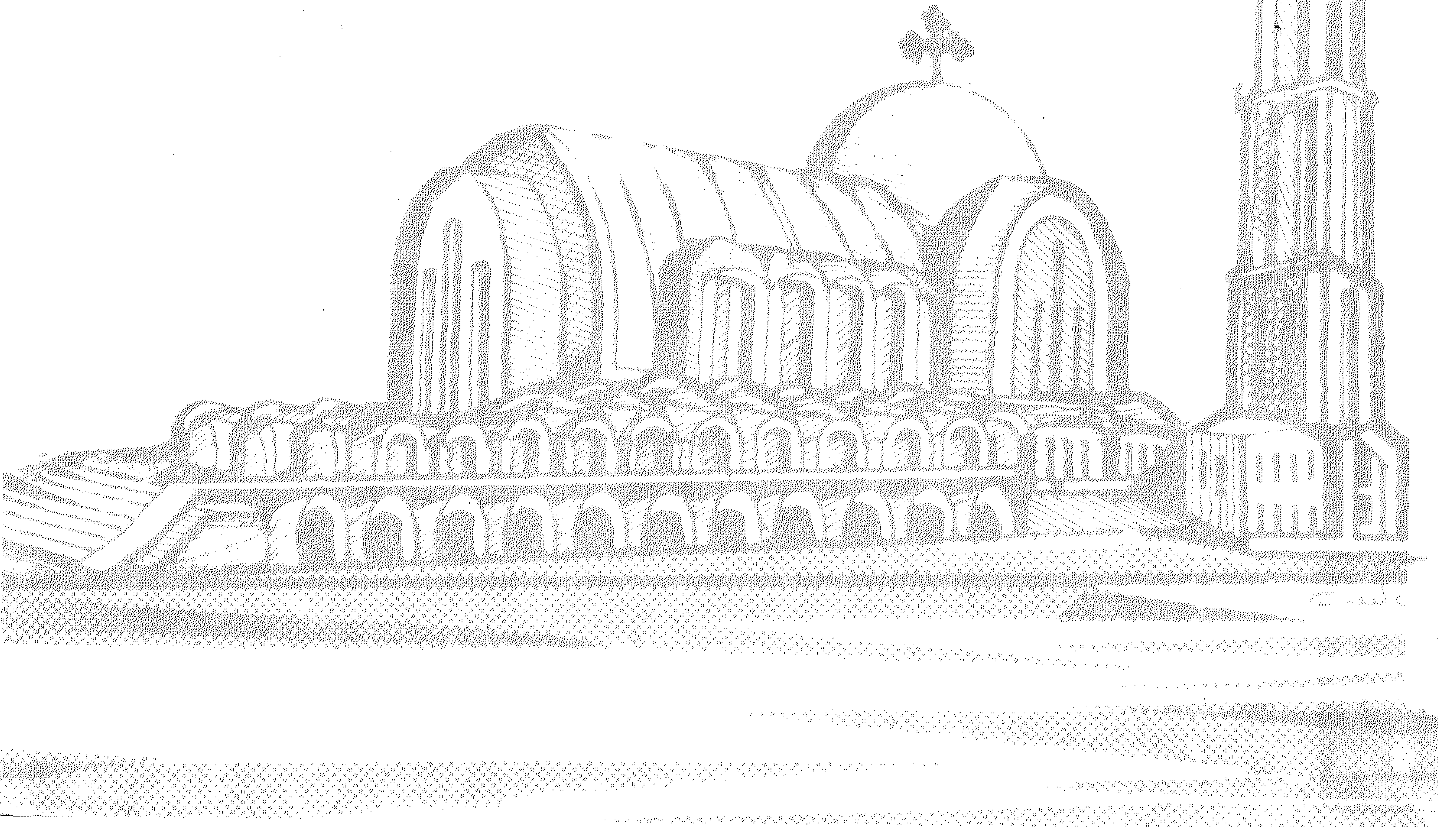
البابا شنوده الثالث

منهج روحي متكامل في رومية ١٢



اهداءات ٢٠٠٢
بطريركية الأقباط الأرثوذكس
الاسكندرية

البابا شنوده الثالث

منهج روحي متكامل
في
رومية ١٢

A Spiritual Complete Curriculum in (Rom. 12)

By H. H. Pope Shenouda III

1st Print — **الطبعة الأولى**

Aug. 2001 — **أغسطس ٢٠٠١**

Cairo — **القاهرة**

الكتاب : منهج روحى متكامل فى رومية ١٢
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية بالعباسية – القاهرة .
الطبعة : الأولى أغسطس ٢٠٠١
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست بالكاتدرائية – العباسية – القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠١/١٠٣٢٤
I.S.B.N. 977 - 5345 - 64 - 2



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الكتاب

توجد بعض إصحاحات في الكتاب المقدس لها شهرة خاصة، ومملوءة بالعظات الكثيرة الهامة .

مثال ذلك الاصحاحات الثلاثة من إنجيل متى (٥، ٦، ٧) التي تشمل العظة على الجبل. وكذلك الاصحاح السادس من إنجيل لوقا.

وأيضاً الاصحاح ١٣ من كورنثوس الأولى الذى يتكلم عن المحبة. والنصف الثانى من الأصحاح الخامس من تسالونيكى الأولى الذى يتحدث عن عظات متعددة. والاصحاح السادس من الرسالة إلى أفسس الذى يتحدث عن إكرام الوالدين، وعن الحروب الروحية. كذلك الاصحاح الرابع من الرسالة إلى فيلبى.

ومن أبرز الاصحاحات التى تحوى عظات كثيرة عميقة ومتتابعة، بل تشكل منهجاً روحياً متكاملاً، هذا الاصحاح ١٢ من الرسالة إلى رومية .

هذا الإصحاح يشمل أكثر من ثلاثين عظة هامة .

وقد كان موضع تأملاتنا فى الكاتدرائية الكبرى على مدى شهور طويلة. وكذلك قمنا بنشره كمقالات متتابعة فى جريدة وطنى فى حوالى ثمانية شهور أو أكثر.

وأخيراً رأينا أن نقدمه لك أيها القارئ العزيز، ككتاب يجمع لك كل تلك العظات وتلك المقالات.

وربما أكون قد تركت بعض فقرات هذا الإصحاح، أو أنها قد أدمجت في غيرها بشئ من التشابه. كما أنني لم ألتزم أحياناً بترتيب بعض الآيات كما وردت في الاصحاح. فأرجو المعذرة.

ونصيحتي لك أن تحفظ آيات هذا الإصحاح، وأن تتعمق في فهم مقالاته بكل ما تحمل من تفاصيل كثيرة.

وأيضاً تدرب نفسك على ما كتبه لنا هذا الرسول العظيم، القديس بولس الرسول، بكل ما تحمل كتاباته من عمق.

وليعطك الرب قوة لتنفذ ما يقوله الروح للكنائس .

يوليو ٢٠٠١ — البابا شنوده الثالث

يبدأ هذا الإصحاح بقول الرسول: "أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله.." .

أطلب إليكم أيهـا الإخوة

إنه تواضع من هذا الرسول العظيم أن يقول : أطلب إليكم أيها الأخوة .

فـالقديس بولـس الرسـول أب كبـير فـى الكنيسـة ورسـول عظيـم . ومـن أولاده بعـض الأساقفة : مثل القديس تيموثاوس أسقف أفسـس، والقديـس تيطـس أسـقف كريـت. بـل مـن تلاميذه أيضاً القديس مـارمرقس الرسول، إذ قد قال عنه القديس بولس "إنه نافع لى للخدمة" (٢تى٤: ١١). والقديس لوقا الإنجيلى أيضاً من تلاميذه (٢تى٤: ١١) (كو٤: ١٤).

تواضع منه إذن أن يقول أيها الأخوة ، متشبهاً بالرب يسوع ...

هذا الذى قال لمريم المجدلية ومريم الأخرى "أذهبا قولا لأخوتى أن يمضوا إلى الجليل هناك يروننى" (مت٢٨: ١٠) . وكرر نفس العبارة فـى (يو٢٠: ١٧). وقيـل عنـه إنـه "لا يستحى أن يدعوهـم أخـوة" (عب٢: ١١) . بـل أنـه لـم يقـل عبـارة (أخوتـى) عـن الرسـل القديسين فقط، بل قالها أيضاً عن الفقـراء المحتـاجين إلـى الطعـام والشـراب والملبـس، إذ يقول للمهتمين بهم "الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠) .

بهذا الأسلوب ، نأخذ فكرة عن التأدب فى معاملة الصغار ...

إننا غالباً ما نحترم الكبار ونكلمهم بأسلوب لائق . ولكن ربما لا نحترس فى الأسلوب

الذى نتخاطب به مع الأطفال والصغار ومع الفقراء والخدم . وبخاصة لو خاطبناهم دائماً بألفاظ الأمر أو الإنتهار .

بينما كل كلمة احترام وتقدير نقولها للصغير فى سنه أو فى مركزه، تترك بلاشك تأثيراً كبيراً فى نفسه، ويقابلها بكل حب وإعزاز، ويحاكيها أيضاً فى تعامله مع غيره. ليتنا إذن نستعمل مع الصغار عبارات مثل : لو تسمح، عن أذنك، من فضلك، أشكرك.. وغير ذلك من عبارات المجاملة والتقدير وما إلى ذلك ...

يقول الرسول : أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله ...

إنه لا يقول : آمركم بالسلطان المعطى لى كرسول ، كرئيس كهنة وكرئيس أساقفة.. كلا إنها ليست مسألة أوامر أو سلطة. وإنما أنا أطلب إليكم برأفة الله، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة .

الجسد :

لقد كان أهل رومية واقعين فى نجاسات جسدية كثيرة، تعرّض لها القديس بولس فى الإصحاح الأول من رسالته إليهم. وهوذا الآن قبل أن يصل إلى ختام رسالته يطلب إليهم برأفة الله أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة .

لقد تحدث القديس كثيراً عن الجسد فى الرسالة إلى رومية :

وبخاصة فى الإصحاح الثامن منها ، الذى يبدأ بأهمية السلوك حسب الروح، وليس حسب الجسد. والذى يقول فيه : إن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله.. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله.. إذن أيها الأخوة ، نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد، فستحيون"" (رو٨: ٦- ١٣). ويقول فى الإصحاح السابق : "ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت" (رو٧: ٢٤) .

ويتحدث الرسول عن الجسد أيضاً فى رسائل أخرى ، فيقول :

"أسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل٥: ١٦) "الذين هم للمسيح، قد صلبوا الجسد مع الأهواء" (غل٥: ٢٤). "من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع

للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل٦: ٨). ويقول كذلك "أقمع جسدى وأستعبده. حتى بعد ما كرزت لآخرين، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً" (١كو٩: ٢٧) .

ومن الناحية الإيجابية، يقول "الجسد.. للرب" (١كو٦: ١٣) .

ويقول "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح" (١كو٦: ١٥) . ويقول "..قد أشتريتم بثمن. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم، التى هى لله" (١كو٦: ٢٠). وكيف إذن نمجد الله فى أجسادنا؟ وكيف تكون أجسادنا للرب؟ الجواب هو هذا: قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة .

قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة

ليست كالذبائح التى تُذبح فتموت، بل ذبيحة حية .

تكون ذبيحة وهى حية، بأن نصلب الجسد مع الأهواء، ونقدمه قرباناً طاهراً لله. نمجد الله بالجسد، ونمجد الله ونحن فى الجسد أحياء. وذلك بأن نخضع الجسد ونستعبده. نخضعه للروح. ونستعبده بأن يكون مطيعاً لرغبات الروح كما يطيع العبد سيده. وكما قال الشاعر :

سأطيع الله حتى لو أطعت الله وحدى
طاعة للروح لا للجسم، إن الجسم عبدى

✠ ✠ ✠

فهل أجسادكم هى مادة للترفيه والمتعة، أم هى ذبيحةٌ مقدسة ؟

هل أجسادكم تتعب من أجل الرب، وتحتمل ذلك فى فرح؟ وبهذا تكون فى تعبها ذبيحة حية.. هل هى تقبل أن تتعب فى الصوم والنسك، وتكون فى صومها ونسكها ذبيحة مقدسة؟ هل أجسادكم تتعب فى الوقوف فى الصلاة، وفى الركوع والسجود، وفى سهر الليل فى العبادة؟ أم هى تفضل الراحة والاسترخاء أو النوم!

وهل أنتم تقدمون أجسادكم ذبيحة، فى صلب الأهواء والشهوات، ذبيحة يتنسم الله منها رائحة الرضا (تك٨: ٢١) .. تقدمونها أجساداً هى أعضاء المسيح، تفوح منها رائحة المسيح الزكية (٢كو٢: ١٥) وهو "يُظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان" (٢كو٢: ١٤) .

✠ ✠ ✠

كم من أجساد تعبت فى الخدمة، وكانت ذبيحة حية مقدسة .

تعبت فى الانتقال من مكان إلى آخر ، لأجل الكرازة وبناء الملكوت، كما فعل القديس بولس الرسول "بأسفار مراراً كثيرة" (٢كو١١: ٢٧). "فى تعب وكدّ" "فى أتعاب فى أسهار فى أصوام" (٢كو٦: ٥). وكما قال "حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا. لأننا نحن الأحياء نسلّم دائماً للموت.." (٢كو٤: ١٠، ١١) .

فهل أنت تُتعب جسدك فى الخدمة فى الإفتقاد ؟ فى إراحة التعابى، فى السعى وراء الضال كما تعب السيد المسيح من السفر لهداية المرأة السامرية (يو٤: ٦) .. هل يتعب جسدك فى احتمال اضطهادات من أعداء الإيمان، كما احتمل يوحنا الحبيب عذابات كثيرة ونفياً إلى جزيرة بطمس. وكما احتمل بولس الرسول من اليهود خمس مرات أربعين جلدة إلا واحدة، ورجموه مرة . وكان فى الضربات أوفر، وفى السجون أكثر، وفى الميتات مراراً كثيرة (٢كو١١: ٢٣- ٢٥). فقدّم جسده ذبيحة حية مقدسة ..

✠ ✠ ✠

إن الأجساد التى تعبت لأجل الرب، وقدّمت ذاتها ذبيحة حية، رفع الله قدرها وجعلها بركة للأجيال ..

وهكذا فعل مع جسد القديس العظيم الأنبا بيشوى، ومع رفات قديسين كثيرين نتبارك بها. ومع عظام أليشع النبى التى لمسها جثمان ميت فقام (٢مل١٣: ٢١) . وهكذا فعل الرب أيضاً مع جسد القديس بولس الرسول وهو حىّ "حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول عنهم الأمراض، وتخرج منهم الأرواح الشريرة" (أع١٩: ١٢) . إنها مناديل لمست جسداً كان ذبيحة حية مقدسة..

✠ ✠ ✠

كان الرب يبارك تلك الأجساد المقدسة، فى حياتها وفى موتها .

فموسى النبى بعد أن تكلم مع الرب: لما نزل من الجبل ، كان وجهه يلمع، حتى أن بنى إسرائيل لم يستطيعوا النظر إلى وجهه، وخافوا أن يقتربوا إليه، فجعل على وجهه برقعاً (خر٣٤: ٢٩- ٣٥) . وأكرم الرب موسى وإيليا فظهرا معه على جبل التجلى. حتى قال بطرس الرسول "جيد يارب أن نكون ههنا. فلنصنع ثلاث مظال. لك واحدة، ولموسى واحدة، ولإيليا واحدة" (مر٩: ٤، ٥). وأكرم الرب أجساد شهداء كثيرين، وأكرم جسد القديس الأنبا رويس، الذى بُنيت الكاتدرائية فى بركته .

وقديسون كثيرون كان الرب يكرمهم في ساعة موتهم، فكانت تفوح وقتذاك رائحة بخور، أو تبدو وجوههم بشوشة وكأنها مبتهجة بلقاء الموت، أو يظهر نور وقت خروج أرواحهم..

والقديس اسطفانوس الشماس مثال رائع في قصة موته ...

يقول الكتاب إنهم "رأوا وجهه كأنه وجه ملاك" (أع٦: ١٥). وأنه وقت استشهاده "شخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله، ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله" (أع٧: ٥٥، ٥٦).

هؤلاء القديسون الذين قدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة، صارت عظامهم بركة، بل كل ما يتعلق بهم أصبح بركة ...

إن وجد شئ من ثيابه يعتبر بركة، مثل القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة، الذى كان يتبارك من يلمس ولو هدب ثوبه. بل إن القديس بطرس الرسول: كانوا يحملون المرضى إلى الشوارع، حتى "إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم.. فيبرأون جميعهم" (أع٥: ١٥، ١٦).



ما أجمل أن نقرأ قصص القديسين، وكيف قدّموا أجسادهم ذبيحة !

أقرأوا قصص الآباء السواح والنساك والمتوحدين، وتأملوا كيف كان جهادهم، وكيف دشنوا البرية بعرقهم ودموعهم. حتى أصبح يتبارك من يطأ الأرض التى داسوها بأقدامهم، أو من يزور الأماكن التى قدّسوها بصلواتهم. فيشتهى الروحيون أن يزوروا مغارة القديس الأنبا أنطونيوس، أو مغارة الأنبا صموئيل المعترف، أو منسك الأنبا سمعان العمودى.

هم قدّموا أجسادهم ذبيحة حية. حتى أن الرب قال للقديس الأنبا بولا الطموهى – فى جهاده الروحى – "كفاك تعباً يا حبيبى بولا" فأجابه القديس "ما هو تعبى يارب، إلى جوار آلامك من أجلنا؟!" ...



والآن، ماذا فعلنا نحن، لنقدم أجسادنا ذبيحة حيةٍ مقدسة ؟!

إن الناس – للأسف الشديد – يهتمون بالجمال الشكلى للجسد، ولا يهتمون بطهارة الجسد وقداسة الجسد!

فيصبحون كما قال السيد المسيح عن الكتبة والفريسيين : كالقبور المبيضة من الخارج، ومن الداخل مملوءة عظاماً وكل نجاسة (مت٢٣: ٢٧). كل همهم هو الإهتمام بنظافة الجسد، بالإستحمام والعطور وأناقة الملابس. ويهتمون بالجسد من جهة شهى الطعام والشراب، كما يهتمون بالمظهر الخارجي.. ويندر من ينفذ قول الرسول : قدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة! ما أسهل أن يكون الجسد كالمكوك فى حركته، وكالموتور فى جريه ونشاطه، وكالتمثال الرائع فى جماله! ولكن متى يكون ذبيحة حية؟!

متى نهتم بعفة الجسد وحشمته ؟ ويتعب الجسد وبذله؟ وبطهارة الجسد وقدسيته؟ ومتى نهتم بإشتراك الجسد مع الروح حينما تقدم الروح ذاتها ذبيحة .

✠ ✠ ✠

الناس يهتمون بما يعطونه للجسد ، وليس بما يعطيه الجسد لله .

الشهداء قدموا أجسادهم ذبيحة دموية. فعلى الأقل علينا أن نقّدم أجسادنا ذبيحة حية. فلا نركز اهتمامنا باحيتاجات الجسد، إنما بما يقدمه الجسد لأجل أحتياجات الروح. ونعوّد أجسادنا باستمرار أن تبذل . وأن تتسامى عن شهوات الحواس . فقد قال القديس يوحنا الرسول: "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم، شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة.. والعالم يمضى، وشهوته معه" (١يو١٥- ١٧) .

✠ ✠ ✠

هل تُرى كان سليمان الحكيم حكيماً، حينما قال "ومهما اشتهته عيناى، لم أمسكه عنهما!!" (جا٢: ١٠) .

إنه لما لم يقدّم جسده ذبيحة حية مقدسة، انتهى به الأمر إلى مساعدة زوجاته الكثيرات على تقديم ذبائح لآلهة غريبة!! ولم يكن قلب سليمان كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (١مل١١: ٤).. ووجد أخيراً أن الكل باطل وقبض الريح (جا٢: ١١) .

ترضى الله عبادتكم العقلية
ولا تشاكلوا أهل هذا الدهر

يقول الرسول : فيما تقدمون أجسادكم ذبيحة حية مقدسة.. تكون "مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو١٢: ١) .

العبادة العقلية :

تعنى أولاً أنها لا تكون مجرد عبادة بالجسد .

بحيث يركع الجسد فى الصلاة ويسجد ويرفع يديه ونظره إلى فوق، بينما يكون عقله بعيداً، وبالتالى يكون قلبه بعيداً!! كما قال الرب عن اليهود "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (أش٢٩: ١٣) (مت١٥: ٨). بل ينبغى أن يكون العقل فى نفس الوقت مركزاً فى الله .

كذلك الصوم لا يكون مجرد صوم بالجسد، بعيداً عن ضبط النفس، وعن تذلل النفس، بل يكون صوماً روحياً، يدرك فيه العقل تماماً معنى الصوم. إذ تصوم النفس فيما يصوم الجسد..

من أهم عناصر العبادة العقلية ، عنصر الفهم .

كما يقول الرسول "أصلى بالروح، وأصلى بالذهن أيضاً. أرتل بالروح، وأرتل بالذهن أيضاً" (١كو١٤: ١٥) . ذلك لأن هناك كثيرين يقولون كلاماً كثيراً فى صلواتهم، وهمْ لا يفهمون معنى ما يقولون . أو قد يرددون الصلاة الربية مرات عديدة، دون أن يدخلوا إلى عمق عبارة واحدة من طلباتها. وعلى رأى ماراسحق حينما قال "إذا ما حوربت بهذا، قل: أنا ما وقفت أمام الله لكى أعدّ ألفاظاً" !!

من هنا كان لابد من الفهم والتأمل وإدراك معنى ما نقول ..

✠ ✠ ✠

وحينما نذكر العبادة العقلية؛ لا نعنى مطلقاً أنها تكون بالعقل فقط، بدون اشتراك القلب مع العقل !!

وإنما المقصود أن العقل يكون باباً للقلب. فما يدركه العقل فى عبادته، يتحول إلى مشاعر فى القلب يلتهب بها. ولعل هذا ما ينبه إليه الأب الكاهن فى أول القداس. حينما يقول للمصلين "أين هى قلوبكم؟ فيجيبونه "هى عند الرب" .

المفروض أن يكون القلب عند الله فى وقت العبادة. لأن الكتاب يقول "ذبيحة الأشرار مكرهة للرب، وصلاة المستقيمين مرضاته" (أم١٥: ٨). إذن يهمنا أن تكون عبادتنا مرضية لله .

مرضيّة لله :

يقول الرسول "مرضية عند الله عبادتكم العقلية" . لأنه توجد عبادات كثيرة قد رفضها الله، مثل صلاة الفريسى المفتخر (لو١٩). وصلوات الكتبة الذين "لعلة يطيلون صلواتهم" (مر١٢: ٤٠) . ومثل الذين قال لهم الرب فى أول سفر أشعياء النبى "حين تبسطون أيديكم، استر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة، لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً" (أش١: ١٥) . لهذا نقول للرب فى صلواتنا :

"فلتدنُ وسيلتى قدامك .. لتدخل طلبتى إلى حضرتك" (مز١١٩: ١٧٠) .

نطلب أن تكون صلواتنا مقبولة منه، تستحق أن تدخل إلى حضرته. فيكون راضياً عنها، مثلما قيل عن محرقات أبينا نوح بعد رسوّ الفلك "فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضاً.." (تك٨: ٢١). نعم، هذه هى الذبيحة المقبولة التى قيل عنها مرات إنها "رائحة سرور للرب" (لا١: ٩، ١٣، ١٧) .

✠ ✠ ✠

قد يرضى الإنسان أحياناً عن عبادته ، بينما الله لا يرضى!

قد يرضى المرتل عن ألحانه ، بسبب جمال صوته أو إتقان أدائه، بينما لا يرى الله اللحن خارجاً من قلب المرتل، فلا يرضى عنه. أو قد يكون هدف المرتل هو إرضاء الناس وكسب إعجابهم ، وليس هدفه هو الله، بل الذات والناس! فلا تكون عبادته مرضية لله. وهكذا كانت عبادة المرائين (مت٦) ..

العبادة المرضية لله هى التى تصدر من القلب، كما تستحوز أيضاً على العقل، وتكون موجهة إلى الله وحده بحب، بعيدة عن إرضاء الناس أو كسب مديحهم أو أعجابهم .

وبعد أن تحدث الرسول عن صفات وهدف العبادة، قال :

ولا تشاكلوا هذا الدهر :

ولم يقصد الدهر الذى عاش هو فيه، إنما الدهر بصفة عامة. مثلما طلب داود النبى قائلاً "وأنت يارب تنجينا وتحفظنا من هذا الجيل.." (مز ١٢: ٧) . ونحن نصلى بهذا المزمور، وليس فى ذهننا جيل داود، إنما كل جيل نعيش فيه ..

لا تشاكلوا هذا الدهر، أى لا تصيروا شكله، مثله ...

لا تكونوا شبهه. لا تتبعوا هذه الدنيا كما هى. إن سارت شرقاً تسيرون شرقاً، وإن سارت غرباً تسيرون غرباً. لا تعيشوا فى العالم كأهل العالم. فالكتاب يقول "لا تحبوا العالم، ولا الأشياء التى فى العالم" (ايو٢: ١٥). ويقول أيضاً إن "محبة العالم عداوة لله" (يع٤: ٤).

✠ ✠ ✠

لذلك لا تشاكلوا هذا الدهر ، لأنكم غرباء على الأرض .

وهكذا يقول المرتل فى المزمور "غريب أنا فى الأرض، فلا تخفِ عنى وصاياك" (مز١١٩: ١٩) وقال "لأنى أنا غريب.. نزيل مثل جميع آبائى" (مز٣٩: ١٢) . وما أجمل وأعمق قول السيد الرب لتلاميذه "لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا أخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم" (يو١٥: ١٩) .

فمادمتم لستم من العالم، لذلك لا تشاكلوا هذا الدهر .

أنتم لستم مثله . فلا تعيشوا بأسلوبه ، بل كغرباء عنه . أنتم لا تنتمون إليه، بل قد أفرزكم الرب منه . فإنكم لو كنتم تشاكلون هذا الدهر، لصرتم أرضيين مثله، عالميين!.. بينما أنتم روحيون، لكم طابعكم الخاص الذى يميزكم ..

✠ ✠ ✠

عندما قال القديس بولس الرسول "لا تشاكلوا هذا الدهر" ، لم يقل هذه العبارة للرهبان، بل لأناس يعيشون فى العالم .

حقاً، هناك رهبان ومتوحدون وسواح، تركوا الدنيا وكل ما فيها من ضجيج وشهوات وعثرات، وسكنوا فى حياة الوحدة مع الله، ولم يشاكلوا ذلك الدهر. ولكن القديس بولس لم يكتب لأمثال هؤلاء ، إذ لم تكن هناك رهبنة فى تلك الأيام. إنما هو كتب لأهل رومة

المدينة الصاخبة المستبيحة، ولأمثالها ..

وعندما قال السيد المسيح "أنتم لستم من العالم" ، لم يكن يكلم رهباناً، إنما كان يكلم أناساً يعيشون فى الدنيا، قال عنهم لله الآب "لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير" (يو١٧: ١٥) .

✠ ✠ ✠

المقصود إذن أن يعيش الإنسان فى العالم، بدون أن يندمج فى العالميات، ودون أن يأخذ طابع العالم نفسه، ولا أن تستهويه الحياة الدنيا، ولا يجرفه التيار الذى جرف كثيرين ...

وقد لخص القديس بولس هذا كله فى عبارة واحدة فى رسالته الأولى لأهل كورنثوس، قال فيها إنه يكون "الذين يستعملون العالم، كأنهم لا يستعملونه" (١كو٧: ٣١) .

وهكذا يعيش الإنسان فى العالم، دون أن يعيش العالم فى قلبه. يذكرنى هذا بقول أحد القديسين فى بستان الرهبان "إذا مضيت إلى موضع، فلا تجعل نفسك من أهل ذلك الموضع". أى لا تندمج فيه، وتصبح مثل أهله فى كل شئ، وكأنك واحد منهم .

✠ ✠ ✠

أنت لست من أهل هذا العالم. أنت ابن الله، إنسان روحى، لك مبادئ وقيم تحرص عليها، ليست من شاكلة هذا الدهر ...

أسلوبك ليس مثل أسلوب باقى الناس، ولا لغتك كلغتهم، ولا هدفك ولا وسائلك مثل أهدافهم ووسائلهم. كما قيل عن القديس بطرس إن لغتك تظهرك" (مت٢٦: ٧٣) .

حقاً إنك لست من هؤلاء ، كما قال الشاعر :

لست منهم هم جسوم بينما	أنت روح فرّ من تلك السجونْ
هل ترى العالم إلا تافهــاً	يشتهى المتعـة فيه التافهـــونْ
كل ما فيه خيـالٌ يمّحـــى	كل ما فيه سيفنى بعــد حيــنْ

وهنا أحب أن أسأل كل واحد منا : هل كل من يراك، يمكنه بسهولة أن يفرّق ويميز بينك وبين غيرك من أهل العالم؟

✠ ✠ ✠

هوذا القديس يوحنا الرسول يقول عبارة حاسمة وهى :

"بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد ابليس (ظاهرون) (١يو٣: ١٠) .

ظاهرون فى كل شئ . مميزون فى طريقة كلامهم وتعاملهم، وفى اختيار الألفاظ التى

يستخدمونها. هم مميزون أيضاً فى ملابسهم ، وفى نوعية ترفيهاتهم، وفى زينتهم. مميزون فى زينة بيوتهم أيضاً. هم أيضاً مميزون فى طرقهم الخاصة للوصول إلى أغراضهم..

إنسان مثلاً له زملاء كثيرون فى عمله ، ولكنه لا يشاكلهم فى أساليبهم. هم يتأخرون عن المواعيد، ويكتبون زوراً فى دفتر المواعيد. هم يغيبون ثم يقدمون شهادات مرضية دون أن يمرضوا. هم يخطئون ويغطون أخطاءهم بأعذار وأكاذيب.. أما هذا الإنسان الروحى ، فهو لا يفعل شيئاً من كل هذا. لا يشاكل هذا الدهر ..

✠ ✠ ✠

سأضرب لكم مثلاً باثنين ، هما ابراهيم ولوط: أحدهما ابتعد عن أهل الدنيا، والآخر أندمج معهم .

أبونا ابراهيم عاش مع الله فى البرية، ملتزماً بحياة الخيمة والمذبح . أما لوط فعاش مع أهل سادوم فى الأرض المعشبة. أختلط بهم وصاهرهم . كان "مغلوباً من سيرة الأردياء فى الدعارة. إذ كان البار - بالنظر والسمع ، وهو ساكن بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٧، ٨) .

وبينما احتفظ أبونا ابراهيم بهيبته الروحية وقوة شخصيته، فإن لوطاً لما ذهب لينذر الناس بحرق سادوم "كان كمازح فى أعين أصهاره" (تك١٩: ٤) ، إذ لم يتعودوا منه كلمة روحية من قبل، ولا حين دافع عن الملاكين من شرّهم (تك١٩: ٨) .

يجب أن يظل أولاد الله مميزين عن العالم. ويبقى للكنيسة طابعها الروحى الذى تتميز به على الدوام .

✠ ✠ ✠

نقول هذا ، لأن البعض يريد أن الكنيسة تتزوج العالم ويصير زيتهم فى دقيقهم، وتتعلم الكنيسة الطرق العالمية !!

كلا ، فإن كلمة الرسول واضحة : لا تشاكلوا أهل هذا الدهر . فإن لجأت الكنيسة إلى أساليب العالم فى تصرفات أعضائها، فإنها تفقد صورتها الإلهية، وتفقد هيبتها الروحية .

من أجمل العبارات التى قيلت فى سفر النشيد التى فيها يتميز ابن الله عن الباقين، هى قول عذراء النشيد : **"حبيبى .. معلّم بين ربوة" (نش٥: ١٠)** .

أى أنه يكون مميزاً ولو وسط عشرة آلاف . قيل هذا عن السيد المسيح ، وأيضاً يقال عن كل ابن لله. لأن الرب قد ترك لنا مثالاً (يو٣: ١٥). فينبغى أنه كما سلك ذاك، نسلك

نحن أيضاً (١يو٢: ٦) .

✠ ✠ ✠

من أمثلة الذين كانوا مميزين : يوسف الصديق، وموسى النبى .

كل منهما عاش فى أرض مصر، وسط عبادات غريبة، ولكنه احتفظ بأسلوبه الروحى، وبعبادته لله دون أن ينحرف .

يقول مثل غير سليم "من عاشر قوماً أربعين يوماً، صار مثلهم"! ولكن موسى النبى عاشرهم أربعين سنة، ولم يصر مثلهم .

لذلك ، لا يقل أحد "الدنيا كلها ماشية كدا" !!

فلو كان الكل هكذا، لا تكن أنت مثلهم. فقد قدّم لنا الكتاب أمثلة رائعة فى هذا المجال، منها دانيال النبى والثلاثة الفتية فى أرض السبى. وهكذا نقرأ تلك العبارة الجميلة المؤثرة "أما دانيال ، فجعل فى قلبه أنه لا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه" (دا١: ٨) .

✠ ✠ ✠

لذلك مهما كانت الظروف المحيطة بك مغايرة: كن كوردة وسط الشوك، ومثل جزيرة وسط المياه، وكالقمح وسط الزوان ..

إن الوردة تبقى وردة، لا تغير طبيعتها، مهما أحاط بها الشوك. والجزيرة أيضاً تبقى كما هى. تحيط بها المياه من كل جانب، ولكن المياه لا تغمرها. وهكذا الحنطة أيضاً لا تصير زواناً، مهما أحاط بها الزوان.. وبنفس المثال ، الكنيسة : يحيط بها العالم من كل اتجاه. ولكن العالم لا يستطيع أن يدخل إلى مبادئها وأساليبها. فالرسول يقول : لا تشاكلوا هذا الدهر .

✠ ✠ ✠

منذ القديم منع الله الخلطة بالأشرار ، وتقليدهم .

منع الاختلاط بالأمم، والتزاوج معهم. ولما حدث أن سليمان الحكيم خالف هذه القاعدة، وأتخذ له نساء غريبات، قيل فى تاريخه "وكان فى أيام شيخوخة سليمان، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه..!!" (١مل١١: ٤).

لا يجوز أن تعتقد أن أهل هذا الدهر فى مستوى أعلى وأسمى، يدعوك أن تقلدهم !!

كلا ، بل اشعر بسمو مبادئك وقيمك وروحياتك . وكن قوياً تدعو أهل العالم أن يقلدوك. وإن لم تستطع، فعلى الأقل ضع أمامك قول الرسول "لا تشاكلوا هذا الدهر" .



كيف لا نشاكل هذا الدهر المادى، ونحن بشر فى تركيب طبيعتنا عنصر مادى وهو الجسد ؟



هو أنك لست كلك مادة، ولست كلك جسداً. وإنما فى تركيب طبيعتك الروح أيضاً، وهى عنصر يتميز بالسمو. والروح هى التى خُلقت على شبه الله ومثاله (تك١: ٢٦). إذن أنت لست مجرد تراب أو طين، بل قد نفخ فيك الله نفخة قدسية حين خلقك، فصرت نفساً حية. وعن هذا الأمر قيلت هذه الأبيات :

ما أنا طين ولكن	أنا فى الطين سكنتُ
لستُ طيناً ، أنا روحٌ	من فم الله خرجتُ
وسأمضى راجعاً لله	أحيا حيث كنتُ

فإن كان فيك عنصر مادى، لا تجعل المادة تسيطر عليك .

إن الروح التى فيك، هى بطبيعتها أقوى من الجسد . ويمكنها أن تقهر الجسد وتخضعه. كما قال القديس بولس الرسول : "أقمع جسدى وأستعبده. حتى بعدما كرزت لآخرين، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً" (١كو٩: ٢٧). وكما قال أيضاً "لكن الذين هم للمسيح، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل٥: ٢٤) .

حقاً ، إن الذين – فى سمو أرواحهم – قد صلبوا الجسد مع الأهواء، لا يمكن أن يشاكلوا هذا الدهر .



ذلك لأن العنصر المادى فى طبيعتهم أصبح منضبطاً، تقوده الروح. فيصبح الإنسان –

وهو فى الجسد – لا يسلك حسب الجسد، بل يستخدم الجسد فى العمل الروحى ، ويدربه على ذلك ويروّضه .. المهم أى نوع من الجسد هو جسدك ؟

✠ ✠ ✠

وهنا سأضرب لك مثالاً بالحديد والمغناطيس .

من طبيعة الحديد أن ينجذب إلى المغناطيس. ولكن الذهب لا ينجذب إليه. فلو كنت ذهباً لا حديداً، فلا تخف إذن من المغناطيس، إنه لا يستطيع أن يجذبك إليه ...

لا تقل المادة فى العالم كالنار فى قوتها، تحرق كل شئ.. وأقول لك: حقاً إن النار تستطيع أن تحرق القش والورق والعشب، وحتى الخشب. ولكنها لا تحرق الذهب والأحجار الكريمة، بل تنقيها من شوائبها.. لذلك كن قوى القلب .

ولا تجعل فى نفسك شيئاً ينجذب إلى العالم .

كن كمدينة محصنة، لا يستطيع العدو أن يدخل إليها . كسفينة سليمة، ليس فيها ثقب، تدخل منه مياه البحر لتغرقها. كن كما قيل عن عذراء النشيد "أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش٤: ١٢) .

✠ ✠ ✠

واعرف إنه إذا لم يكن فى داخلك ما يشاكل هذا الدهر، وما ينجذب إليه، فلن تستطيع الإغراءات الخارجية الكثيرة التى لهذا الدهر أن تؤثر عليك لتصير على شاكلتها .

انتصر إذن على المادة، كما انتصر عليها القديسون .

لست أعنى أن تترك العالم وتذهب إلى الدير ! كلا، بل تنتصر على العالم وأنت فيه. لأن الذى يهزمه العالم، حتى إن ذهب إلى الدير، سينهزم هناك أيضاً .



أهل العالم يحتقرون من لا يشاكلهم. ويقولون عليه إنه متخلف، ومقفل، مع صفات أخرى مماثلة ...



لا تأبه برأى أهل العالم فيك. طبيعى أنهم يهاجمون من لا يشاكلهم. أما أنت فلا تغير منهجك الروحى، بسبب انتقادات أهل العالم. لا تكن سهل الاستثارة، ولا من النوع الذى

يتبدل فى سلوكياته لكى يرضى الناس. هوذا القديس بولس الرسول يقول "لو كنت بعد أرضى الناس، لم أكن عبداً للمسيح" (غل١: ١٠) .

✠ ✠ ✠

لا تؤثر فيك انتقاداتهم، فقد انتقدوا المسيح من قبل.

انتقدوه بسبب فعل الخير فى السبوت. فما توقف عن فعل الخير فى يوم السبت بسبب انتقاداتهم. بل بكل قوة الشخصية أثبت لهم أنه "يحل فعل الخير فى السبوت" (مت١٢: ١٠). وهكذا شفى صاحب اليد اليابسة فى يوم السبت (مت١٢: ١١). ومنح البصر للمولود أعمى فى يوم سبت (يو٩). وأقام لعازر من الموت فى يوم سبت (يو١١).

قالوا عنه إنه "ببعلزبول يخرج الشياطين (مت١٢: ٢٤). فهل امتنع عن أخراج الشياطين بسبب أدعاءاتهم؟! كلا، بل ردّ عليهم وأفحمهم. واستمر "يجول يصنع خيراً، ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس" (أع١٠: ٣٨). وشتموه قائلين "ألسنا نقول حسناً: إنك سامرى وبك شيطان" (يو٨: ٤٨). ولم يأبه بما يقولون .. تذكرون إذن قوله :

إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس؟! (لو٢٣: ٣١) .

وهكذا يقول السيد الرب "إن كان العالم يبغضكم ، فأعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم.. ليس عبد أعظم من سيده" (يو١٥: ١٨، ٢٠) .

ولكن لا تجعلوا انتقادات العالم تحولكم إلى الشك فى روحياتكم وفى صحة قيمكم السامية . ليكن الحق الذى فيكم أقوى من نقدهم...



يقولون : كيف يقول الرسول "لا تشاكلوا هذا الدهر" ، بينما هو نفسه قد قال : صرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس، لأربح الذين تحت الناموس.. صرت للكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً (١كو٩: ٢٠- ٢٢) .



هو أن عبارة القديس بولس هذه ، قد قيلت بقصد آخر لا علاقة له بموضوع [لا تشاكلوا هذا الدهر] .

فهو يقصد أنه يتكلم مع اليهود كارزاً بالإيمان باستخدام ما ورد فى الكتاب من نبوءات ورموز، بينما اليونانيون الذين بلا ناموس لا يؤمنون بهذه النبوات والرموز، فهو يكرز بينهم مستخدماً الفلسفة والعقل ليقنعهم . وهكذا يحاول توصيل الإيمان إلى كل أحد بالطريقة التى تناسبه .

ولكن ليس معنى هذا أنه صار شكل اليهود فى أعيادهم وطقوسهم وذبائحهم الحيوانية وقواعد النجاسات والتطهير عندهم!! لأنه من المعروف أن القديس بولس الرسول حارب بكل قوة حركة التهود التى أراد اليهود أن ينشروها فى المسيحية بعد إيمانهم. وقال بكل صراحة "لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التى هى ظل الأمور العتيدة" (كو٢: ١٦، ١٧) . وحارب مراراً وتكراراً كل "أعمال الناموس"، وبخاصة فى رسالته إلى رومية وفى رسالته إلى غلاطية . إذن هو طبّق على نفسه عبارة "لا تشاكلوا هذا الدهر" من جهة ما يتمسك به اليهود من أعمال الناموس. ووبخ القديس بطرس فى إحدى المرات واتهمه فى هذه النقطة إنه سلك مسلكاً ريائياً (غل٢: ١٣). وقال إن "الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس" (غل٢: ١٦) .

تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم

بعد هذا يقول الرسول "تغيروا عن شكلم ، بتجديد أذهانكم" (رو١٢: ٢) . فيريد لهم. تغييراً مبنياً على تجديد داخلى .

تغيروا عن شكلكم :

المؤمن الذى يسير فى طريق الله ، لابد أن يتغير .

يصبح مخلوقاً جديداً فى المسيح يسوع. كما قال الرسول "الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" "إن كان أحد فى المسيح، فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧)..

تجده أصبح جديداً فى كل شئ. كل ما فيه قد تغير، حتى شكله الخارجى. لم يعد مثل شكل أهل العالم. ملامحه، نظراته، ألفاظه، أسلوبه فى الكلام. حتى ملابسه، زينته. كل أنواع ترفيهاته. الكل قد تغير، وكأنه إنسان جديد، قد إكتسى بمسحة جديدة من الحياة التى أصبح يعيشها مع الرب ...

القديس بولس الرسول يكتب هنا إلى أهل رومية، إلى هذه المدينة الكبيرة الصاخبة المستبيحة، الحافلة بكل ألوان الفساد (رو١) . يقول للمؤمنين فيها، تغيروا عن هذا الشكل الرومانى، ولا تشاكلوا فساد هذا الجو. ولكن كيف ؟

إنه لا يريده مجرد تغيير شكلى خارجى. بل يريد أن يكون تغييرهم نتيجة لعمل باطنى، بتجديد أذهانهم..

بحيث يكون الشكل الخارجى الذى تغير، ليس مجرد مظهر خارجى، كالذين ينقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة" (مت٢٣: ٢٥). إنما يريد التغيير الداخلى أولاً، بتجديد أذهانهم. بتغيير قيمهم ونظرتهم إلى الحياة. نعم، بتغيير فكرهم

بحيث يقولون "أما نحن فلنا فكر المسيح" (اكو٢: ١٦) .

التغيير الداخلى معناه الرجوع إلى الصورة الإلهية، التى خلقنا الله بها، فى كل براءة وبساطة ونقاوة . وذلك بتجديد أذهاننا.

تجديد الذهن :

بفكر جديد مقتنع تماماً بأن كل ما فى العالم هو باطل وقبض الريح (جا١) وبأن هذا العالم يبيد وشهوته معه (ايو٢: ١٧). بفكر جديد مقتنع تماماً بحياة القداسة وبحلاوة العشرة مع الله، وبوجوب الحفاظ على سكنى روح الله فينا كهياكل لله (اكو٣: ١٦). وبتجديد الذهن لا نشعر مطلقاً أننا مرغمون بحكم الوصية على الحياة مع الله. بل على العكس نغنى كل حين قائلين للكل "ذوقوا وأنظروا من أطيب الرب" (مز٣٤: ٨).

مشكلة الكثيرين أنهم يغيرون شكلهم الخارجى إلى صورة التقوى، ويكون داخلهم عكس ذلك، ويعيشون فى صراع ...

صراع بين الداخل والخارج . بين الداخل الذى يحب الخطية، والخارج الذى يريد مظهرية التوبة. بين حقيقة الإنسان ومنظره. بين شهوة الإنسان داخل قلبه، وخوفه من أن ينكشف ذلك أمام الناس. وهكذا كثير من هؤلاء يحيون حياة ريائية .

أو هم يحيون فى صراع بين الطاعة والحب .

الطاعة لله ووصاياه ، أو الطاعة للأب والمرشد، أو الطاعة للقانون والعرف والتقاليد، مع محبة العالم والخطية فى داخل القلب والفكر، وصراع بين الحالين. وكأن لسان حال كل من هؤلاء يقول "إننى فى كل ذلك أصارع نفسى وأجاهد. وكأننى إثنان فى واحد. هذا يدفعنى، وذاك يمنعنى" .



أنها حالة إنسان لم يتجدد ذهنه بعد. إنه يعيش فى حياة الإيمان، بذهن الإنسان العتيق. وهذا يذكرنا بقول الرب :

"ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق" (مت٩: ١٧) .

وتكون النتيجة كما قال "فيصير الخرق أردأ" (مت٩: ١٨) .

لذلك حسناً إننا نبدأ حياتنا الجديدة فى المعمودية. بصلب الإنسان العتيق (رو٦: ٦). وندخل فى "جدة الحياة" (رو٦: ٤). لأن الحياة الجديدة لا تتفق مع الإنسان العتيق. كما لا

يجوز أن نضع خمراً جديدة فى زقاق عتيقة (لو ٦: ٣٧) .

✠ ✠ ✠

فـى تجديـد الذهـن : إذا تغير قلـب الإنسـان مـن الداخـل، يتغـير تبعـاً لذلـك سـلوكه الخارجى. ولا يكون صراع بين داخله وخارجه .

كل إنسان يتجدد ذهنه، يتغير سلوكه، سواء من جهة الخير أو الشر . مثال ذلك، الإنسان الأول: لما تغير ذهنه بعبارة "لن تموتا" وعبارة "تصيران مثل الله عارفين الخير والشر" (تك٣)، بالتالى تغيرت النظرة فى الخارج. فإذا "الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وشهية للنظر" (تك٣: ٦). وكانت الخطوة التالية، هى المعصية، فامتدت اليد فأخذت وأكلت وأعطت!

✠ ✠ ✠

هذا من جهة الشر . أما من جهة الخير، فأمامنا مثال شاول الطرسوسى . كيف لما تجدد ذهنه، تحول إلى العكس .

تحول من مضطهِد للكنيسة إلى أحد بناة ومؤسسى الكنيسة، وإلى إنسان مضطهَد لأجل الإيمان، وانتهت حياته الأرضية كشهيد. وأمثال شاول الذى تحول إلى بولس، كثيرون. منهم فى تاريخ الكنيسة كبريانوس الساحر الذى تحول إلى قديس عظيم. وأيضاً لونجينوس الجندى الذى طعن المسيح بالحربة، وكيف تحول بتجديد ذهنه إلى الإيمان ثم إلى الاستشهاد. وكذلك أريانوس والى أنصنا .

✠ ✠ ✠

هنا ونسأل : كيف يتجدد الذهن ؟

يتجدد أولاً بعمل الروح القدس فيه : الروح الذى يبكته على خطية (يو١٦: ٨)، والذى يسكب فيه محبة الله (رو٥: ٥) . والذى يقتاده فى طريق البنوة لله (رو٨: ١٤)...

وتجديد الذهن يأتى بالتأثير الروحى القوى .

بأن يدخل الإنسان باستمرار فى المجال الروحى. بالقراءة الروحية فى كتاب الله وفى الكتب الروحية وسير القديسين، وبجو الكنيسة وصلواتها وقداساتها وعظاتها وألحانها وتأثيرها الروحى . وأيضاً بالعلاقة مع الله، وبالقدوة الحسنة، وتبكيت النفس، وبالإرشاد الروحى، والتأثر بسير القديسين .

✠ ✠ ✠

ويأتى تجديد الذهن بالبعد عن السلبيات والتأثيرات الخاطئة .

كل هذه التى تبعد الذهن عن الله، وتحاول أن تقتلع منه كل تأثير روحى، وترجعه مرة أخرى إلى حالة الإنسان العتيق . هذه التـأثيرات الخاطئـة، تكون فـى المعاشـرات الرديـة، وفى القراءات المضللة والمغرية، وفى الشكوك والحروب الشيطانية . تعود هذه السلبيات، فتشوه نقاوته، وتنزع عنه ثوب البر، وتقوده إلى أن يشاكل هذا الدهر .

لذلك أهربوا من الجو الخاطئ الذى تعيشون فيه، وادخلوا إيجابياً إلى الحياة مع الله .

✠ ✠ ✠

واعلمـوا أن التوبـة الحقيقيـة تجدد الذهـن. كذلـك فـإن تجديـد الذهـن يثبـت التوبــة. والاستمرار فى النمو الروحى، يحفظ للذهن جدته ، وينتقل به إلى درجات أعلى .

أليست الشجرة يتغير شكلها بـالنمو، وبـالنمو يصبـح لهـا ثمـر، وتتعمـق أصولهـا فـى الأرض فتتثبت ...

وبالنمو تنتشر حياتها ، وتصبح لها فروع كثيرة ..

✠ ✠ ✠

هنا وينتقل بنا الرسول إلى نتيجة هامة . فما هى ؟

"يقول "لا تشاكلوا هذا الدهر" .

"وتغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" .

فإن فعلنا هذا ، ماذا تكون النتيجة ؟ يقول :

"لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة، المرضية الكاملة" .

فما هى إرادة الله الصالحة ؟ وما صفاتها ؟ وكيف نميزها ؟

.. لتختبروا إرادة اللـه الصَالحَة

(رو ١٢: ٢)

كلنا نحب أن نعرف إرادة الله الصالحة، وأن نختبر هذه الإرادة الإلهية في حياتنا. ولكن هناك ملاحظة هامة وهي :

لقد ذكر الرسول أموراً هامة تؤهلنا لإختيار إرادة الله الصالحة في حياتنا ، وهي :

١ - قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة .

٢ - مرضية عند الله عبادتكم العقلية .

٣ - لا تشاكلوا هذا الدهر .

٤ - تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم .

افعلوا هذه الأمور كلها "لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو١٢: ١، ٢) . إذن إن كنت طاهراً في جسدك، ولم يكن شكلك مثل أهل هذا العالم، وكان عقلك مع الله، وتجدد ذهنك، حينئذ سوف تتغير أفكارك، وتنظر إلى الأمور بنظرة أخرى، وتختبر إرادة الله...

✠ ✠ ✠

في الواقع إن الناس يسلكون في إحدى طرق ثلاث: إما حسب إرادتهم الخاصة، أو حسب إرادة الله، أو بإرادة الناس..

غالبية الناس تسلك حسب إرادتها الخاصة. كل إنسان يعجبه أن يتصرف حسب هواه، حسب رغبته واقتناعه، ويفرح إن سارت كل الأمور حسب شهوات قلبه. ويندر من يستطيع أن يقهر ذاته، وأن يضبط نفسه، ويسلك -بإرادته- وفق إرادة أخرى عكس إرادته!

هناك أشخاص آخرون يسيرون بإرادة غيرهم :

كأن يكونوا تحت تأثير آخرين، إما بدافع الحب، أو بدافع الخضوع. فآخاب الملك مثلاً، كان تحت تأثير زوجته إيزابل، إرادته خاضعة لإرادتها، كما حدث فى مشكلة استيلائه على حقل نابوت اليزرعيلى (١مل٢١). ويعقوب أبو الآباء -فى كيفية نواله بركة أبيه اسحق- كانت تسيّره إرادة أمه رفقة (تك٢٧) .

✠ ✠ ✠

إختبار إرادة الغير، يحدث أيضاً فى تنفيذ إرادة المشيرين أو الرؤساء أو الوالدين أو القادة عموماً .

رحبعام مثلاً نفّذ إرادة مشيريه من الشباب. وكان يظن فى ذلك الخير له. ولكنها كانت مشورة سيئة أضاعته (١مل١٢).

وكثيرون كانوا يتبعون مرشدين مضلين. كما قال الرب لبنى إسرائيل "يا شعبى، مرشدوك مضلون" (أش٣: ١٢).

وكما قال عن الكتبة والفريسيين إنهم "قادة عميان" (مت٢٣: ١٦- ٢٤). وأن "أعمى يقود أعمى، كلاهما يسقطان فى حفرة" (مت١٥: ١٤)...

إذن هناك قيادة : إرادة تتبع إرادة شخص آخر..

لذلك مسكين من يقود إرادته شخص من هذا النوع! ويكون أكثر مسكنة من يظن أن إرادة هذا المرشد هى إرادة الله، وبدون فحص!!

✠ ✠ ✠

نصيحتى لك: لا تسر مغمض العينين وراء أى مرشد، دون أن تختبر إرادة الله الصالحة فيما يقوله لك .

فالقديس يوحنا الرسول يقول "لا تصدقوا كل روح. بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" (١يو٤: ١).

والقديس بولس الرسول يقول "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما" (غل ١: ٨)

إذن على كل إنسان أن ينفذ إرادة الله، كما هى واضحة فى كل وصاياه. وإن أتاه إرشاد بغير ذلك، فلا يقبله أياً كان مصدره.. وإلا فإنه يكون قد استبدل طاعة الله بطاعة إنسان، وفضّل أن يتبع إرادة إنسان بدلاً من إرادة الله الصالحة..!

كيف تتبع إرادة الله ؟

١ - احترس تماماً، إذا رأيت نفسك مندفعاً بشدة فى تيار ما ..

بحيث تتحمس حماساً شديداً، وتريد أن تنفذ بسرعة ولا تمنح عقلك مجالاً للتفكير، ولا حتى مجالاً للاستشارة، ولا للتروى والدراسة! ليست هذه طريقة الله، ولا إرادة الله. لأن طريقة الله هادئة، بغير إندفاع ولا إسراع. غالباً ما يكون إندفاعك هو نتيجة رغبة خاصة تثير فيك حماساً لا يعرف التوقف، أو نتيجة اقتناع خاص قد تحوّل إلى مشيئة خاصة. يعوزك أن تنتظر ولو قليلاً لتدرك مشيئة الله .

فى بستان الرهبان ورد عن القديس مقاريوس الكبير إنه قال :

"أتانى فكر أن أدخل إلى البرية الجوانية، لأرى الأخوة السوّاح. فبقيت مقاتلاً لهذا الفكر ثلاث سنوات، لأرى هل هو من الله أم لا" . تصوّروا قديساً عظيماً مثل هذا، كان أباً للبرية كلها، وكان يصنع المعجزات أحياناً. ومع ذلك لم يسرع بتنفيذ فكر أو رغبة مثل هذه لا يبدو فيها أى خطأ. وظل يقاتل مشيئته ثلاث سنوات، لكى يختبر إرادة الله الصالحة ماذا تكون..



هناك اختبار لمشيئتك الخاصة وهل توافق إرادة الله الصالحة. وذلك بأن تصبر عليه، وتتبع ذلك القول الذى يوافق نصيحة غمالائيل معلم الناموس (أع٥: ٢٣، ٣٨، ٣٩) :

الذى من عند الله يثبت. والذى ليس من الله يزول .

لهذا لا تندفع . فربما يكون اندفاعك نتيجة لحرب من الشيطان الذى لا يسمح لك بالتروى والتفكير. وقد يكون حماسك نتيجة لضغط فكرى واقع عليك من آخرين. فأنت فى دوامة من أفكارهم، أربكتك ثم دفعتك، وخلقت فيك هذا الحماس أو الإندفاع، لذلك اصبر.

وإن كان الفكر الذى تتحمس له من الله، فسوف يبقى .

✠ ✠ ✠

إصحب حماسك بالصلاة واستشارة الروحيين ، وقل مع المزمور :

"علمنى يارب طرقك. فهمنى سبلك. أهدنى إلى طريق مستقيم" .

إذن يمكن أن تختبر إرادة الله الصالحة، بالصبر، والصلاة، واستشارة الروحيين، وعدم التمسك بإرادتك الخاصة، ولا بدفع الناس لك فى اتجاه معين. وبخاصة لو كانوا أكبر منك عقلاً، وأكثر منك فى سعة الإطلاع، ولهم عليك تأثير معين .

✠ ✠ ✠

كذلك تختبر إرادة الله الصالحة ، إذا تجدد ذهنك، واستنار بعمل الروح القدس فيه .

كما قال الرسول ".. تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة" (رو١٢: ٢) .

ذلك لأن الذى تجدد ذهنه، قد أصبح له ذهن روحى مستنير، يمكنه أن يدرك إرادة الله، بما يمنحه الروح من حكمة وإفراز. كذلك فإن الذين لا يشاكلون هذا الدهر، لم تعد توجد فى قلوبهم رغبات عالمية، تحجب عنهم إرادة الله الصالحة.. بل هم يفكرون بطريقة روحية، وتتجه قلوبهم نحو تنفيذ إرادة الله .

✠ ✠ ✠

ولكى تختبر إرادة الله ، لا تقل عن كل شئ قد تم : هذه إرادة الله!! فهناك فرق بين إرادة الله وسماحه ..

فهناك أشياء كثيرة يسمح الله بها، على الرغم من أنها ضد إرادته. الله بالحرية التى منحها للناس، يسمح أن تحدث فى العالم جرائم قتل وظلم وسرقة واغتصاب، على الرغم من أن الله لا يريد شيئاً من هذا كله .. فلا يقل إنسان إذا ظلمه رئيس قاس وفصله من عمله: هذه إرادة الله!! كلا، إنها ليست إرادة الله، لأن الله لا يرضى بالظلم! ولكنه سمح بهذا، وهو قادر أن يحول هذا الشرّ إلى خير، كما حدث مع يوسف الصديق الذى قال لأخوته "أنتم قصدتم لى شراً، أما الله فقصد به خيراً.. ليحيى شعباً كثيراً" (تك٥٠: ٢٠) .

ولكى تختبر أن أموراً معينة تتمشى مع إرادة الله، لابد أن تكون هذه صالحة توافق إرادة الله الصالحة .

فلا تسلك فى الحياة كيفما اتفق، مدعياً أنك تارك نفسك لإرادة الله! فلا يمكن أن يكـون هذا صحيحاً، إلا لو كنت تسير فى طريق صالح، وتحيا حياة التسليم داخل هذا الصـلاح، بحيث لا تقف إرادتك ضد إرادة الله فى شئ ...

✠ ✠ ✠

يقول الرسول "لتختبروا إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" .

وعبارة (الكاملة) هنا، تعنى أن تنفذ إرادة الله فى كل شئ. لأن هناك من ينفذ إرادة الله جزئياً فى أشياء معينة، وليس فى الباقى !

بحيث لا يعطى كل القلب لله، ولا كل الفكر لله! مثل الشاب الغنى الذى حفظ كل الوصايا منذ حداثته، ما عدا نقطة واحدة هى محبته للمال! (مت١٩: ٢٠- ٢٢) . ومثل سليمان الحكيم الذى سار حسب إرادة الله فى حكمة شديدة، ما عدا زواجه بالنساء الغريبات وتأثره بهن تأثراً أبعده عن الله (١مل١١: ٤) ...

✠ ✠ ✠

كذلك تختبر إرادة الله الصالحة (الكاملة) ، ليس فى حياتك وحدك، بل فى حياة الآخرين أيضاً .

من جهة تدخلك ، إن أتيحت لك فرصة فى ذلك ... أو عن طريق التأمل . إذ تتأمل كيف كانت إرادة الله صالحة ومرضية فى حياة هؤلاء. وتمجد الله على ذلك ...

✠ ✠ ✠

إنه تدريب جميل أن نختبر إرادة الله الصالحة، فى تاريخ البشرية على مدى العصور.

سواء فى علاقته مع قديسيه، فى اختيارهم وتربيتهم وتدريبهم وأسلوب التعامل معهم.. وحتى فى علاقته مع الخطاة، من جهة عقوبتهم، أو قيادتهم إلى التوبة ...

إرادة الله الصالحة، فى إعداد القديسة العذراء، والقديس يوحنا المعمدان، وكل الآباء الرسل القديسين. وإرادته الصالحة فى إعداد الرعاة، وفى تهيئة الجو الروحى للنساك والمتوحدين ..

بل إرادة الله الصالحة فى تدبير قصة الخلاص، بالتجسد والفداء. هذه الإرادة المرضية الكاملة .

الكاملة ، فى غفران جميع الخطايا، لجميع الناس ، فى جميع العصور . والمرضية للعدل والرحمة معاً ، حيث تلاقيا فى تناسق عجيب على خشبة الصليب .

أيضاً إرادة الله الصالحة فى تدبير أمور الأبدية .

فى أعداد أورشليم السمائية "مسكن الله مع الناس" (رؤ٢١: ٣) . وفى إعداد شجرة الحياة، والمن المخفى (رؤ٢: ٧، ١٧) . بل وفى الوعد بما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسان" (١كو٢: ٩) . حقاً إنها إرادة كاملة ومرضية .

هنا ويقف القلم عن التعبير ، ويعجز عن شرح إرادة الله الصالحة فى مكافأة محبيه .

إرادة الله صالحة . لأنه "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤) .

لا يرتئى فوق ما ينبغى
بل يرتئى إلى التعقل

(رو ١٢: ٣)

بعد أن تحدث الرسول عن العبادة العقلية المرضية عند الله، وعن تجديد الذهن لاختبار إرادة الله الصالحة الكاملة، تدرج إلى الحديث عن وسيلة أساسية للوصول إلى هذا الاختبار الروحى، فذكر أنه ينبغى للإنسان أن لا يرتئى فوق ما ينبغى، بل يرتئى إلى التعقل .

وذكر أن هذه النصيحة ليست منه شخصياً، بل من النعمة المعطاة له .

وهكذا كتب "فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى، لكل من هو بينكم: أن لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى. بل يرتئى إلى التعقل.." (رو١٢: ٣) .

✠ ✠ ✠

فما معنى عبارة "يرتئى إلى التعقل" ؟

أى لا يسلك فى طريق أعلى منه، ولا يظن فى نفسه أكثر من حقيقته، ولا يرتدى ملابس أوسع منه .

فالتواضع الحقيقى هو أن يعرف الإنسان قدر نفسه، ويتصرف هكذا. فلا يتطلع إلى شئ هو فوق قدراته وفوق مواهبه، وفوق مستوى النعمة المعطاة له. معتمداً على ثقة زائدة بالنفس تصل إلى حد الغرور!

✠ ✠ ✠

الإنسان الأول أيضاً ارتأى فوق ما ينبغى .

أعطاه الله نعماً كثيرة، وصيره متسلطاً على الجنة وكل ما فيها، وعلى سمك البحر وطير السماء وكل حيوان يدب على الأرض (تك١: ٢٨). ولكنه لم يكتفِ بكل هذا، بل ارتأى فوق ما ينبغى. بل خضع لإغراء الحية التى قالت "لن تموتا، بل .. تنفتح أعينكما، وتكونان مثل الله عارفين الخير والشر" (تك٣: ٤، ٥) ... وبهذا سقط آدم وحواء، وطُردا من الجنة..

✠ ✠ ✠

الشيطان أيضاً ارتأى فوق ما ينبغى .

كان رئيس ملائكة، كاروباً منبسطاً ، ملآن حكمة وكامل الجمال (حز٢٨: ١٤، ١٢). ولكنه لم يكتفِ بهذا، بل تطلع إلى ما هو فوق التعقل، وقال فى قلبه "أصعد إلى السموات، أرفع كرسىّ فوق كواكب الله.. أصعد فوق مرتفعات السماء. أصير مثل العلىّ" (أش١٤: ١٣، ١٤). وكانت النتيجة أنه انحدر إلى الهاوية، إلى أسافل الجب ..

هذه عاقبة ونهاية من يرتئى فوق ما ينبغى له أن يرتئى .

✠ ✠ ✠

أيضاً بناة برج بابل فى القديم، الذين قالوا "هلم نبنِ لأنفسنا مدينة، وبرجاً رأسه فى السماء، ونصنع لأنفسنا اسماً.." (تك١١: ٤) . فكانت النتيجة أن الله بلبل ألسنتهم وشتتهم فى الأرض .

أليس أكثر منهم جرأة من يحاولون سكنى الكواكب ..!

شعروا أن الأرض ليست كافية لسكناهم. فبدأوا يفكرون فى سكنى القمر وكواكب أخرى، يفحصون حجارتها، ويبحثون هل فيها ماء؟ وهل فيها أوكسجين. وهل تصلح لمعيشة الإنسان والحيوان . إنه غرور البشر!! أليست تكاليف هذه الرحلات يمكن استغلالها فى رخاء الأرض بدلاً من إطارتها فى الهواء؟! أم هى متعة رحلات الفضاء ؟!

✠ ✠ ✠

إنها تذكرنا أيضاً بمن يشتهون المواهب الروحية العليا .

يريدون أن يجترحوا الآيات، وأن يصنعوا المعجزات. ويضعون أمامهم قول الرسول "جدّوا للمواهب الحسنى" (١كو١٢: ٣١)، وينسون باقى الآية "وأيضاً أريكم طريقاً أفضل". وهكذا تحدث عن المحبة التى هى أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال (١كو١٣: ٢) .

هؤلاء الذين يشتهون التكلم بألسنة، إنما يرتأون فوق ما ينبغى .

إنهم لا يقصدون أن يبشروا أناساً غير معروفة لغاتهم، بل هم يريدون بالألسنة مجداً بشرياً، وفخراً أمام الناس، مدّعين بهذه الموهبة أنهم قد وصلوا إلى (الملء) أى إلى الإمتلاء بالروح!! وأنهم يعلنون أمام الناس وصولهم إلى هذه الدرجة العالية، فينالون مجداً منهم .



هذا الذى يرتئى فوق ما ينبغى، ما أسهل أن يخدعه الشياطين !

كالذى يشتهى أن يتسلم الإرشاد مباشرة من فوق، عن طريق الرؤى والأحلام، وظهورات من الملائكة، وصوت إلهى يسمعه!! وبهذا يقع فى أيدى الشياطين، فيظهرون له فى رؤى كاذبة وفى أحلام كاذبة، ويضلونه.

كالراهب الذى ظهر له الشيطان فى هيئة ملاك، وقال له أنا جبرائيل رئيس الملائكة أرسلنى الله إليك!!

وكالراهب الذى قال له الشيطان: أستعد فسوف آتيك غداً فى مركبة نارية، ترفعك إلى السماء مثل إيليا النبى!!.. ولم ينقذه سوى استشارته لأب اعترافه، الذى حذره من تلك الخدعة الشيطانية..



إن الذى يرتئى فوق ما ينبغى ، يقع فى تشامخ الروح. وقد قال الكتاب: "قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم١٦: ١٨) .

وإذ تتشامح روحه ، يصبح فريسة سهلة فى يد الشيطان ، الذى طريقه هو هذا. فيأتى إليه بما يشبعه من رؤى وأحلام. والقديس بولس الرسول يكشف هذه الخدعة الشيطانية فيقول "ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور" (٢كو١١: ١٤) .

وهنا أتذكر قصة ذلك الراهب المتواضع ، الذى ظهر له الشيطان فى هيئة ملاك كأن الله أرسله إليه. فرد عليه الراهب قائلاً "لعلك أرسلت إلى غيرى وأخطأت الطريق. أما أنا فرجل خاطئ لا أستحق أن يظهر لى ملاك" !! وهكذا أخزاه بتواضعه، فتركه ومضى ..



وكالذى يشتهى المواهب الروحية كالرؤى والألسنة، مثله أيضاً الذى يرتئى فوق ما ينبغى، ويشتهى الدرجات العليا فى الحياة الروحية. ويتمسك بالسلوك فيها، وهى مستوى أعلى من مستواه بكثير ..

لا يعجبه أن يحيا فى حياة التوبة، وأن يصلى إلى الله فى انسحاق قلب، بل يقول: أريد أن أمارس الدهش والثيئوريا وانخطاف العقل! أمور قرأ عنها فى الكتب ولا يدرى معناها.. أو يقول: أريد أن أمارس تدريب (صلب الفكر) كما فعل القديس مكاريوس الإسكندرانى، وأن أقف طول الليل فى الصلاة كما كان يفعل القديس أرسانيوس الكبير .

وهكذا فيما يرتئى فوق ما ينبغى، يريد أن يقفز مرة واحدة ، ليصل إلى درجات روحية لم يصل إليها القديسون إلا بعد جهاد سنوات..!

وبهذا يفشل فى حياته، لأنه لم يسلك بتعقل. ولأن هدفه كان إرضاء ذاته بهذا المجد الباطل . ولم يكن هدفه التمتع بالله..

وكان المفروض أن يدرك قامته الروحية، ويسلك حسب مستواها. وينمو فى الروحيات قليلاً قليلاً، حسبما تشاء نعمة الله أن تعطيه ..

وقد يحسب أن الحياة الروحية، هى أن يمارس أصواماً فوق مستواه، ومطانيات فوق مستواه. إنما الحياة الروحية هى العمل الداخلى مع الله .

وليحترس فى روحياته من الكبرياء وارتفاع القلب بطموحاته !

الأساس الذى تبنى عليه كل فضيلة ، هو التواضع. لأنه هو الذى يحفظها من حروب الكبرياء. وقد صدق ذلك الأب الروحى الذى قال : إن منحك الرب موهبة، فاطلب إليه أن يهبك تواضعاً لكى تحتملها . وإلا فاطلب إليه أن ينزع منك تلك الموهبة، حتى لا تكون سبباً فى ضياعك .

وواضح أن الذى يرتئى فوق ما ينبغى، ليس لديه تواضع قلب .

فإن كانت الكبرياء تحاربه بالارتفاع ، فليستمع إلى قول الوحى الإلهى فى سفر اشعياء النبى: "إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع.. على كل الجبال العالية، وعلى كل التلال المرتفعة، وعلى كل برج عالٍ، وعلى كل سور منيع.. فينخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم" (أش٢: ١٢- ١٧). وما أصدق قول الرب أيضاً فى هذا المجال: "كل من يرفع نفسه يوضع. ومن يضع نفسه يرتفع" (لو١٨: ١٤) .

✠ ✠ ✠

هناك أمثلة أخرى، لمن يرتئى فوق ما ينبغى .

منها : من يطلب التجارب من الله، لكي يأخذ ما فيها من أكاليل ، وما تنتجه من فضائل . وقد لا يكون على مستوى احتمال التجارب، ولا على مستوى الاستفادة منها.. وقد علمنا الرب فى الصلاة الربية أن نقول "لا تدخلنا فى التجارب، لكن نجنا من الشرير". وفى اتضاع نقول هذا. فإن سمح الله بتجربة، فإنه سيعطى معها الاحتمال والفائدة.

وفى سيرة حياة القديس الأنبا باخوميوس الكبير، قصة راهب أصر على أن يذهب ويصير شهيداً. ولم يكن فى مستوى الإستشهاد، بل كان يرتئى فوق ما ينبغى. فلما وقع فى يد البربر، ورأى استعدادهم فى وحشية لذبحه، خاف جداً وارتعب، وانتهى أمره بأن بخر معهم للأصنام! ولما عاد إلى الدير، نصحه الأب بأن لا يرتئى فوق ما ينبغى ....



هناك أيضاً من يرتئى فوق ما ينبغى، فيقيم نفسه مصلحاً وقائداً ومعلماً. ويمارس ذلك بسلطان !

يدّعى أنه يفهم أكثر من غيره، ويستطيع أن يدبر الأمور أفضل من الكل. لذلك فى كل مكان يحلّ فيه، ينتقد ما هو قائم، ويشرح ما ينبغى أن يكون. ويشرح ويوضح ، حتى لمن هو أكبر منه. ويتخذ موقف المعلم. سواء فى البيت مع أهله، أو فى محيط الخدمة، أو مع كافة درجات الكهنوت. لا كبير أمامه. إنه ينصح الكل بلا تمييز، ويتكلم فى حدّة عما يجوز وما لا يجوز. ما يليق وما لا يليق.

إنه يرتئى فوق ما ينبغى. يضع نفس فى مرتبة القيادة، وأمامه قول الرسول لتيموثاوس الأسقف "عظ. وبخ. أنتهر" (٢تى٤: ٢) .



هل كان سمعان بطرس يرتئى فوق ما ينبغى ، حينما تجرأ لينصح المسيح ؟!

تحدث المعلم العظيم عن أنه "سيتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل وفى اليوم الثالث يقوم" . وهنا يقول الكتاب "فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يارب . لا يكون لك هذا" (مت١٦: ٢١، ٢٢) . وضع نفسه فى موقف من ينصح معلمه (وينتهره). وما كان يفهم معنى ما يقول! فإذا بالرب يقول له "اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى.." (مت١٦: ٢٣) .



أيضاً يرتئى فوق ما ينبغى، من يدّعى أنه لا يحتاج إلى صلوات القديسين والملائكة، لأنه لا يقبل وسيطاً بينه وبين الله .

يقول : ما حاجتى إلى العذراء ومارجرجس والملاك ميخائيل ؟! كلهم مخلوقات. أما أنا فصلتى مباشرة بالله، الذى هو خالق الجميع. ولا أقبل وساطة هؤلاء ولا شفاعتهم. كما لا أقبل أيضاً وساطة الكهنوت بينى وبين الله، ولا وساطة الكنيسة بكل ما تقدمه من صلوات!! إن علاقتى مع الله علاقة مباشرة! وعن طريق هذه العلاقة المباشرة ، أنال الغفران والخلاص والتبرير والولادة الجديدة، بدون وسيط !!

✠ ✠ ✠

كذلك يرتئى فوق ما ينبغى ، من يسلك فى التأله ، ومن ينادى به، ومن يقبله من آخرين..

إن هيرودس الملك لما خاطب الشعب من على كرسىّ ملكه، وصرخ الشعب قائلاً "هذا صوت إله، لا صوت إنسان" (أع١٢: ٢٢). حينئذ ضربه ملاك الرب، فصار يأكله الدود ومات، لأنه لم يعطِ مجداً لله. وارتأى أن يقبل لنفسه مجداً، فوق ما ينبغى له..

كذلك يقعون فى نفس الخطأ، من يفسرون عبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط١: ٤) بطريقة يُفهم منها تأله الإنسان !!

فنحن لا يمكن أن نشترك مع الطبيعة الإلهية فى الجوهر، وإلا صرنا آلهة!! ولكننا نشترك مع الله فى العمل، كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولّس "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩). وبنفس المعنى نتكلم عن شركة الروح القدس فى حياتنا، باعتبار أن الروح القدس يعمل فينا ومعنا وبنا ...

✠ ✠ ✠

أيضاً يرتئى فوق ما ينبغى، من يدّعى لنفسه قدرة ليست له .

مثال ذلك بطرس الرسول ، الذى لما قال الرب لتلاميذه "كلكم تشكّون فىّ فى هذه الليلة" قال له بطرس "وإن شكّ فيك الجميع، فأنا لا أشك أبداً" (مت٢٦: ٣١، ٣٣). "وقال بأكثر تشديد: ولو أضطررت أن أموت معك، لا أنكرك" (مر١٤: ٣١) "أنا مستعد أن أمضى معك، حتى إلى السجن وإلى الموت" (لو٢٢: ٣٣) ..

إنه كان يظن فى قدرته أكثر من حقيقتها، ويرفع قدر شجاعته فوق ما ينبغى.. وهكذا أنكر المسيح فى تلك الليلة ثلاث مرات ...

وهكذا أيضاً من يتعهد أمام الله بنذور هى فوق طاقته .

فى وقت النذر يرتئى فى نفسه القدرة فوق ما ينبغى. ولكن فى وقت الوفاء بالنذر، يظهر أمامه ضعفه! وتقف أمامه الآية التى تقول "خير لك أن لا تنذر، من أن تنذر ولا تفى" (جا٥: ٥).

وبنفس الوضع من يتعهد بأن يقوم بمسئوليات أو واجبات معينة، بينما يكون ذلك فوق إمكانياته وطاقته، ولا وقت لديه لذلك!

وأيضاً يرتئى فوق ما ينبغى، من يدّعى الفهم. ثم يضطر أن يقول بعد ذلك "قد نطقت بما لم أفهم. بعجائب فوقى لم أعرفها" (أى٤٢: ٣) .

كذلك من يقدم فى العقيدة أو التفسير مفهوماً جديداً، يحاول أن يخالف فيه كل السابقين، حتى من الآباء القديسين! وكأنه يفهم ما لم يفهمه أحد من قبل. وفى الواقع هو يرتئى فوق ما ينبغى.

✠ ✠ ✠

عكس من يرتئى فوق ما ينبغى، أولئك الذين قللوا من شأن أنفسهم .

مثل مارآفرام السريانى المعلم (الملفان) والشاعر، وبطل الإيمان، قيثارة الروح كما يسميه الأخوة السريان. وهو لم يقبل إطلاقاً أية درجة كهنوتية، فى شعور بعدم الاستحقاق. ومثل القديس يوحنا المعمدان، أعظم من ولدتهم النساء (مت١١: ١١) الذى كان يقول إنه مجرد صوت صارخ فى البرية (يو١: ٢٣). وكان يقول عن السيد المسيح "ينبغى أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو٣٠:٣) .

ومثل داود النبى ، الذى أتى إليه عبيد شاول الملك، يوعزون إليه بالتقدم لمصاهرة الملك. فقال لهم داود "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير؟!" (١صم١٨: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

عكس ذلك أبشالوم بن داود الذى ارتأى فوق ما ينبغى .

فنافس أباه داود فى الملك ، وكوّن له جيشاً وحارب أباه لكى يحكم بدلاً منه. وارتكب أخطاء بشعة للوصول إلى هذا الغرض.. وكانت النتيجة أنه مات فى الحرب، ولا ربح سماء ولا أرضاً ...

وأبشع من أبشالوم فى المنافسة ، علماء الهندسة الوراثية ، الذين ينافسون الله نفسه فى سلطانه على خليقته .

فينشئون بنوكاً للبويضات المخصبة، تختار منها المرأة أى نوع من الأبناء يكون لها حسب هواها - ليزرع فى رحمها .

ومنهم الذين يقومون بعمليات (الاستنساخ)، لإيجاد كائنات حية بغير الطريقة التى أرادها الله من ذكر وأنثى، فى جرأة أن يعملوا فى أسلوب عكس أسلوب الله. إنهم أيضاً يرتأون فوق ما ينبغى ...

ممن ارتأى أيضاً فوق ما ينبغى ، قصة العوسج الذى أراد أن يملك على الأشجار (قض٩: ١٥) .

"فقال العوسج للأشجار: إن كنتم بالحق تمسحوننى عليكم ملكاً، فتعالوا واحتموا تحت ظلى. وإلا فلتخرج نار من العوسج، وتأكل أرز لبنان" (قض٩: ١٥) .

✠ ✠ ✠

ويرتئى فوق ما ينبغى، من له ثقة زائدة بذاته، سواء فى فكره، أو أمام الناس، أو فى تصرفه .

وقد يظهر هذا فى حديثه . فيرفع من قدر دوره فى الأحداث. ويفتخر بما عمله! بل قد ينسب إلى نفسه ما قد فعله الآخرون. وينسب إلى نفسه النجاح الذى كان بتدخل الله وعمل نعمته!! وفيما هو يرتئى فوق ما ينبغى، يظهر ما فى داخله من غرور. والناس عموماً تكره مثل هذا النوع. وغالباً ما يفشل فى حياته العملية، لأنه لا يرتئى إلى التعقل ...

وكيف يرتئى الإنسان إلى التعقل؟ إذا كان يسلك حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان (رو١٢: ٣) .

ما قسمه الله :

فى الواقع إن الله لم يجعل الناس كلهم فى درجة واحدة .

ليس الجميع درجة واحدة فى العقل والفهم والحكمة، ولا هم فى درجة واحدة من جهة قوة الإرادة وقوة الشخصية . وفى الكتاب المقدس أمثلة عديدة على هذا الأمر، نذكر منها:

★**مثال موسى النبى ، وأخيه هرون وأخته مريم .**

فعلى الرغم من أن الله منح هارون أن يكون رئيس كهنة، ومنح مريم أن تكون نبية

(خر١٥: ٢٠)، إلا أنهما لما تكلما على موسى، قال لهما الرب "اسمعا كلامى. إن كان منكم نبى للرب، فبالرؤيا أستعلن له، فى الحلم أكلمه. وأما عبدى موسى، فليس هكذا، بل هو أمين فى كل بيتى. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى؟! (عد١٢: ٦- ٨) .

إذن كان نصيب موسى أكبر بكثير من نصيب هرون ومريم .

✠ ✠ ✠

★مثال آخر هو مواهب الروح : ليست الأنصبة فيها واحدة :

وهذا واضح جداً فى إصحاح المواهب (١كو١٢) إذ ورد فيه "الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة: فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم.. ولآخر إيمان.. ولآخر مواهب شفاء.. ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوّة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢: ٦- ١١) .

★وهنا تتكرر عبارة "ما قسمه الله" (رو١٢: ٣) .

ويعود الرسول فى آخر الإصحاح فيقول تعليقاً على ما ذكره أولاً : "ألعل الجميع أصحاب قوات؟! ألعل للجميع مواهب شفاء؟! ألعل الجميع يتكلمون بألسنة؟! ألعل الجميع يترجمون؟!" (١كو١٢: ٢٩، ٣٠) .

إذن ليست المواهب واحدة، بل حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً .

✠ ✠ ✠

بل حتى فى الزواج والبتولية، نفس "ما قسمه الله" :

يقول الرسول "غير أنه كما قسم الله لكل واحد، كما دعا الرب كل واحد، هكذا ليسلك.. الدعوة التى دُعى فيها كل واحد، فليلبث فيه.. فليلبث فى ذلك مع الله" (١كو٧: ١٧، ٢٠، ٢٤) .

✠ ✠ ✠

★نفس الأمر أيضاً فى الرتب وفى نوع الخدمة :

يقول الرسول فى (أف٤: ١١، ١٢) عما قسمه الله "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح". ويعلق على هذا فى (١كو١٢: ٢٩) فيقول "ألعل الجميع

رسل؟! ألعل الجميع أنبياء؟! ألعل الجميع معلمون؟! "

إذن فالرتب والمواهب والخدمة هى حسبما قسم الله لكل واحد .

✠ ✠ ✠

★ويشبه الرسول هذا كله بأعضاء الجسد الواحد .

فيقول "كما أن الجسد هو واحد، وله أعضــاء كثيرة. وكل أعضــاء الجسد الواحد، إذا كانت كثيرة فهى جسد واحد" ثم يقول "لو كان كل الجسد عيناً، فأين السمع؟! ولو كــان كل الجسد سمعاً، فأين الشم؟! أما الآن فقد وضع الله الأعضاء، كل واحد منها فى الجسـد كما أراد.." (١كو١٢: ١٢- ١٨) .

إذن فليرضَ كل عضو بوضعه، فالكل معــاً - علـى الرغم مـن هـذا التنويـع - يصـير بعملها معاً كلاً متجانساً متعاوناً ....

✠ ✠ ✠

★ما قسمه الله يظهر أيضاً فى مثل الوزنات .

وفى ذلك قال الرب "كأنما إنســان مسـافر دعـا عبيـده، وسلّمهم أموالـه. فـأعطى واحـد خمس وزنات، وآخر وزنتين، وآخر وزنة. كـل واحـد علـى قـدر طـاقتـه ، وسـافر للوقـت (مت٢٥: ١٤، ١٥). لم يكن الكل متساوين فى الأنصبة. ولكن كــان عليهم واجب واحد: أن يتاجر كل منهم بما عنده ويربـح. فـالذى ربـح منهـم، سـواء فـى ذلـك صـاحب الخمـس وزنات، أو صاحب الوزنتين، سمع نفس البركة "نعمــاً أيهـا العبـد الصـالح والأميـن. كنـت أميناً فى القليل. فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك" (مت٢٥: ٢١، ٢٣) .

ويشبه هذا أيضاً مثل الأمناء فى أنجيـل لوقـا (لـو١٩: ١٢- ٢٤) . ليس المهم مقدار النصيب، إنما المهم أن يتاجر كل واحد بما أخذه ويربح. وينال على ذلك المكافأة .

✠ ✠ ✠

★مثال آخر ، هو إنتاج الأرض الجيدة .

قال الرب فى مثل الزارع الذى ألقى بذاره "وسقط آخر علـى الأرض الجيـدة، فـأعطى ثمرا ً: بعضٌ مئة، وآخر ستين، وأخر ثلاثين" (مت١٣: ٨). على الرغم من أن الثمـر لـم يكن واحداً فى كميته، إلا أن الأرض أُعتبرت جيدة ...

هكذا فى الرتب الكهنوتيـة، قـد يكـون البعـض قسـاً، والبعـض أسـقفاً، والبعـض رئيـس أساقفة، حسبما قسم الله لكل واحد منهم نصيباً. إنما المهم أن يعطـى كـل منهـم ثمـراً.. قد

يعطى الواحد ثلاثين ، والآخر ستين، والآخر مائة. ولكنها كلها أرض جيدة، أياً كان نصيبها من الثمر وكميته ...

✠ ✠ ✠

الله دائماً يعطى :

إنه يعطى الكل . لا يوجد أحد لم ينل من الله عطية. كل واحد يعطيه الله، ولكن بحكمة فى التوزيع، حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً، حسب ما يناسبه، وحسب دوره فى الحياة الذى أراده له الله ...

ولكن يختلف الوضع حسب مدى استجابة الإنسان لعطية الله.

البعض يرفض ما قسم الله له ، لأنه يتطلع إلى وضع آخر، فيهمل ما أخذه من الله، ويشق له طريقاً آخر .

والبعض يقبل ، ويحيا في حياة التسليم للمشيئة الإلهية.

والبعض يوسّع قلبه، فينال أكثر وأكثر .

والبعض يعطى لله القلب كله، فيعمل به الله ما يشاء .

المهم أن يكون عند الإنسان استعداد لعمل النعمة فيه . وأيضاً تكون له شركة مع عمل النعمة، حسبما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله القديس أبلوس "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩) . والبعض ينمى عمل النعمة فيه..

النار التى يلقيها الله فيه، يزيدها هو اشتعالاً بما يلقيه فيها من وقود. مثل قول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "لهذا السبب أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوضع يدىّ" (٢تى١: ٦) .

لماذا ؟! ولو؟!

يحتج البعض على عبارة "حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان". فيقول أحدهم "لماذا لم يعطنى الله مثلما أعطى فلاناً من الناس؟! لماذا لم يجعلنى فى حالٍ أفضل مما أنا فيه؟!" "لو أنه خلقنى كذا، لصرت كذا وكذا" "لو أعطانى أكثر، أو لو عيننى فى منصب أكبر، لعملت وعملت.." . هنا وأقول :

المهم أن تخلص للوضع الذى أنت فيه ، وتنجح .

✠ ✠ ✠

وسأضرب مثلاً بالقديس اسطفانوس أول الشمامسة .

لم يطلب اسطفانوس أن يكون قساً أو أسقفاً أو رسولاً !! ولم يقل "لو وهبنى الله درجة كبيرة من الكهنوت، لفعلت وفعلت"!! ولكنه كان أميناً فى القليل الذى قسمه الله له..

لذلك استخدمه الله ليكون بركة لجيله. ووقف أمام ثلاثة من المجامع يحاورونه، ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع٦: ٩، ١٠). وأعطاه الله أن يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب" . ولما أحضروه ليحاكموه "شخص إليه جميع الجالسين فى المجمع، ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك" (أع٦: ٨، ١٥) .

وفى استشهاده ، شخص إلى السماء، فرأى السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله" (أع٧: ٥٥، ٥٦) .

وصار الشهيد الأول فى المسيحية . وكل رؤساء الكهنوت فى العالم يطلبون شفاعته وبركته.. تُرى هل لو أعطاه الله أن يكون قساً أو أسقفاً، أكانت حالته ستؤول إلى أفضل؟!

✠ ✠ ✠

النقطة الثانية هى أن الله لا ينظر إلى بداية حياتنا، بل إلى نهاية سيرتنا. ونضرب لذلك مثلاً بالقديس أوغسطينوس :

أكان ممكناً أن يحتج على عبارة "حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان" . فيقول "أنت يارب لم تهبنى شيئاً!!" .

فقد وُلد أغسطينوس بعيداً عن الإيمان، من أب غير مؤمن. وهو نفسه عاش بعيداً عن الإيمان سنوات طويلة جداً من حياته . ولم يستطع أن ينال الإيمان عن طريق العقل ولا عن طريق الفلسفة، وعاش فى شهوات العالم ونجاساته. ولم ينل نعمة المعمودية إلا وهو فى الثلاثين من عمره، ومعه ابنه من الخطية!!

إنها نقطة بدء رديئة جداً، كان يمكن معها أن يصرخ إلى الله قائلاً "ما هو النصيب من الإيمان الذى قسمته لى؟! لا شئ..!! لكنه جاهد ووصل أخيراً. وفتح الله طاقات الإيمان، بكل سعة وكل فيض وكرم، حتى صار من أبطال الإيمان، ونبعاً من الروحيات أرتوى منه جيله وما بعده من أجيال ...

ولما صار أسقفاً، لم يقل : "ما هذه المدينة الصغيرة هبّو Hippo التى قسمت لى" إنه لم يقل هذا. ولكن هذه المدينة الصغيرة كبرت به، واشتهرت به. وصغرها لم يؤثر إطلاقاً على شهرته الواسعة فى العالم المسيحى كله، التى نبعت من إيمانه وروحياته .

✠ ✠ ✠

وعلى العكس ، كم من أشخاص بدأوا بداية كبيرة وسقطوا !!

من أمثلة هؤلاء : يهوذا الأسخريوطى ، الذى كان رسولاً وواحداً من الإثنى عشر. ولم يعش فيما قسم الله له، وهلك وكان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (مر١٤: ٢١) .

ومثال ذلك أيضاً بلعام، الذى بدأ نبياً.. وذكر بالوحى نبوءات جميلة عن ربنا يسوع المسيح. وقال عن نفسه وهو يتنبأ: "وحى بلعام بن بعور. وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلىّ. الذى يرى رؤى القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين.." (عد٢٤: ١٥، ١٦) .

مسكين ! لم يثبت فيما قسم له الله نصيباً من الإيمان !!

✠ ✠ ✠

بل ماذا نقول عن الشيطان، الذى بدأ حياته رئيس ملائكة! وقيل عنه إنه "خاتم الكمال، ملآن حكمة وكامل الجمال" . وأيضاً قال له الله "أنت الكاروب المنبسط المظلل. وأقمتك على جبل الله المقدس .. أنت كامل فى طرقك من يوم خُلقت حتى وجد فيك إثم" (حز٢٨: ١٢- ١٥). ثم سقط ذلك الكامل، ولم يحتفظ بما قسم له الله نصيباً من الإيمان! بل فقد إيمانه وكان سقوطه عظيماً جداً .

✠ ✠ ✠

يعوزنى الوقت إن تكلمت عن ديماس مساعد القديس بولس الرسول (كو٤: ١٤) وكيف انتهى (٢تى٤: ١٠) . ونيقولاوس أحد الشمامسة السبعة المملوئين من الروح القدس والحكمة (أع٦: ٣، ٥). وكيف ضلّ عن الإيمان (رؤ٢: ١٥). وكثيرين غيرهم من مساعدى بولس الرسول الذين كان يذكرهم مراراً، وأخيراً قال عنهم "والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح" (فى٣: ١٨) .

أمر محزن للغاية، أن يقسم الله للبعض نصيباً من الإيمان، فيفقده ويضيعه بعيش مسرف!! ثم يهلك!

وبعد ، إن موضوعنا هذا طويل .

✠ ✠ ✠

بقى أن أحدثك عن الإيمان الذى قسمه الله لنا،

✠ ✠ ✠

كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان

فى الحقيقة أن مقدار الإيمان عند الناس يختلف من واحد إلى آخر. يختلف فى نوعيته، وفى كميته، وفى ثباته .

المستوى العالى :

هناك نوع من الإيمان يمكنه أن ينقل الجبال .

مثل إيمان القديس سمعان الخراز والبابا ابرآم بن زرعه.

هذا الإيمان الذى تحدث عنه ربنا يسوع المسيح فقال "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك، فينتقل. ولا يكون شئ غير ممكن لديكم" (مت١٧: ٢٠) (مت٢١: ٢٢) . وقد تحدث القديس بولس الرسول عن مثل هذا لإيمان فى (١كو١٣: ٢) .

✠ ✠ ✠

من مثل هذا الإيمان، إيمان موسى النبى الذى شق البحر الأحمر بعصاه (خر١٤: ٢١) . والذى ضرب الصخرة بعصاه، فانفجر منها الماء .. (خر:١٧ ٥، ٦). بنفس الإيمان أيضاً، استطاع يشوع بن نون أن يعبر نهر الأردن هو وشعبه (يش٣: ١٣- ١٧). وأن يضعوا فى داخل النهر تذكاراً لهذا العبور (يش٤: ٩).

كون موسى يضرب البحر بعصاه، وهو واثق أن البحر سينفتح وينشطر إلى شطرين، ويعبر الشعب فيه على اليابسة، هذا نوع من الإيمان العجيب العميق. وبخاصة أن هذا الأمر لم يكن قد حدث مثله من قبل... وكونه يضرب الصخرة بعصاه لتخرج ماء، هذا نوع من الإيمان العجيب العميق، وبخاصة لأنه لم يحدث مثله من قبل .

وليس المطلوب منك أن يكون لك مثل هذا الإيمان حرفياً.. ولكن كما قال القديس

بولس الرسول : **"هذه الأمور حدثت مثالاً لنا" (١كو١٠: ٦)** .

فإن آمنت أن الله يمكن أن يشق لك فى البحر طريقاً، ويمكن أن يخرج لك من الصخرة ماء، فليس المقصود هنا هو مجرد المعنى الحرفى للمعجزة!! إنما يكفى أن تؤمن أن الله – فى أصعب الأوقات – يمكن أن يُوجِد لك حلاً، وأنه قادر على كل شئ . وكما قال السيد الرب : **"كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر٩: ٢٣)** ..

هذا "إن كنت تستطيع أن تؤمن" . وكما قال القديس بولس الرسول "أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى٤: ١٣) .

يكفى أن تؤمن أن الله كما عمل فى القديم يستطيع الآن أن يعمل، بنفس القوة، وبنفس الرغبة فى الإنقاذ. وهكذا قال له أيوب الصديق قديماً "علمت أنك تستطيع كل شئ، ولا يعسر عليك أمر" (أى٤٢: ٢) .

✠ ✠ ✠

من نوعية هذا الإيمان الشعب فى البرية .

إيمانه بهداية الله له ، عن طريق السحابة التى تظلله بالنهار، وعمود النار بالليل (خر١٣: ٢١). وإيمانه بالطعام الذى يصله يوماً بيوم. لأنهم ما كانوا يخزنون المنّ، وإلا فإنه يدوّد (خر١٦: ١٩، ٢٠). حسن جداً أن نطلب طعامنا يوماً بيوم .

إنه يذكرنا بإيمان العصفورة، التى لم تتعود مطلقاً من جهة غذائها أن "تجمع إلى مخازن" (مت٦: ٢٦). إنما تلتقط مقدار ما تحتاجه وقت الأكل فقط، وتترك كل ما أمامها من غذاء، وتطير "وأبوكم السماوى يقوتها" .

✠ ✠ ✠

المستوى العالى من الإيمان ، له أمثلة كثيرة .

منها إيمان إيليا النبى الذى أغلق السماء فلم تمطر. وقال فى جرأة وإيمان "إنه لا يكون طلّ ولا مطر فى هذه السنين، إلا عند قولى" (١مل١٧: ١). وقد كان، ولم تمطر السماء ثلاث سنين وستة أشهر "ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها" (يع٥: ١٧، ١٨) .

من أمثلة هذا الإيمان القوى أيضاً، الإيمان الذى يقيم الموتى، ويخرج الشياطين، ويشفى الأمراض المستعصية، هذا الذى كان متوافراً بكثرة فى عصر الآباء الرسل، حسب وعد الرب لهم (مت١٠: ٨) . ولعله قد ندر فى أيامنا هذه .

هناك نوع آخر من الإيمان، مستوى يمكن أن يكون لنا جميعاً، قال عنه القديس بولس الرسول "أما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا تُرى" (عب١١: ١) .

الإيقان بأمور لا تُرى :

هذا أيضاً هو الذى قال عنه الرب للقديس توما الرسول "طوبى للذين آمنوا دون أن يروا" (يو٢٠: ٢٩) .

ونحن لنا هذا الإيمان من الناحية العقائدية، ويبقى أن يكون لنا أيضاً من الناحية الإختبارية .

عكس ذلك: الملحدون الذين لا يؤمنون بوجود الله، لأنهم لا يرونه. كما لو كانوا يريدون أن يدخل الله فى نطاق حواسهم المادية. أيضاً الصدوقيون الذين لا يؤمنون بالملائكة والأرواح، أيضاً لأنها لا تُرى. وكذلك بعض العلماء الذين لا يؤمنون بالمعجزات، وبالذات لا يؤمنون بالقيامة العامة، لأنها لا تدخل فى نطاق عملهم ولا فى نطاق معاملهم.

✠ ✠ ✠

أما من الناحية الاختبارية، فالإيمان فيها شئ مفرح، وهو يعطى العقل سلاماً، ويمنح القلب ثقة واطمئناناً .

إنسان فى ضيقة يؤمن أن المعونة الإلهية سوف تأتيه. هو واثق من هذا تماماً. تسأله كيف؟ يقول: لست أعرف، ولكنى واثق. أنا فى ملء الثقة أن هذه المشكلة سوف تُحلّ . لا أدرى متى ولا كيف . لكنى أؤمن جيداً أن الله لابد سيتدخل ويحل المشكلة. لا تسألنى متى ولا كيف. حقاً كما قال الرسول عن الإيمان إنه الثقة بما يُرجى (عب١١: ١) .

فى احتياجاتى ، أقول إن هذا الذى أحتاجه سيرسله الله. ولا يهمنى متى سيرسله ولا كيف. ولكنى سعيد أن الله سوف يرسل، حسب وعده الإلهى .

ولذلك فهذا الإيمان العملى، يمنح الراحة والإطمئنان .

القديس بطرس الرسول كان ملقى فى السجن، والملك هيرودس كان مزمعاً أن يقدمه بعد الفصح لليهود ليقتلوه. ومع ذلك نام بطرس فى السجن نوماً ثقيلاً مطمئناً. حتى أن الملاك الذى أتى لينقذه، ضرب جنبه ليوقظه (أع١٢: ٧)... من أين أتاه هذا الإطمئنان والنوم، وهو سجين سيقدم للموت؟ لاشك من الإيمان .

المؤمن يترك مشاكله فى يدى الله، وينساها هناك .

هو واثق من محبة الله، ومن تدخله، ومن اهتمامه بهذه المشاكل، ومن قدرته على حلها. لذلك لا يشغل المؤمن نفسه بهذه المشاكل، إنما يتركها إلى الله. ولا يتعب من جهة التفكير فيها وفى طريقة حلها، أو فى صعوبة حلها .

أحياناً حينما يضعف الإيمان ، يبدأ العقل يشتغل وحده .

والعقل لا يتعارض مع الإيمان. ولكن لكل منهما مستواه وقدرته وحدوده. الحصان يمكن أن يوصلك إلى مشوار معين، بينما الطائرة لها مستوى آخر فى توصيلك. ولكنهما لا يتعارضان..

✠ ✠ ✠

المؤمن فى ثقته بالله، لا يشك . بل يؤمن به ويعتمد عليه .

لنأخذ مثلاً بأبينا ابراهيم فى تقديم ابنه محرقة لله .

كان أمر الله واضحاً، وكان يبدو صعباً جداً. قال له الرب: "خذ ابنك، وحيدك، الذى تحبه، اسحق.. واصعده لى محرقة.." (تك٢٢: ٢). فتصرف ابراهيم بالإيمان، دون أن يسمح للعقل بأن يتدخل ليعطله لم يقل إنه وحيدى، وصعب جداً على قلب الأب أن يذبح وحيده ولم يقل إن هذا الأمر لا يتفق مع وعود الله بأن نسلى سيكون كعدد نجوم السماء ورمل البحر!

لكن إيمان ابراهيم ، كان يثق بأن الله صانع الخيرات، وقادر على كل شئ. فبكونه صانعاً للخيرات، لابد أن أمره يحمل الخير لى ولابنى. ومادام هو قادراً على كل شئ، فحتى إن ذبحت اسحق ومات، فإن الله قادر أن يقيمه من الموت، ويعطينى منه نسلاً.. وهكذا قال القديس بولس الرسول "بالإيمان قدّم ابراهيم اسحق وهو مجرّب.. الذى قيل له إنه باسحق يُدعى لك نسل. إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً" (عب١١: ١٧- ١٩) . وهكذا بالإيمان أطاع الله، وهو مطمئن .

✠ ✠ ✠

الذى لا يؤمن، من الصعب عليه أن يطيع .

فبدلاً من الطاعة، يدخل مع الله فى مناقشات كثيرة: لماذا يارب هذا الأمر؟ وما الحكمة فيه؟ اقنعنى أولاً لكى أستطيع أن أطيع، وأنا مستريح.. ولكن كلما يتعمق الإنسان فى الإيمان، فإنه يطيع دون أن يسأل. وإن ألح عليه الفكر، يقول: ليس المهم هو أن أفهم وأن أقتنع، إنما يكفى أن أؤمن أن ما يرضاه الرب لى، لابد أن كله للخير وفيه منفعتى. فلا يحق أن أجادل..

بل يدخلنى الإيمان فى حياة التسليم . والتسليم معناه أن أسلّم لله حياتى كلها .

أسلّم له الفكر والقلب والإرادة، وكل شئ، برضا وبثقة.

لذلك فحياة الإيمان لا تعرف الشك ولا الخوف .

✠ ✠ ✠

بالإيمان سار التلاميذ وراء المسيح، وهم لا يعلمون إلى أين؟ فالسيد المسيح نفسه "لم يكن له أين يسند رأسه" (لو٨: ٢٠). ولم يكن له محل إقامة. بل ساروا وراءه، وليس لهم كيس ولا مزود، ليس لهم ذهب ولا فضة. كل ما كان لهم هو الإيمان به، وبأنه سوف يدبر كل شئ، ولا يدعهم معوزين شيئاً ...

وهكذا بالإيمان كرزوا فى بلاد غريبة، وتحملوا الكثير من المتاعب والآلام.. "كمضلين .. كمجهولين، كمائتين.." وكما قال القديس بولس في ذلك "كحزانى، ونحن دائماً فرحون. كفقراء، ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا، ونحن نملك كل شئ" (٢كو٦: ٨- ١٠) .

✠ ✠ ✠

الإيمان لا تعوقه العقبات ، ولا يخاف شيئاً .

إذا ما دخله الخوف، يكون الإيمان قد ضعف .

القديس بطرس الرسول، فى إيمانه استطاع أن يمشى مع السيد الرب على الماء. ولما خاف ووقع وكاد يغرق، سمع توبيخ الرب قائلاً له "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟!" (مت١٤: ٢٨- ٣١) .

إننا نؤمن نظرياً بصفات الله. ولكن من الناحية العملية، ما مدى فاعلية هذا الإيمان بصفات الله فى حياتنا العملية. فإن كنا نؤمن بأن الله هو الحافظ لنا، فإننا نقول مع داود النبى "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣) .

لذلك إن وجدت خوفاً فى قلبك، إعرف أن إيمانك بدأ يهتز .

أقصد إيمانك بمحبة الله، وحفظه، وقوته، وقدرته على كل شئ. فإن آمنت بهذا كله، لن يدخل الخوف إلى قلبك... كذلك إن أدركتك الشكوك ...

✠ ✠ ✠

على أية الحالات ، فإن الإيمان كثيراً ما يتعرض لاختبارات .

التجارب هى نوع من الاختبار . والتخلى الجزئى هو أيضاً لون آخر من الاختبار. وتفوق الأعداء لون من الأختبار ... ووصية العشور أختبار آخر ...

حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان (رو١٢: ٣)

إيمان كل إنسان يختلف عن غيره . ليس فقط فى كميته، كما تُترجم الآية أحياناً "مقداراً من الإيمان" .. وإنما أيضاً فى نوعيته. أى نوع من الإيمان عندك؟ هل هو مجرد إيمان عقلى؟ أم هو إيمان عملى، يتخلل حياتك كلها. وهكذا يقول القديس بولس الرسول :

"جرّبوا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان امتحنوا أنفسكم" (٢كو١٣: ٥) .

إن عبارة (الإيمان) عبارة قوية جداً وعميقة، وواسعة فى مداها. بحيث عندما نقول عن شخص إنه إنسان مؤمن، إنما نقصد أن له علاقة بالله من الصعب أن نحددها ...

✠ ✠ ✠

صاحب هذا القدر والنوع من الإيمان، يدرك تماماً وجود الله فعلياً فى حياته. ليس بالإيمان النظرى الفلسفى، إنما كما يقول إيليا النبى فى ثقة :

"حىّ هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه" (١مل١٨: ١٥) .

إذن ليس هو الرب الذى يؤمن به نظرياً من الكتب، إنما هو أمامه. إنه يراه، ولكن ليس بالعين المادية، لأن الله روح (رو٤: ٢٤) لا يُرى بالحواس. إنما هو يراه أمامه بالإيمان .

وبنفس المعنى يقول داود النبى "تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع" (مز١٦: ٨). إنه يراه عملياً، ويتأثر بذلك عاطفياً، فيقول "لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى" (مز١٦: ٩) .

✠ ✠ ✠

وهكذا بالإيمان يعيش المؤمن فى فرح ، مطمئناً لا يخاف .

عبارة "الله موجود" بالنسبة إليه ليست مجرد جزء من قانون الإيمان، إنما هى كل

قانون حياته. إن واجهته مشكلة، يؤمن أن الله موجود وسيحلّ هذه المشكلة. وإن قام عليه الأعداء يقول "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣) .

✠ ✠ ✠

الله بالنسبة إلى المؤمن، ليس هو إله مناسبات، ولا مجرد إله المواضع المقدسة، إنما إله كل وقت إله كل مكان .

فهو لا يحتاج أن يذهب إلى الكنيسة لكى يلتقى به. ولا يحتاج إلى قراءة الكتاب المقدس، لكى يتذكره، ويتذكر وصاياه. بل هو معه فى كل مكان وكل وقت. هو أمامه، وعن يمينه، يصحبه فى كل موضع. حتى عندما ينام، يكون معه، وقد يتمتع به فى أحلامه.. إنه يقول مع عذراء النشيد "شماله تحت رأسى، ويمينه تعانقنى" (نش٢: ٦) .

المؤمن لا يبحث عن الله خارجاً عنه، فى الكنائس أو الكتاب المقدس. إنما يؤمن أن الله فينا، ونحن فيه .

إنه إله الحياة كلها، نراه فى حياتنا. نشعر به فى كل الأحداث التى تمر بنا. نراه فى كل الأخبار. نؤمن أنه هو الذى يحرك الكون ويدير دفته. نراه فيما مرت علينا من أحداث فى الماضى، ونراه فى ما نتوقع أن يعمله من أجلنا ومن أجل العالم فى المستقبل. لذلك نحن فى فرح دائم واطمئنان فى إيماننا بوجود الله وعمله .

✠ ✠ ✠

المؤمن – فى عمق المشكلة – يكون فى عمق الثقة بأن الله سيتدخل ويحلها .

إنه يؤمن أن الله موجود، ويؤمن أن الله ضابط الكل، وأنه "لا يترك عصا الخطاة تستقرعلى نصيب الصديقين" (مز١٢٥: ٣). يؤمن أن الله يحبه، وهو دائماً يعمل لأجله. ويؤمن أن الله قوى وقادر على كل شئ. وكما أنقذه فى الماضى، سينقذه الآن. وهكذا لا تزعجه المشكلة، لأنه يقابلها بعمل الله. وهذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن فى شعورهما أمام المشكلة: المؤمن يكون مطمئناً، وغير المؤمن يكون منزعجاً. فالمؤمن واثق أن الله معه فى المشكلة. وغير المؤمن يرى أنه واقف وحده ...

✠ ✠ ✠

إن الإيمان ليس فضيلة منفردة بذاتها، بل تتصل بفضائل عديدة .

فهى مرتبطة بالسلام والهدوء والإطمئنان. كذلك فإن المؤمن إذ يؤمن بوجود الله الذى

لا يراه فى كل عمل، فإنه يتخشع، ولا يجرؤ أن يرتكب الخطية أمـام اللـه.. بـل حتـى فـى فكره أيضاً وفـى قلبـه، يستحى مـن اللـه الفـاحص القلوب والقـارئ الأفكـار. ويقـوده هـذا الإيمان إلى نقاوة القلب والفكر ...

والمؤمن يستطيع أن يصل إلى حياة التسليم، فيترك حياته فى يد الله .

يفعل هذا وهو مطئمن، لا يناقش اللـه فيمـا يفعلـه بـه . لا يقـول: مـاذا سـأكون؟ ومتـى أكون؟ وبأية وسيلة. إنه لا ينشغل بالحاضر ولا بالمستقبل، ولا تتعبـه الأفكـار والتكهنـات. يكفى أن حياته فى يد الله. وهذا يجعله مستريح البال ، مطئمن القلب .

✠ ✠ ✠

حقاً إن بساطة الإيمان، تؤدى إلى السعادة والراحة .

عكس ذلك أشـخاص لا يعيشـون بالإيمـان، بـل هـم دائمـو التفكـير، وتتعبهـم أفكـارهم، وتقودهم إلى الهمّ وإلى القلق، وإلى البحث عن طرق وحيل بشرية تعينهم، وقد تكون طرقاً فيها العديد من الخطـايا. وكل ذلك لأنهم اعتمدوا على فكرهم البشرى، وليس علـى الإيمـان بالله وعمله. وهكذا يقول الكتاب فى ذلك "توكل على الله بكل قلبك. وعلى فكرك لا تعتمد" (أم٣: ٥) .

الإيمان يقود إلى السلام الداخلى وإلى الفرح بالله .

والمؤمن يضع أمامه قول الكتاب "كـل الأشـياء تعمـل معـاً للخـير، للذيـن يحبـون اللـه" (رو٨: ٢٨) . وبهذه الثقة فى خيرية الله وصلاح عمله، يكون المؤمن فـى سـلام داخلـى، مهما كانت الأمور فى ظاهرها غير ذلك. فهو مؤمن أن الله قـادر أن "يخـرج مـن الجـافى حلاوة" (قض١٤: ١٤). وأنه قادر أن يحول الشر إلى خير، كما قال يوسف لأخوتـه "أنتم قصدتم لى شراً. أما الله فقصد به خيراً" (تك٥٠: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

إن المؤمن الذى يسلّم لله حياته، لا يشترط عليه شروطاً .

ولا يطلب منه ضمانات، ولا يضع أمامه تحفظات!! إنما هو يسلّم الحياة للـه، وينسـاها فى يد الله الحانية، ولا يحمل بعد ذلك هماً، ولا تحاربه الشكوك والأوهام. إنه مؤمن تمامـاً أن الله هو صانع الخيرات، ولابد سيصنع به خيراً .

والمؤمن أيضاً لا يخشى العقبات، ولا يعترف بالمستحيل .

إنه يؤمن بقول الرب "كل شئ مستطاع عند الله" (مر١٠: ٢٧) . بل أكثر من هذا قول

"كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر ٩: ٢٣) . فمادام كل شئ مستطاعاً، إذن هو لا يضطرب، ولا يحمل هماً، ولايشك .. إذن فكل شئ – فى دائرة الإيمان – سهل وممكن .

✠ ✠ ✠

إن الإيمان درجة أعلى من العقل بكثير .

العقل له دائرة محدودة يعمل فيها . أما الإيمان فلا حدود لعمله ..! إنه يدخل فى عبارة "كل شئ" ، كما قال القديس بولس الرسول "استطيع كل شئ، فى المسيح الذى يقوينى" (فى٤: ١٣). وعبارة "كل شئ" تصل فى مفهومها إلى المعجزة. فالله قادر أن يصنع المعجزات. والمؤمن يثق بهذا تماماً. بينما العقل لا يدرك المعجزة، إنما يحولها إلى الإيمان.

لا يتعب الإنسان سوى عقله. أما إيمانه فيريحه فى كل شئ .

عندما يرى العقل جميع الأبواب مغلقة أمامه، فإن الإيمان يرى باباً لله مفتوحاً، غير تلك الأبواب التى رآها العقل مغلقة. حقاً ما أجمل قول القديس يوحنا الرائى "نظرت، وإذا باب مفتوح فى السماء" (رؤ٤: ١) . إن باب الله هو دائماً مفتوح. وقد وعدنا الرب قائلاً بأنه "يفتح، ولا أحد يغلق" (رؤ٣: ٧). وقال "هأنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً. ولا يستطيع أحد أن يغلقه" (رؤ٣: ٨). مبارك أنت يارب فى وعودك. ونحن بالإيمان نرى أبوابك المفتوحة أمامنا، التى لا يستطيع أحد أن يغلقها ...

✠ ✠ ✠

المؤمن – إذا ضعف إيمانه – يحتاج إلى أدلة وبراهين .

لا يقبل الواقع ، ويحتاج إلى أدلة وبراهين تقنعه . ولكن المؤمن دائماً مقتنع بتدبير الله. واقتناعه مبنى على ثقته بمحبة الله وحكمته وحسن تدبيره. وفى ظل هذه المحبة يقبل من الله كل شئ. إنه واثق كل الثقة فى محبة الله. ولا يستطيع أن يقول لله "أثبت لى أنك تحبنى"! فمادامت المحبة موجودة، فلا حاجة إذن إلى البراهين التى لا يدفع إلى طلبها إلا الشك!! إن البراهين تذكرنا بالعصا التى يتوكأ عليها إنسان لا يقدر على المشى. أما القادر فلا يحتاج إلى عصا .

✠ ✠ ✠

إن الفلاح البسيط يستطيع أن يؤمن بما لا يؤمن به الفيلسوف !

فى إحدى المرات كان فيلسوف ملحد يتمشى وسط الحقول، فرأى فلاحاً ساجداً على

الأرض يصلى، ويكلم الله بكل ثقة وإيمان ...

فوقف الفيلسوف متعجباً من هذا الفلاح البسيط الذى يكلّم كائنــاً لا يـراه، ويسـجد أمامـه بكل خشوع. وقال فى نفسه: إننى مستعد أن أتنازل عن كل فلسفتى، إن أمكننى أن أحصـل على بساطة هذا الفلاح !

✠ ✠ ✠

إن المؤمن الحقيقى ليس يؤمن فقط بوجود اللــه، بـل يؤمـن أيضـاً بكـل صفـات اللـه، وبكل ما يخص الله ويتعلق به .

يؤمن بحكمة الله ، وبمشيئته الصالحة. ويؤمن بوصايا الله، وبكل وعـوده لنـا. ويؤمـن بالمعجزات وقدرة الله على كل شئ . ويؤمن بالروح والخلود وحياة الدهر الآتـى.. يؤمـن بكل ذلك عن ثقة لا تقبل الشك، وليس كأمور مفروضة عليه ...

وتظهر نتيجة إيمانه فى حياته وتصرفاته .

يقول فى إيمانه "يارب لتكن مشيئتك . لأن مشيئتك هى صالحة ولخيرنا. حتى إن كنت أحياناً لا أدرك عمق حكمتها. ولكنى من كل قلبى أؤمن بأن كل ما تشاءه هو خير وحكمة.

✠ ✠ ✠

ولهذا فإن المؤمن يعيش باستمرار فى حياة الشكر .

فحياة الإيمان لا تعرف التذمر أطلاقاً . لأن التذمر هو احتجاج على مشيئة اللــه، حتـى لو كان احتجاجاً صامتاً!! هو عدم قبول لمشيئة الله، واعتداد بالفهم البشرى الخاص. وفــى هذا لون من الغرور .

أما المؤمن ، فيقول فى قلبه : ليس مهماً أن أفهم . فعدم فهمــى لا يمنـع مـن أن مشـيئة الله حكيمة، سواء فهمتها أنا أو لم أفهم! .. هل كان يوسف الصديق يدرك الحكمــة الإلهيـة فى القائه فى السجن وهو برئ؟! كلا، لم يفهم وقتذاك ، ولكنه فهم فيما بعد ...

✠ ✠ ✠

إن الإيمان يحتاج إلى استعداد داخلى فى القلب .

وهو إلى جوار ذلك ينمو بالخبرة وبالعشرة مع الله، حيث يـدرك الإنسـان عملياً كيـف أن حياة الإيمان تجلب له السعادة والسلام. وفيها يمكنه أن يثق بالله فى كل ما يعمله معـه، وفى كل ما يستطيع الله أن يعمله. ولا يهتز مهما كانت الظروف الخارجية ...

في جسد واحد
أنتم أعضاء بعضكم لبعض

(رو ١٢ : ٥)

قال الرسول "كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان. فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة، ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض، كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا.." (رو١٢: ٣- ٦) .

الرسول يقول هنا إننا جسد واحد، وأعضاء بعضنا لبعض .

وبهذا الشكل بيّن نوع الصلة التى تربط بيننا. إنها ليست مجرد زمالة أو صداقة، أو قرابة أو أخوة. بل أكثر من هذا إننا أعضاء بعضنا لبعض: فلان هذا هو عينى التى ترى ما لا أراه، أو هو لسانى الذى يتحدث نيابة عنى، أو هو يدى التى تمتد وتعمل. كل منا عضو للآخر .

✠ ✠ ✠

أعطيكم مثالاً واضحاً جداً ، وهو الشجرة :

فيها الجذر الذى هو مخفى فى الأرض، والساق الذى يرتفع إلى فوق، والفروع الممتدة هنا وهناك. وفيها الأوراق والأزهار والثمار. الجذر لا يراه أحد. كل ما نراه هو الشجرة الجميلة الوارفة الأغصان، التى نتمتع بثمرها، أو نستظل تحتها.. من فينا يفكر فى الجذر الذى تحت الأرض؟!

الجذر عضو مخفى، يخفى ذاته لكى يظهر غيره. ومع ذلك هو الذى يحمل الشجرة كلها، وهو الذى يمدها بالغذاء اللازم لحياتها.. أتراك تقبل أن تكون مثل هذا الجذر، تختفى ليظهر غيرك، أم يتعبك هذا الموضوع؟

ماذا يحدث لو أن جذر الشجرة أصيب بحب الظهور ؟!

لو أنه رفض أن يعيش طول عمره مدفوناً تحت الأرض!! ولو أنه قال للساق: كفاك ارتفاعاً وشموخاً فى الفضاء. فلنتبادل الوضع بيننا، أنا عاماً وأنت عاماً، فى الظهور والإختفاء .. !!

لو حدث، لضاعت الشجرة تماماً، وارتبكت أمورها، وانتهت حياتها. ولكن جذر الشجرة راضٍ بحالته، لا ينافس الساق. بينما الساق يقول له : نم يا أخى مستريحاً، وأترك لى أن أحتمل العواصف والأهوية واختلاف الجو. وأنا أعترف أنك أقدم منى عمراً، وأكبر منى مقاماً، وأنت مصدر حياتى، مصدر غذائى. أنا بك أعيش وأتحرك، وأتعلم منك التواضع، حتى إن كنت أنا عملياً غير قادر عليه .

✠ ✠ ✠

إنها حياة التعاون معاً، تقدمها لنا الشجرة، بجذرها وساقها. مثلما تقدمها لنا أيضاً قصة الأعمى والكسيح :

تقول القصة إن إثنين ، أحدهما أعمى والثانى كسيح ، كانا يجلسان إلى جوار شجرة محملة بالثمر. الأعمى لا يرى الثمر . والكسيح يراه ولا يستطيع الوصول إليه ولا الحصول عليه. وأخيراً وجدا الحل: الأعمى حمل الكسيح على كتفه، وسار به حيثما يشير عليه، إلى أن وصل إلى الثمار فقطفها، واقتسماها معاً. كل منهما عمل حسب الموهبة المعطاة له.

إنها قصة متكررة للعمل الجماعى الذى تتعدد صوره فى الحياة :

هناك عمل لا تستطيع أن تقوم به وحدك. ولكن يمكنك أن تتمه متعاوناً مع غيرك.

✠ ✠ ✠

وهناك أمثلة كثيرة لهذا الأمر. منها فريق الكرة مثلاً: ففيه لا يستطيع لاعب بمفرده أن يعبر الملعب كله ليحصل على هدف. ولكن الكرة يمررها لاعب إلى آخر، وثالث إلى رابع. وهكذا إلى أن يتمكن أحدهم من أن يصيب هدفاً، ويصبح مكسباً للفريق كله .

العمل بروح الفريق يسمونه Team Work .

وبهذا الأسلوب يعمل كل أعضاء الجسد. كل عضو له عمله الذى يتميز به عن غيره، ولكن الكل معاً فى عمل واحد متكامل .

✠ ✠ ✠

هذا العمل المتكامل المتنوع ، هو عمل الكنيسة .

وقد شرحه الرسول بقوله إن الله "أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين. لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح" (أف٤: ١١، ١٢) .

وأيضاً وزع الله أنواع مواهب ...

ليس الجميع سواسية فى هذا الأمر . بل إن الله منح البشرية مواهب متنوعة (ولا أميل إلى ترجمتها بمواهب مختلفة). إنها أنواع فى تكامل وليس فى أختلاف. ويقول الكتاب فى هذا "أنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد. وأنواع خدمات موجودة، ولكن الرب واحد .. الذى يعمل الكل فى الكل . ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة.." (١كو١٢: ٤- ٧) .

✠ ✠ ✠

ليس فى الأمر ظلم، لكنها حكمة فى التوزيع، لحكمة فى التدبير .

لقد وزع الله أنواع المواهب ، لأننا محتاجون إلى كل هذه الأنواع لتعمل معاً من أجل خير المجموع .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الأعمال المدنية: نحن محتاجون إلى عامل النظافة، ولمن يكنس للنظافة. كما أننا محتاجون إلى الكاتب والمحاسب للأعمال الإدارية. كما نحتاج إلى المحافظ الذى يدير البلد، وإلى الشرطى لكى يحفظ الأمن.. فإن أصر الكل على الحصول على المناصب الكبيرة، فمن إذن يقوم بالأعمال الخدمية المتعددة. ولكن تنوع الأعمال لازم لسلامة الكل ..

وهكذا فى الجسد الواحد ، أعضاء متنوعة . وكما يقول الرسول إننا أعضاء بعضنا للبعض ...

✠ ✠ ✠

يذكرنا هذا الأمر بقصة موسى وهارون .

موسى كان نبياً لله، ولكنه كان ثقيل الفم واللسان، وليس صاحب كلام (خر٤: ١٠).

فلما أعتذر عن قبول الخدمة لهذا السبب، دفع له الرب هرون أخاه. وقال له "تكلمه، وتضع الكلمات فى فمه.. وهو يكلم الشعب عنك. هو يكون لك فماً.." (خر ٤: ١٥، ١٦). وأصبح هارون يكمل موسى. هارون هو فم موسى، وموسى هو فكر هارون .

كما يقول إنسان لآخر : يمكنك الاعتماد علىّ، وسأكون ذراعك اليمنى، أى أعمل لك عمل الذراع. أو كما تقول الدسقولية إن الشماس هو عين الأسقف. أى يرى ما هى الأسرات التى تحتاج إلى خدمة ويخبره بها، فيقدم لها الأسقف الرعاية اللازمة لها. فصار الشماس عيناً للأسقف .

✠ ✠ ✠

بهذا يكمل العمل الجماعى، بالمواهب المتنوعة المتعددة .

فإذا عمل كل عضو ما يجب عليه، يتكامل العمل ويتم ...

وذلك حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان، فى توزيع المواهب: منح الله موهبة الفن لفنان يهتم بالجمال وتصويره. كما منح موهبة الفكر لفيلسوف يبحث عن الحقيقة. ومنح القدرة على العمل لكثيرين من أصحاب اليد العاملة، يكافحون ويكدحون وربما لا يكون لهم أى أنتاج فكرى ...

✠ ✠ ✠

مشكلتنا أننا ننتقد الذين ليست لهم مواهب تعجبنا وتجذبنا .

لنفرض أن شخصاً أعطاه الله موهبة التدبير، ولم يعطه موهبة التعليم. لماذ ننتقده ونقول إنه ليس من رجال الفكر؟! كلا، إن الكتاب يعلمنا بأن المعلم فى التعليم، والمدبر فى التدبير (رو١٢: ٧، ٨). وكلاهما عضوان فى جسد الكنيسة يكملان بعضهما بعضاً. والكنيسة فى حاجة إلى كليهما ...

مثل ماكينة كل قطعة فيها لها عمل خاص . ومن مجموعة عمل كل القطع، تقوم الماكينة بعملها. وإن نقص مسمار واحد، لا تعمل .

✠ ✠ ✠

العجيب ، أن كل إنسان معجب بذاته، يريد أن يكون الجميع مثله !!

وهذا أمر غير ممكن عملياً . وواجبنا أن نكتشف موهبة كل شخص ، ونساعده على صقل موهبته، واستخدامها بأسلوب سليم للخير . وميدان العمل فى حاجة إلى كل المواهب، هذه التى جعلها الله متنوعة .. مثل باقة متنوعة الألوان من الزهور والورود.

ولكنها تعطى صورة رائعة الجمال فى اجتماعها معاً ...

✠ ✠ ✠

هذا لا يمنع أن يوجد شخص واحد متعدد المواهب .

فالقديس بولس الرسول مثلاً كانت له مواهب متعددة فى الكنيسة . فقد كان رسولاً ومعلماً وواعظاً وفيلسوفاً، وكاتباً له تأثيره وشروحاته فى كتاباته. وكان مدبراً للكنيسة، يهتم بجميع الكنائس (٢كو١١: ٢٨). وكان كارزاً جريئاً يقف أمام الملوك والولاة فى جرأة (أع٢٤، ٢٦). وكانت له مواهب روحية فى الشفاء، وفى إحدى المرات أقام ميتاً ((أع٢٠: ١٠-١٢)). وكانت له موهبة التكلم بألسنة (١كو١٤: ١٨). وكان أيضاً يتقن عمل اليدين. وقال "حاجات أخوتى عملتها، هاتان اليدان" (أع٢٠: ٣٤).

✠ ✠ ✠

كان بولس الرسول متعدد المواهب. وكذلك كان القديس باسيليوس الكبير .

كان رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية، وله موهبة التدبير الكنسى . وكان لاهوتياً كبيراً أستطاع أن يرد على الأريوسيين. وكان معلماً ومرشداً . وكان رجل تشريع له قوانين كنسية معروفة. وكان من مؤسسى الرهبنة فى منطقته ، ومن واضعى قوانين للرهبنة. وكان من البارزين فى العمل الإجتماعى، وقد أنشأ مؤسسة فيلوكاليا لخدمة الفقراء والمحتاجين. وكان رجلاً ناسكاً. وهكذا كان مجموعة مواهب فى شخص واحد .

كل واحد حسبما قسم له الله مقداراً من الإيمان، سواء كان من أصحاب الثلاثين أو الستين أو المائة. وهبه الله وزنتين أو خمس وزنات .

حتى الإنسان الذى منحه الله موهبة واحدة، يمكن أن يكون له عمل هام فى جسد الكنيسة المقدس. فقد يتميز إنسان بموهبة الرحمة والشفقة على الفقراء، أو موهبة زيارة المرضى، أو تعزية الحزانى.. وإن لم تكن له أية موهبة من المواهب المستخدمة فى الخدمة، يكفى أن تكون له موهبة أخرى هى القدوة الصالحة، وبها يكون له عمل فى الكنيسة .

✠ ✠ ✠

وأحياناً ينجح شخص فى موهبته الواحدة، فيكافئه الله بموهبة أخرى .

كان القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم له موهبة الشفقة على الفقراء والإحسان إلى المحتاجين. فلما رآه الله أميناً جداً فى هذه الموهبة، حتى أنه فضّل أن يعطى كل ما له

للفقراء، ويبقى ناسكاً ليس له شئ، لذلك منحه الله موهبة أخرى هى موهبة الشفاء وأحياناً صنع المعجزات، لكى يكمل بهذا محبته للناس واشفاقه عليهم .

وما نقوله عن الأنبا ابرآم أسقف الفيوم، يمكن أن نقول ما يشبهه عن الأنبا صرابامون أبو طرحه أسقف المنوفية .

فلا يتضايق إنسان إن كانت له موهبة واحدة، ولا يشتهى المزيد. إنه إن كان أميناً فى موهبته، سيمنحه الله أكثر. كما وعد من قبل وقال :

كنت أميناً فى القليل ، فسأقيمك على الكثير" (مت٢٥: ٢١، ٢٣) .

✠ ✠ ✠

وفيما تكون أميناً فى موهبتك، لا تحتقر مواهب غيرك .

خادم مثلاً فى التربية الكنسية ، يؤمن بأهمية التعليم فى الكنيسة وتربية الأطفال، وأهمية العمل الروحى... لكنه لا يقف عند هذا الحد، إنما ينتقد عمل أعضاء مجلس الكنيسة، على أعتبار أنهم يقومون بأعمال إدارية ومالية وبمشروعات، وهو لا يوافق إلا على العمل الروحى"! وأيضاً يستصغر العمل الطقسى للشمامسة، وعمل الخدمة الإجتماعية، وعمل الجمعيات القبطية! وينسى قول الرسول : "لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لى إليك! أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لى إليكما!! لو كان الجميع عضواً واحداً، فأين الجسد؟! (١كو١٢: ١٩- ٢١) .

هذا الخادم – للأسف يعتبر الباقين غير روحيين ..!

وبنظرته الخاطئة هذه ، يقع فى الكبرياء والاعتداد بالذات. كما يقع فى إدانة الآخرين، وفى عدم فهم التدبير الإلهى .

إن الكنيسة بلاشك تحتاج إلى كل هؤلاء .

هل إن أحب إنسان الرهبنة والبتولية، يود أن يكون جميع الروحيين رهباناً وبتوليين، وإلا فإنه ينتقدهم ويحزن عليهم، وينظر إليهم كما لو كانوا ناقصين! كيف يتفق هذا الكبرياء مع كوننا جميعاً "أعضاء بعضنا لبعض" وأعضاء كثيرين لجسد واحد، بأعمال متنوعة؟!

✠ ✠ ✠

أو إنسان له طبع معين، يريد أن يكون الكل فى مثل طبعه !

وإلا انتقدهم ! إنسان له غيرة مشتعلة وطبع نارى مثل إيليا، أتراه يريد أن يكون

الجميع هكذا، ويذم كل الودعاء الهادئين، ويعتبر أن وداعتهم لوناً من الضعف أو طراوة الطبع !

كلا ، ليس هذا هو تعليم الكتاب. فإن الله لم يخلق كل الناس بطبع واحد. ولا جعل كل أشجار الجنة بنوع ثمر واحد، إنما "من كل نوع ثمر" .

وملكوت الله يلزمه الغيور ، كما يلزمه الوديع .

تلزمه اليد البانية ، كما يلزمه العقل المفكر .

يلزمه مقلاع داود وسيفه، كما تلزمه مزامير داود وأغانيه وموسيقاه .

✠ ✠ ✠

كلهم أعضاء فى جسد الكنيسة الواحد ، والله يستخدم الكل .

قد تكون أنت قدماً تسعى فى افتقاد الناس . وقد يكون غيرك يداً يعطى عوناً أو يعمل عملاً. وقد يكون ثالثكما عقلاً مفكراً، ورابعكم روحاً هائماً، وخامسكم مجرد قلب يقدم العاطفة والحب . كلكم أعضاء بعضكم لبعض، فى جسد واحد تتعاون كل أعضائه فى بناء الملكوت. إنها مواهب متعددة ..

بحسب النعمة المعطاة لنا

(رو ١٢: ٦)

مواهب متنوعة :

هكذا سرد الرسول ألواناً من المواهب التى منحها الله للناس. فقال "أنبوة، فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة، ففى الخدمة. أم المعلم، ففى التعليم. أم الواعظ، ففى الوعظ. المعطى فبسخاء. المدبر فباجتهاد.." (رو ١٢: ٦ – ٨) . كل واحد حسب موهبته. والكل أعضاء بعضهم لبعض ...

✠ ✠ ✠

وعلى جبل التجلى ، أعطانا الرب مثالاً لاحتوائه الكل :

حول الرب يسوع ، أضاء موسى وايليا. وتجلت طبيعة كل منهما:

ايليا كان بتولا، وموسى تزوج أكثر من واحدة. وكلاهما حول المسيح. ايليا كان نارياً فى طبعه، وموسى "كان حليماً جداً" أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

حول المسيح كان ايليا الذى يمثل حياة الوحدة على الجبل. وموسى القائد الذى يقود مئات الآلاف من الناس.. إيليا الذى يُنزل ناراً من السماء فتأكل الخمسين (٢مل١). وموسى الذى يحتمل المخطئين ويشفع فيهم (خر٣٢).

كل منهما تجلى بالنور ، على الرغم من اختلاف طبعيهما .

والرب قد استخدم موسى، كما استخدم ايليا . لم يغيّر طبع أحد منهما، بل قدسه واستخدمه لملكوته ...

✠ ✠ ✠

كان ممكناً لله لو أراد أن يخلق العالم كله من نوعية واحدة، أو من مستوى واحد. ولكنه لم يفعل ، لأن الخير فى هذا التنوع .

فى العالم مستويات من السن. وفيه تنوع من الجنس: رجل وامرأة. وتنوع فى الشكل وفى الذكاء وفى المواهب. كذلك يوجد تنوع فى المسئوليات، حسبما قسم الله لكل واحد .

وكل إنسان يستطيع أن يرضى الله حسب نوع موهبته .

واحد يرضيه بحياة التأمل ، وآخر بحياة الخدمة . واحد أعطاه الله قلباً مملوءاً من الحب، وآخر أعطاه الله طاقة جبارة فى العمل . فهذا يساهم فى بناء الملكوت بعاطفته، وذاك بجهده. وكل منهما لازم لملكوت الله، الذى يُسرّ بهذا، كما يُسرّ بذاك .

إنهما لا يختلفان ، بل يتنوعان . وكل منهما يكمل الآخر .

إثنان يجتمعان معاً. يقول أحدهما للآخر : نحن عضوان فى جسد واحد. أنا عين، وأنت أذن. أنا أسمع بك، وأنت تنظر بى. أنا عينك، وأنت أذنى. لسنا غريبين عن بعضنا البعض ولا مختلفين. إنما كما قال الرسول "أعضاء بعضنا لبعض" .

✠ ✠ ✠

ومن هنا تقوم رابطة الحب بين أعضاء الجسد الواحد .

لا يستطيع عضو أن يستغنى عن عضو آخر. الكل يعمل فى ترابط وتعاون وتكامل. وإن تألم عضو، تألمت معه باقى الأعضاء. هكذا كل المؤمنين فى الكنيسة، تجمعهم رابطة الجسد الواحد .

كل واحد يعمل حسب الدور الذى أسنده الله إليه، وحسب الطاقات التى منحها الله له. لا يغير دوره ، إنما يتقن دوره. وفىاليوم الأخير، سيحاسب الله كل أحد حسب قلبه، حسب نيته الطيبة، ومقدارعزيمته وإرادته وأخلاصه وجهده، فى أتقان دوره ...

✠ ✠ ✠

بهذا ننجو من انتقاد الاخرين وادانتهم ، ومن محاولة تغيير أوضاعهم ...

المرأة التى سكبت الطيب على قدمى المسيح، انتقدها التلاميذ، وقالوا "لماذا هذا الإتلاف؟! لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء" (مت٢٦: ٨، ٩).

اغتاظ منها التلاميذ، وعابوا تصرفها، لأنهم أرادوا أن تتصرف بعقليتهم هم وبمشاعرهم! أما السيد الرب فقال للتلاميذ موبخاً "لماذا تزعجون المرأة؟! فإنها قد عملت بى عملاً حسناً. الفقراء معكم فى كل حين. وأما أنا فلست معكم كل حين" (مت٢٦: ١٠، ١١). وهنا حكم على تصرف المرأة بحسب مشاعرها الخاصة، بحسب فهمها،لا بحسب فهم التلاميذ. حسبما وهب لها نصيباً من الإيمان .

عيبنا هنا: إننا نريد أن نلغى شخصيات الآخرين! ونجعلهم يفكرون بعقولنا نحن! ويشعرون كما نشعر. وإلا فإننا ننتقدهم بشدة !

✠ ✠ ✠

لا شك أنه توجد مقاييس ثابتة للخير والشر، لتميز ما ينبغى وما لا ينبغى. ولسنا عن هذه نتكلم الآن.. إنما نقصد هنا عملين، قد يكون كلاهما خيراً، ويكونان كلاهما مقبولين أمام الله. غير أن البعض ربما يتحمس لأحدهما، والبعض للآخر. وليس فى هذا خطأ. إنما الخطأ هو أن من يتحمس لأحد الاتجاهين، ينتقد الاتجاه الآخر أو يهاجمه !

✠ ✠ ✠

ونضرب مثلاً لهذا : حياة التأمل ، وحياة الخدمة .

يتجه البعض إلى حياة البتولية والرهبنة، والبعض إلى حياة الزواج وخدمة الكهنوت. وكل من الاثنين طريق صالح ومقبول ونافع لبناء الملكوت، حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان ...

فلا يقل الذين اختاروا طريق الخدمة: لماذا يجلس الرهبان هكذا بلا أى عمل مفيد، فى الأديرة؟! فلينزلوا ويخدموا فالكنيسة محتاجة إلى الخدمة.. ولا يقل الرهبان: لماذا يتوه هؤلاء الخدام فى دوامة من المشغوليات ينسون فيها أنفسهم أو يضيعون فيها أنفسهم؟! أليس ما اختارته مريم أفضل مما اختارته مرثا..! (لو١٠: ٤١، ٤٢) .

✠ ✠ ✠

ما أجمل أن نترك كل واحد يسلك حسبما وهب الله له من موهبة ..

يسلك حسب طبيعته الخاصة، وحسب مكونات شخصيته، مادام لا ينحرف عن طريق الخير وعن وصايا الله.. ونحن هنا نقصد الخير بمعناه العام الشامل، وليس بحسب المفهوم الخاص لكلٍ منا ..

وهذه النصيحة نتوجه بها أيضاً إلى المرشدين وآباء الاعتراف .

ليس من الخير أن يجعلوا أبناءهم فى الاعتراف مجرد صورة منهم!! ويصبغوهم بميولهم.. فالواجب أن يرشدوا المعترف إلى طريق الخير، مراعين فى ذلك طبيعته وشخصيته ، وما وهبه الله ...

فإن كان أب اعتراف يحب الصمت، ويعترف عليه إنسان إجتماعى بطبعه. أيجوز له أن يقوده إلى الصمت، ويحبس شخصيته الإجتماعية!، ويمنعه عن الإنطلاق حسب سجيته ليفعل الخير؟!

✠ ✠ ✠

إننا نخطئ إن حصرنا الخير فى دائرة ضيقة لا يتعداها ...

فدوائر الخير كثيرة لا تُحصى، أمام أصحاب القلوب المتسعة .

العقل الضيق هو الكثير الانتقاد والانتهار. لأنه لا يرى الخير إلا فى دائرة ضيقة لا يتعداها فهمه!!.. أما العقل الكبير المتسع فى فهمه، فإنه يحاول أن يتفهم وجهات نظر الآخرين، ويتكشف نواياهم.. وهنا يلتقى مع غيره، وينفتح لهم، وينفتحون له. وقد يختلفون معه فى الوسيلة، بينما يتفقون معه تماماً فى المبدأ والهدف ..

✠ ✠ ✠

إننا أعضاء بعضنا لبعض، نكمل بعضنا بعضاً .

حزم الأب لازم، وعطف الأم لازم، ويكمل بعضهما بعضاً ... والأم الصالحة لا تنتقد الأب على حزمه. والأب الصالح لا ينتقد الأم فى طيبتها. وبتعاون قلبها المحب مع إرادته المدبرة، تكمل تربية الأولاد بأسلوب صالح ، فيه العطف وفيه الحزم .

إن عرفنا هذا ، عشنا فى سلام مع بعضنا البعض .

وإن عرفنا أن نعمة الله هى موزعة المواهب، وأن نعمة الله صالحة فى توزيعها، حينئذ لا ننتقد غيرناعلى ما وهبهم الله، ونحن أيضاً لا نتذمر على ما وهبنا الرب، طالبين تغييره! بأن نشتهى غيره...

✠ ✠ ✠

ليس المهم هو نوع العمل الذى تقوم به ، إنما مدى اتقانك لهذا العمل .

فلا تطلب أن يغير الله مواهبك ومسئولياتك، ويمنحك مثل ما قد أعطاه لغيرك. إنما كن أميناً فى كل ماوضعك الله فيه. وإن وجد الرب الخير لك فى تغيير وضعك، فسوف يفعل، لأنه صانع الخيرات.

يوسف الصديق لم يتذمر على وضعه كعبد فى بيت فوطيفار. بل كان أميناً فى عمله. وهكذا أنجح الله طريقه وكان معه . ولما أراد الله أن يمنح يوسف مسئولية أعظم فى حكم مصر، فعل ذلك فى الوقت المناسب، وبالطريقة التى رآها مناسبة، حسب حكمته الإلهية..

✠ ✠ ✠

لا تقل إذن : لو كنت فى المنصب الفلانى، لفعلت وفعلت ..

إنما اتقن ما فى يدك ، ولا تشتهِ مسئولية غيرك. ولا تشتهِ أن تكون رأساً مثل غيرك. فإن مجموعة رؤوس لا يمكن أن تكوّن جسداً صحيحاً متكاملاً. فلابد من باقى الأعضاء .

ولا ترتئى فوق ما ينبغى ، بل ترتئى إلى التعقل ، حسبما قسم الله لك نصيباً من الإيمان .

ولا تحتج قائلاً : مواهبى محدودة. ولو إننى كنت متعدد المواهب مثل كثير من الآباء وأبطال الإيمان، لفعلت وفعلت ...

✠ ✠ ✠

كلا ، فقد سجل التاريخ اسماء قديسين كبار ، بموهبة واحدة ..

فالقديس يوليوس الأقفهصى : لم نسمع أنه كان لاهوتياً ولا معلماً، ولا ناسكاً ولا أحد السوّاح . ولكن كانت له موهبة الأهتمام بأجساد الشهداء القديسين، وحفظها وكتابة سيرهم. وهكذا ترك لنا فى الكنيسة تراثاً عظيماً هو رفات الشهداء وسيرهم.. ولما رأى الله أمانته فى هذه الموهبة الواحدة، منحه هو أيضاً أن يكون شهيداً .

★قديس آخر مثل سمعان الدباغ : لم نسمع أنه كانت له أية موهبة فى التدبير أو فى التعليم، أو فى الرهبنة أو التكلم بلسان..! ولكن كانت له موهبة الصلاة المستجابة التى تنقل الجبل. وبها خلّده التاريخ.

★قديسون آخرون أنعم الله عليهم بموهبة الرحمة: كالقديس سرابيون الكبير الذى باع أنجيله ليتصدق بثمنه، وكذلك ثوبه. ورجع إلى قلايته عارياً.. وكالقديس الذى باع كل ما يملك ليعطى للفقراء. ولما لم يجد شيئاً عنده ليعطيه، باع نفسه كعبد، وتصدق بثمن نفسه!!

★يمكننا أن نضم إلى هذا النوع أيضاً، المعلم ابراهيم الجوهرى الذى كان علمانياً ومتزوجاً وموظفاً حكومياً. ولكن الله منحه موهبة العطاء . وبها أحسن إلى الفقراء، وعمّر الكنائس والأديرة ...

★ولا يفوتنا أن نذكر فى هذه المجموعة القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم، الذى دخل التاريخ عن طريق فضيلة الرحمة. ولما رأى الله أمانته فى هذه الموهبة، منحه موهبة أخرى هى صنع المعجزات، لكى يكمل بها عمل الرحمة من نحو المحتاجين إليها .

★نذكر فى هذه المجموعة أيضاً القديسة طابيثا فى يافا ، التى كانت تصنع أقمصة وثياباً وتعطى الأرامل. وقد بكت عليها الأرامل حينما ماتت. فاستحقت أن يقيمها القديس بطرس الرسول من الموت (أع٩) .

كل هؤلاء لم تكن لهم مواهب متعددة، إنما موهبة واحدة لكل منهم وقد أخلصوا لها. ونالوا بها ما ناله متعددو المواهب. أو نتيجة أمانتهم لتلك الموهبة الواحدة، سمح الله أن تتعدد مواهبهم ...



بل قديسون كثيرون لم يكتب لهم التاريخ سوى عمل واحد .

★يوسف الرامى مثلاً : لم يكتب له التاريخ سوى أنه أخذ جسد الرب وكفنه ووضعه فى قبر له (مت٢٧: ٥٧- ٦٠). ولم يكن كاهناً ولا معلماً، إنما كان علمانياً ورجلاً من الأغنياء. ثم صمت الكتاب عن سيرته .

★وعوبديا فى أيام آخاب الملك الوثنى، كان يأخذ الأنبياء المهددين بالقتل ويخفيهم ويعولهم. ولا نعرف له عملاً آخر (١مل١٨: ٧، ١٣) .

وآخرون لا يعرفهم التاريخ ، كانت موهبتهم هى النساخة فى وقت لم تُعرف فيه الطباعة. فكانوا ينسخون الكتب المقدسة، وكتب الكنيسة . وعملوا بذلك عملاً عظيماً .

★والبعض كان عملهم أنهم وهبوا بيوتهم لتكون كنائس. مثل مريم أم مارمرقس (أع١٢: ١٢). ومثل أكيلا وبريسكلا (رو١٦: ٣، ٥) . ومثل نمفاس فى لاودكية (كو٤: ١٥) ... وآخرون مثلهم .



إذن ليس للإنسان أن يبحث عن كثرة المواهب، أو عن المواهب الفائقة للطبيعة . إنما يكفى أن يكون أميناً ومخلصاً لما منحه الله إياه .

يكون أميناً لوزنته ، مهما كانت قليلة. وبهذا يدخل إلى فرح سيده .

إمرأة مثلاً ، وُلدت هكذا أنثى: ليس لها أن ترتئى فوق ما ينبغى، كالنساء اللائى فى

بلاد الغرب يسعين إلى نوال درجة الكهنوت!! إنما يكفـى أن تربى أولادهـا حسناً، وتهتم ببيتها وزوجها، وتكون نقية القلب . وهذه وزنتها ، وبها تدخل الملكوت .

✠ ✠ ✠

وأنت ، اكتشف موهبتك ، واخلص لها .

لا تقل : ليست لى موهبة المعرفة أو التعليم، ولا أقدر أن أتبحر فى الكتب أو أعظ أو أخدم.. إن لم تستطع ذلك، يمكنك أن تعمّق صلواتـك. وستعمل صلواتك أكثر مما يعمله الوعاظ. فهكذا كان القديس سمعان الدباغ ، وهكذا كان آباؤنا الرهبان.

أو اعمل فى الافتقاد.

وإن أعطاك الله محبة الفقراء والعناية بهم، فقل لنفسك : هذه موهبـة كبيرة . "فالديانـة الطـاهرة النقيـة عند اللـه الآب، هى هذه: افتقاد اليتـامى والأرامل فـى ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع١: ٢٧) .

✠ ✠ ✠

من العيوب الخطيرة، أن الإنسان ينسى ما فى يده، ويبحث عما ليس معه، ويقول : ليست لى موهبة!!

أليس هذا هو جحداً لمواهب اللـه؟! وسلوكاً غير المشيئة الإلهيـة ؟! وعدم أمانـة فـى القليل، وعدم اكتشاف لمواهبنا ..!

إن الله لم يترك أحداً بـلا عطيـة، أو بـلا موهبـة. إنمـا هنـاك أنـواع مواهب متعددة. والقيـادة الحكيمـة فـى التدبير والرعايـة أو فـى تقبّل الاعترافـات، عليهـا أن تكتشـف تلـك المواهب وتوجهها .

✠ ✠ ✠

وليس سليماً روحياً ، أن نفاضل ونقارن بين المواهب .

فأنت لا تستطيع أن تقول عن الجسد أيهما أفضـل للإنسـان : القلـب أم المـخ؟! كلاهمـا لازم وجوهرى لحياة الإنسان. وإن فقد أحدهما، لا يمكن أن يعيش.. فلا يقل القلب : ليتنى كنت مخاً! ولا يقل المخ : ليتنى كنت قلباً! بل الوضع السليم أن يخلص كل منهمـا لعملـه، وأن يتعاونا معاً. وهكذا جميع أعضاء الجسد، أى الكنيسة كل واحد حسب موهبته ...

✠ ✠ ✠

يحكى لنا كتاب (الأربعين خبراً) عن قديس كان يعمل بواباً فى دير الأنبا بيشوى. وقد

استطاع أن يجذب كثيرين إلى الإيمان وإلى الرهبنة، بالمقابلة الحسنة والبشاشة والكلمة الحلوة، لدرجة أن الناس أحبوا الدير بسببه. وأصبح هذا الراهب البواب - فى جيله - هو أهم شخصية فى الدير كله، بسبب فضيلته التى أتقنها ...

✠ ✠ ✠

لا تشتهِ إذن موهبة معينة، فربما لا تفيدك .

أو قد يستغل عدو الخير هذه الشهوة لكى يضرك .. بل أسلك حسبما قسم الله لك نصيباً من المواهب .

والله فى سمائه - من أجل بناء ملكوته - يستخدم كل المواهب التى وزعها، فى كل تنوعها. لا يغيرها ، إنما يقدسها ويباركها ...

✠ ✠ ✠

بعد كل هذا ، بدأ الرسول القديس، يتحدث عن هذه المواهب بتفاصيلها واحدة فواحدة. فذكر أولاً :

أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان

وقد تحدثنا كثيراً عن الإيمان فى شرحنا لعبارة :

"كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو١٢: ٣).

أما النبوة فهى لقليلين، لتوصيل مشيئته إلى الناس.

أو بالإيمان يكشف لهم الله ما سوف يحدث بعد حين.

أو يستخدمهم الله لنشر الإيمان على الأرض .

المهم أن تكون عن إيمان سليم، ومن الله...

ولما كانت لقليلين، فسأنتقل إلى النقطة التالية :

فن الخدمة

لما تكلم الرسول عن المواهب المتنوعة المتعددة، جعل الخدمة في مقدمتها، لكي يظهر أهميتها، ولأنها مقدمة للمواهب الأخرى، كالتعليم والوعظ والعطاء ... (رو١٢: ٧) .

وهكذا قال السيد الرب لتلاميذه "من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً" (مت٢٠: ٢٦). وقال عن نفسه "إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم، بل ليخدِم، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مر١٠: ٤٥) . فإن كان – وهو سيد الكل – قد جاء ليخدم عبيده، فماذا نقول نحن عن أنفسنا" .

بل هنا نتأمل أية كرامة تكون للخدمة، إن كان الرب نفسه، أخذ شكل العبد، وصار في الهيئة كإنسان (في٢: ٧). لكي يخدم البشرية ..

✠ ✠ ✠

وكما جاء المسيح ليخدم ، وهب رسله أيضاً أن يكونوا خداماً .

سواء من جهة الخدمة الروحية، أو الخدمة بكل أنواعها ...

فمن الناحية الروحية ، قالوا عن أنفسهم في مناسبة إقامة الشمامسة السبعة "أما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة" (أع٦: ٤) .

ويقول القديس بولس الرسول عن هذه الخدمة الروحية "..وأعطانا خدمة المصالحة.. نسعى كسفراء للمسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨، ٢٠). ويقول لتلميذه تيموثاوس "إعمل عمل المبشر، تمم خدمتك" (٢تي٤: ٥) . وفي هذه الخدمة ، قال عن كاروزنا القديس مرقس إنه "نافع لي للخدمة" (٢تي٤: ١١) .

✠ ✠ ✠

أما من جهة الخدمة الأخرى ، فيقول القديس بولس أيضاً :

"إن حاجاتي وحاجات الذين معي، خدمتها هاتان اليدان" (أع٢٠: ٣٤) .

ويمدح العبرانيين فيقول لهم "لأن الله ليس بظالم، حتى ينسى عملكم وتعب المحبة.. إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم" (عب٦: ١٠) .

✠ ✠ ✠

أهم شئ أن الخادم تكون له روح الخدمة ومحبة الخدمة .

بحيث أنه يجد لذة فى خدمة الآخرين، ويفرح بخدمتهم، وإن عُرضت عليه خدمة، يشعر بقابلية لها فى قلبه وبانجذاب نحوها .

إننا لا نريد الذين يخدمون ، كما لو كانت الخدمة ثقلاً عليهم، أو هى مفروضة عليهم، بل الذين يخدمون بفرح. ويشعرون أنهم فى الخدمة يأخذون أكثر مما يعطون ...

يأخذون بهجة فى قلوبهم، وبركة فى حياتهم، أكثر مما يعطون مجهوداً فى الخدمة .

وهكذا يكونون فى كل حين، وفى كل مجال، ميالين إلى الخدمة، يبحثون عنها. يسعون وراء كل من هو محتاج، لكى يقدموا له المعونة وما يسد احتياجه.

ومع محبة القلب لكل المحتاجين والاستعداد لإعانتهم، فقد يوجد تخصص فى الخدمة. فهناك من يجد لذة فى خدمة الأيتام بالذات، وإعطائهم بعضاً مما فقدوه من حنان الأبوة أو الأمومة. وهناك من يجد لذة فى خدمة المرضى أو العجائز والمسنين، أو فى خدمة أطفال الحضانة، أو المسجونين، أو العائلات الفقيرة، أو الطلبة المغتربين، أو الفتيات المعرضات للضياع أو الانحراف .

✠ ✠ ✠

ومحبة الخدمة تلازمه فى بيته، وفى عمله، وفى كل مكان .

إن جلس إلى المائدة ليأكل ، يطمئن على أن الجالسين معه لا ينقصهم شئ. فيحضر لهذا كوب ماء. ويقرّب من ذاك الملح أو الخبز.. وإذا انتهى الطعام، يساعد فى ترتيب المائدة وحمل الأوانى. ولا يتركها ثقلاً على الوالدة أو الأخت .

كذلك إن قام من فراشه، يرتبه. وإن خلع ثيابه، لا يتركها مبعثرة هنا وهناك. أما الذى له خطأ مزدوج. فهو – من ناحية – لا يخدم غيره. ومن ناحية أخرى، يترك نفسه ثقلاً على الآخرين ليخدموه .

الخادم الحقيقى إنسان حساس من نحو احتياجات الآخرين .

لا ينتظر حتى يعرض الناس عليه مشاكلهم، ويتوسلوا إليهم أن يعينهم، بل هو – من تلقاء نفسه – يدرس ويتأمل ما يحتاجون إليه، ويستنتج ما ينقصهم. ويدبر لهم احتياجاتهم

دون أن يطلبوا.. يرى ما هو ناقص ، ويكمله ...

✠ ✠ ✠

وهذا هو أيضاً عمل الراعى النشيط ، وعمل رجل الكهنوت .

هذا الذى يدرس ما يحتاج إليه الناس، وينشئ ويدبر المشروعات والأنشطة التى تفى باحتياجات المخدومين روحياً ومادياً، دون أن يطلبوا منه ذلك. بروح الأبوة، وبكل عطف، وفى حكمة وعمق .

وهكذا يفعل كل خادم ناجح ، فى مجال الخدمة فى الكنيسة . وتكون له روح الخدمة الشاملة فى كل مكان : فى بيته ، وفى مكان عمله ، وفى محيط الأصدقاء والمعارف، ومع المحتاجين من كل نوع . يشعر فى داخله باحتياجات الآخرين، ويتكفل بها تلقائياً .

✠ ✠ ✠

وشرط أساسى فى الخدمة ، أن تتم فى عمق الإتضاع .

إن آباءنا لم تكن لهم روح السيطرة فى الخدمة، بل تواضع القلب. وفى الكهنوت كان كل من يُرسم على كنيسة، يعتبر نفسه خادماً لتلك الكنيسة. يخدم السرائر المقدسة، ويخدم الله، ويخدم الشعب .

القديس أوغسطينوس أسقف هبو، لما صلى لأجل شعبه، قال: "اطلب إليك يارب من أجل سادتى عبيدك" . فاعتبر أن أفراد ذلك الشعب الذين اقامه الله اسقفاً عليهم، هم سادته، وهو خادم لهم ...

✠ ✠ ✠

ولم تكن كلمة (خادم) مجرد لقب، وإنما حقيقة عملية .

وكان الآباء يتعبون فى هذه الخدمة إلى آخر نسمة :

"فى اسفار مراراً كثيرة.. فى جوع وعطش.. فى برد وعرى. فى تعب وكد، فى أسهار فى أصوام" (٢كو١١: ٢٦، ٢٧). يسهرون لأجل النفوس، كأنهم سوف يعطون حساباً" (عب١٣: ١٧) .

كانوا مثل الشموع التى تذوب، لكى تعطى نوراً للآخرين .

وما أجمل قول الشيخ الروحانى فى الخدمة الممزوجة بالاتضاع : "كل موضع مضيت إليه، كن فيه صغير أخوتك وخديمهم" .

إن نزعة العظمة ليست دليلاً على القوة، بل هى حرب من عدو الخير .

✠ ✠ ✠

أما القوى فهو الذى يدرب نفسه على أن يكون خادماً .

القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة،كان وهو أسقف يحمل الطعام إلى بيوت الفقراء، فى الليل فى الخفاء ويقرع أبوابهم. ويترك ما يحمله أمام الباب ويمضى، وهو سعيد بخدمته.

والقديس الأنبا موسى الأسود، كان يحمل الماء إلى قلالى الرهبان.

والقديس بينوفيوس ، كان يدرب ذاته على أن يقوم فى الدير بالخدمات الحقيرة التى لا يُقبل عليها الكثيرون: مثل تنظيف دورات المياه، وكنس الدير، وحمل القاذورات خارجاً، وسائر عمليات التنظيف ...

✠ ✠ ✠

والآباء كانوا يقومون بهذه الخدمات فى فرح، بلا تذمر .

بل كانوا يتطوعون لهذه الخدمة ، دون أن يطلبها منهم أحد ...

وكانوا يقومون بها بكل تواضع قلب، سعداء بخدمة أخوتهم .

قديس يرى رجلاً مجذوماً ، فيحمله ويخدمه ، وينفق عليه لمدة ثلاثة أشهر، لكى ينال بركة خدمته .

وما أكثر الآباء، الذين -بصبر كثير- فرّغوا أنفسهم فتراتٍ طويلة لخدمة المرضى، أو لخدمة الشيوخ. كما فعل القديس يوحنا القصير مع أبيه الروحى الشيخ الأنبا بموا، فى احتمال عجيب، حتى تنيح بسلام، ونال هو بركته. وقال عنه الأنبا بموا "هذا ملاك، لا إنسان"

وكان الآباء إذا رأوا أخاً فى الدير مرهقاً فى عمل، يمدون أيديهم فى محبة، ليحملوا العبء عنه. كما قال الرب "تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨) .

✠ ✠ ✠

هناك نوع آخر من الخدمة ، فى إصلاح أخطاء الآخرين .

كثيرون منا ينتقدون الآخرين . وقليلون هم الذين يعملون على إصلاحهم فى وداعة ولطف . النقد سهل يستطيعه كل أحد . ولكن إصلاح أولئك المخطئين هو العمل الروحى المملوء بالمحبة العملية، النافع للملكوت، لأنه "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى" (مت٩: ١٢).

سهل على خادم فى التربية الكنسية، أن يطرد تلميذاً مشاكساً من فصله . بينما

المطلوب هو إصلاحه . ولاشك أنها خدمة عميقة ولازمة، أن يتفرغ البعض لخدمة الأطفال والطلبة المشاكسين، وما أعمق أن يقوم البعض بخدمة المعوقين عقلياً وجسدياً .

✠ ✠ ✠

ما أعمق أجر مثل هذه الخدمة عند الله ، بسبب صعوبتها .

ما أجمل أن تخدم الأماكن التى لا يوجد فيها اسم المسيح على الإطلاق ، كما قال القديس بولس الرسول (رو١٥: ٢٠). أو أن تخدم الذين يسخرون من الدين والتدين! أو الذين لم يدخلوا الكنيسة من قبل، ولا يريدون!

غالبية الخدام يبحثون عن الخدمة السهلة الجاهزة ، وأن يدخلوا على ما لم يتعبوا فيه، ويبنوا على أساس وضعه آخر .

أما المجاهدون الكبار ، فهم الذين يتعبون فى تأسيس خدمات غير موجودة ولا مانع من أن يدخل خدام آخرون على تعبهم. فهكذا فعل السيد المسيح له المجد ، حينما قال لتلاميذه "أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا، وأنتم دخلتم على تعبهم" (يو٤: ٣٨) .

قال الرب "الحصاد كثير، والفعلة قليلون. اطلبوا إلى رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده" (مت٩: ٣٧، ٣٨) . وفى كل مكان نلمس هذا الاحتياج .

✠ ✠ ✠

ولكن العجيب ، هو أنه على الرغم من احتياج الخدمة، نجد خداماً يتشاجرون ويتنافسون فى مكان الخدمة، تاركين ميادين عديدة غير مخدومة !!

فى تشاجرهم وتنافسهم، لا يقدمون مثالاً عن روحانية الخدام. بل يكونون عثرة. إذ يفقدون روح المحبة والتعاون وإنكار الذات. وفى نفس الوقت توجد ميادين عديدة يمكن أن تستوعب كل طاقة مستعدة للخدمة . ومع ذلك فهم يتجاهلون تلك الميادين المحتاجة، بسبب محبتهم لمكان أو وضع بالذات، دون محبة للنفس البشرية أياً كان موضعها!!

إننا لو أحببنا النفوس المحتاجة فى كل مكان، ما تنافسنا مطلقاً على خدمة . فالميادين واسعة ، والخدمة بذل لا تنافس .

الذى يتنافس فى الخدمة ، إنما تهمه ذاته وليس الخدمة .

فإن كانت الخدمة تشغل قلبه، فإنه يعمل على نجاحها بأية الطرق، وعلى يد أى شخص غيره. فالمهم هو نجاح الخدمة .

✠ ✠ ✠

والذى يحب الخدمة، لا يشكو إن ثقلت أعباؤها عليه .

بل هو على العكس يفرح بنمو الخدمة، ويجد لذة فى أن يحمل أثقال الناس، كما حمل المسيح أثقال العالم كله .

ولذلك فإن هذا الخادم لا يرفض أية خدمة تعرض عليه، مهما كان فيها تعب. ولا يفضّل خدمة على أخرى. فيقبل هذه ويرفض تلك !

لأنه هنا يبدو المزاج الخاص ، وليس الاهتمام باحتياج الآخرين !

إن الخدمة تتسع للجميع . كل من يريد ، يجد مجالاً ...

✠ ✠ ✠

يمكن أن نجد فى الخدمة مجالاً للأشخاص الفاضلين الذين "يحالون إلى المعاش" مستفيدين من وقت الفراغ الذى لهم، ومن وقار السن، ومن خبرة الحياة، ومن مواهبهم ومقدراتهم المتعددة .

كما أن الخدمة تعطيهم حيوية ونشاطاً ، وتشعرهم بأن رسالتهم فى الحياة لم تنتهِ، وأن الكنيسة والمجتمع لا يستغنيان عنهم .

فالخدمة تستفيد منهم . وهم أيضاً يستفيدون منها .

✠ ✠ ✠

كذلك توجد مجالات واسعة لخدمة النساء فى الكنيسة :

سواء فى مدارس الأحد ، أو خدمة الشابات، أو الخدمة الإجتماعية، أو الإشراف على نظافة الكنيسة ، وتنظيم النساء فيها ...

والمرأة يمكن أن تتكرس للخدمة ، وتعمل عمل الشماسة :

وفى هذا المجال يمكن أن تشرف على خدمات معينة: مثل دور الحضانة، وخدمة المشاغل، وترتيب النساء فى التناول، وفى أثناء العماد . كما تخدم المرأة فى افتقاد العائلات، وفى زيارة المرضى، وفى الإشراف على بيوت الطالبات المغتربات .

حقاً ، كما قال الرب "فى بيت أبى منازل كثيرة" (يو١٤: ٢) .

ليس فقط فى الأبدية، وإنما على الأرض أيضاً : يوجد منزل ، وتوجد منزلة ، لكل أحد، فى بيت الله .

المعلم ففي التعليم ..
أما الواعظ ففي الوعظ

(رو١٢: ٧، ٨)

هنا نجد الرسول يميز ما بين الوعظ والتعليم .

مع أنهما كليهما يدخلان في "خدمة الكلمة" (أع٦: ٤) .

وأيضاً ميّز بينهما بقوله لتلميذه تيموثاوس "علّم وعظ بهذا" (١تي٦: ٢). وأيضاً في شرحه لمواهب الروح، إذ يقول: فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم" (١كو١٢: ٨) .

فما الفرق إذن الذي يميز ما بين الوعظ والتعليم ؟

✠ ✠ ✠

الوعظ يمس الأحاسيس والمشاعر . والتعليم يخاطب العقل بالإقناع .

الوعظ مجاله الروحيات .. والتعليم مجاله اللاهوتيات والعقائد وما أشبه .

وقد يشمل أيضاً العنصر التعليمي في الروحيات .

الوعظ يحث على السير في طريق الله . والتعليم يشرح ويؤكد، ويضع الأساليب والوسائل، والقواعد والأسس، والأسباب ...

الوعظ قد يقوم به كثيرون: يقوم به الوالدان والأصدقاء والمرشدون، كما يقوم به الوعاظ. أما التعليم فليس للكل .

التعليم :

التعليم في الكنيسة هو لأناس أمناء قادرين تأتمنهم الكنيسة .

وفى هذا يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف :

"وما تسلمته منى بشهود كثيرين، أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً" (٢تى٢: ٢) . كذلك لأنه إن لم يكن المعلم كفئواً، فقد يقع فى بدعة أو هرطقة، وربما ينشرها وسط كثيرين، فيصبح خطراً على الكنسية، مثلما حدث مع أريوس ومقدونيوس ونسطور وغيرهم. ولذلك يقول القديس يعقوب الرسول :

"لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتى، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم. لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا" (يع٣: ١، ٢) .

✠ ✠ ✠

إذن التعليم ليس لكل أحد. فالذى يخطئ فى التعليم، يعرضّ نفسه لدينونة عظمى إذ يعثر غيره. هكذا كل من يقحم نفسه فى مجال التعليم، ويتكلم فى اللاهوتيات والعقائد بدون معرفة، وبدون أن تكلفه الكنيسة بذلك. وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول :

"..كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا" (رو١٠: ١٤، ١٥) .

إذن لابد أن ترسله الكنيسة لكى يكرز ، فيأخذ سلطاناً للتعليم .

المعلم هو الذى تقيمه الكنيسة معلماً ، وتفرزه لهذه المسئولية. وعن مثل هذا المقام من الكنيسة، قال الرسول "المعلم ففى التعليم" .

✠ ✠ ✠

ولعلنا نسأل متى بدأ شاول الطرسوسى (بولس الرسول) رسالته فى التعليم؟ يقول الكتاب إنه بينما كان رجال الكنيسة يخدمون الرب ويصومون "قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا، ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما. فهذان إذ أُرسلا من الروح القدس أنحدرا إلى سلوكية" (أع١٣: ٢-٤). وبهذه الرسامة والإرسالية بدءا فى التعليم .

المعلم الأول فى الكنيسة ، كان هو السيد المسيح .

وكانوا يدعونه "المعلم الصالح" . وكان فى التعليم "يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧: ٢٩). كان يصحح المفاهيم الخاطئة فى تفسير الشريعة، ويضع التفسير الصحيح. ويقول فى قوة "بسمعتم أنه قيل للقدماء.. أما أنا فأقول لكم" (مت٥) . كذلك وبخ الكتبة والفريسيين على تعليمهم الخاطئ، وقال لهم إنهم قادة عميان، وإنهم بذلك التعليم

الخاطئ اغلقوا ملكوت السموات قدام الناس، فلا هم دخلـوا، ولا جعلـوا الداخلين يدخلـون" (مت٢٣: ١٣، ١٦) .

✠ ✠ ✠

وأقام السيد الرب رسله القديسين ليكونوا معلمين، ينشـرون الكـرازة والبشـارة بالملكوت والإنجيل، ويحملون تعليمه ووصاياه إلى الناس .

وقال لهم : "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمـم، وعمدوهـم.. وعلموهـم أن يحفظـوا جميـع مـا أوصيتكم به" (مت٢٨: ١٩، ٢٠) . وقال لهـم أيضـاً "اذهبـوا إلـى العـالم أجمـع، وأكـرزوا بـالإنجيل للخليقـة كلهـا" (مر١٦: ١٥) . وهكـذا صـار الآبـاء الرسـل المعلميـن الأول فـي الكنيسة المقدسة، وجالوا ينشرون الإيمان فى كل مكان. وبانتشاره احتاجوا إلـى مسـاعدين لهم يعلّمون .

✠ ✠ ✠

وعهد الآباء الرسل إلى الأساقفة بمهمة التعليم ...

وهكذا اشترطوا فى الأسقف أن يكون صالحاً للتعليم (١تى٣: ٢) .

فقال القديس بولس الرسول لتلميذه تيطس أسقف كريت "وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح" (تى٢: ١). وقال لتلميذه تيموثاوس أسقف أفسس "اكرز بالكلمة. اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب.. أعمل عمل المبشر. تمم خدمتك" (٢تى٤: ٢، ٥).

ثم انتقل التعليم – باتساع الخدمة – إلى القسوس والشمامسة .

وهكذا قال الرسول "أما القسـوس المدبـرون حسـناً، فليُحسـبوا أهـلاً لكرامـة مضاعفـة، ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم" (١تى٥: ١٧).

ونحن نعلم كيف أن القديس اسطفانوس أول الشمامسـة كـان يعمـل فـي التعليم أيضـاً. وكيف أنه وقف ضد ثلاثة مجامع من اليهود يحاورونـه، "ولـم يقـدروا أن يقـاوموا الحكمـة والروح الذى كان يتكلم به" (أع٦: ٩، ١٠) وألقى اسطفانوس كلمة تدل على عمق تعليمـه. ولم يستطع اليهود أن يحتملوا تعليمه وتوبيخه لهم، فرجموه (أع٦: ٥٤، ٥٧).

✠ ✠ ✠

وكان آباء الكنيسة الأول من البطاركة والأساقفة معلمين .

وقد أسـموهم "معلمـى الكنيسـة" "The Doctors of The Church" ومنهـا أخـذت كلمـة Doctrines أى التعاليم. ومن أمثلة هؤلاء: القديس أثناسـيوس الرسـولى، والقديـس كـيرلس عمود الدين، والقديس باسيليوس الكبير. والقديس ديسقورس الذى ندعوه فى القداس الإلهى

"معلمنا ديسقورس". ونحيى كلاً منهم فى كل عظة نسمعها له بعبارة "فلنختم عظة أبينا القديس ... الذى أضاء عيون قلوبنا بتعاليمه النافعة" .

✠ ✠ ✠

ونلاحظ هنا أن الآباء كانوا يمزجون الوعظ بالتعليم .

فلم يكن وعظهم مجرد كلام يمس المشاعر، بل كان أيضاً مرتكزاً على قواعد من التعليم والإقناع. كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "وبخ انتهر عِظ، بكل أناة وتعليم" (٢تى٤: ٢). وقال له أيضاً "..علّم وعظ بهذا" (١تى٦: ٢). وقال عن الأسقف إنه يجب أن يكون "ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم، لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح" (تى١: ٩) .

إذن فيمكن أن يشترك الوعظ والتعليم معاً، لكى يكون الواعظ فى حثه على الفضيلة مرتكزاً على أسس دينية تعليمية .

الوعظ :

"أما الواعظ ففى الوعظ، أى فى إرشادهم إلى الفضيلة. وفى أن يصطلحوا مع الله:

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول إن الله "أعطانا خدمة المصالحة.. إذن نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨، ٢٠) .

وقد يكون الوعظ لتثبيت الناس فى الإيمان .

إن نشر الإيمان يأتى بالكرازة والتعليم. ثم بعد ذلك يأتى تثبيت الإيمان بالوعظ. كما قيل عن أهل أنطاكية إن القديس برنابا الرسول أتى إليهم "ورأى نعمة الله وفرح. ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب" (أع١١: ٢٣) .

وقيل عن بولس وبرنابا إنهما كانا "يشددان أنفس التلاميذ، ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان" (أع١٤: ٢٢) .

وهكذا نرى فى القديسين بولس وبرنابا ، أن كلاً منهما كان معلماً وواعظاً.. إن المعلم يصلح أن يكون واعظاً، إذ يعلّم الناس أسس الفضيلة. ولكن ليس كل واعظ يصلح أن يكون معلماً وبخاصة فى اللاهوتيات. لذلك قال الرسول "أما المعلم ففى التعليم. وأما الواعظ ففى الوعظ" (رو١٢: ٨) .

✠ ✠ ✠

على أن الوعظ لابد أن يكون له أسلوبه المقبول .

يقول القديس بولس الرسول لأهل تسالونيكى "كنا نعظ الواحد منكم كالأب لأولاده" (٢تس٢: ١١). ومن ميليتس استدعى رعاة كنيسة أفسس وقال لهم "اسهروا متذكرين أننى ثلاث سنين، ليلاً ونهاراً، لم افتر أن أنذر بدموع كل واحد" (أع٢٠: ١٧، ٣١) . وقال لتلميذه تيموثاوس "لا تزجر شيخاً، بل عظه كأب، والأحداث كأخوة، والعجائز كأمهات، والحدثات كأخوات، بكل طهارة" (١تى٥: ٢) .

ويقول لأهل غلاطية "أيها الأخوة إن انسبق إنسان فأُخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضاً. احملوا بعضكم أثقال بعض" (غل٦: ١، ٢) .

✠ ✠ ✠

على أنه قد يحتاج الأمر أحياناً إلى التوبيخ .

كما وبخ السيد المسيح بطرس الرسول، لما قال عن صلب الرب وآلامه وموته "حاشاك يارب. لا يكون لك هذا" (مت١٦: ٢١- ٢٣) .

وقال القديس بولس الرسول لتلميذه تيطس "تكلم بهذه ، وعِظ، ووبخ، بكل سلطان. لا يستهن بك أحد" (تى٢: ١٥) .

وقال عن الذين يخطئون علانية، وقد يفسدون نظام الكنيسة بسلوكهم "الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع، لكى يكون عند الباقين خوف" (١تى٥: ٢٠). قال هذه لتلميذه تيموثاوس الأسقف .

وقال للعبرانيين معاتباً وموبخاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية. وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين" (عب١٢: ٤). وقال لهم واعظاً أياهم بقبول التأديب "إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين. فأى ابن لا يؤدبه أبوه؟! ولكن إن كنتم بلا تأديب.. فأنتم نغول لا بنون" (عب١٢: ٤- ٨).

✠ ✠ ✠

وهذا يعلمنا أيضاً أن الوعظ قد يصدر من الأبوين، وكذلك التأديب والتوبيخ .

وهذا ليس فقط من حق الأب، بل من واجبه أيضاً. فالله قد عاقب عالى الكاهن عقوبة شديدة، لأنه لم يؤدب أولاده (١صم٣) .

وما أكثر الآيات فى سفر الأمثال عن وجوب أن يربى الأب ابنه فى طريق الرب.

ووجوب أن يستمع الابن لوعظ أبيه وأمه .

✠ ✠ ✠

بل الوعظ واجب علينا بالمحبة بعضنا نحو بعض .

فيقول الرسول فى رسالته إلى العبرانيين ".. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة.. واعظين بعضنا بعضاً" (عب١٠: ٢٤، ٢٥). بل علينا أن نعظ أنفسنا كما قال الرسول "..عظوا أنفسكم كل يوم، مادام الوقت يدعى اليوم، لئلا يتقسى أحد منكم بغرور الخطية" (عب٣: ١٢) .

✠ ✠ ✠

والوعظ كما يكون شفاهاً وبالمواجهة، قد يكون أيضاً بالكتابة .

كما ذكر القديس بطرس الرسول "كتبت إليكم بكلمات قليلة، واعظاً وشاهداً أن هذه هى نعمة الله الحقيقية.." (١بط٥: ١٢). وكما قال بولس الرسول أيضاً "أطلب إليكم أيها الأخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ. لأنى بكلمات قليلة كتبت إليكم" (عب١٣: ٢٢) .

وقال القديس يهوذا الرسول ".. أضطررت أن أكتب إليكم واعظاً، أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلّم مرة للقديسين" (يه٣) .

وشرح القديس يهوذا طرقاً فى الوعظ لأجل خلاص الناس .

فقال "ارحموا البعض مميزين، وخلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار، مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد" (يه٢٢) .

على أنى أود أن أقول فى نهاية هذا المقال ملاحظة هامة .

✠ ✠ ✠

هناك فرق بين الوعظ العادى ، والوعظ الذى هو موهبة من الله. كذلك بين التعليم العادى، والتعليم الذى هو موهبة من الله .

ففى الاصحاح ١٢ من رومية ، ذكر الرسول الوعظ والتعليم فى مقدمة المواهب المعطاة لنا من نعمة الله ، فقال :

ولكن لنا مواهب متنوعة، بحسب النعمة المعطاة لنا : أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففى الخدمة. أم المعلم ففى التعليم. أم الواعظ ففى الوعظ.." (رو١٢: ٦- ٨) .

لاشك أن الوعظ والتعليم كموهبة ، لها قوتها .

المعطى فبسخاء

(رو ١٢: ٨)

حينما نتأمل هذه الآية "المعطى فبسخاء"، إنما نتأمل موضوعين هما العطاء والسخاء، أعنى السخاء فى العطاء . وحينما نتكلم عن السخاء فى العطاء، إنما نقصد السخاء فى كميته، والسخاء فى نوعيته...

العجيب أن الرسول ذكر العطاء، فيما كان يتكلم عن مواهب الله المتنوعة .

كثيرون يعطون . ولكن الإنسان الذى منحه الله "موهبة العطاء"، يعطى بطريقة أخرى، سنشرح بمشيئة الرب أعماقها الروحية :

✠ ✠ ✠

إنه يعطى كل من يسأله ، عملاً بقول الرب:

"من سألك فاعطه، ومن طلب منك فلا ترده" (لو٦: ٣٠).

لا يحقق كثيراً مع من يسأله ، إنما يعطيه. وعلى رأى ماراسحق: إن كنت تعطى من تراه مستحقاً، ولا تعطى من تعتبره غير مستحق، فمنزلتك عند الله منزلة قاضٍ لا عابد.

والبعض لكى يوفق بين لزوم العطاء ، والحكمة فيه، كان يعطى من يسأله، ولو شيئاً قليلاً. المهم أنه لا يرجعه فارغاً، ولا يجرح قلبه بطرده أو رفضه ...

والبعض كان يقول : أنا أيضاً غير مستحق ، والرب يعطنى .

ويتذكر قول الكتاب : إنّ الله يشرق بشمسه على الأبرار والأشرار، ويمطر على الصالحين والطالحين (مت٥: ٤٥)، ويشبع كل حى من رضاه (مز١٤٥: ١٦).

الله مازال يعطى هذا العالم ، الذى انحلت فيه الأخلاق، وضعفت القيم، وكثر فيه الإلحاد والتجديف واللامبالاة ..!

وهو بذلك يعطينا مثلاً فى العطاء ، الذى يعم الكل ...

✠ ✠ ✠

نعم ، أن الله – تبارك اسمه – هو المثل الأعلى فى العطاء .

هو الذى أعطانا نعمة الوجود، وأعطانا كل المواهب التـى لنـا، ومنهـا العقـل والإرادة. وأعطانا الرغبة فى أن نعطى، بل أنه أعطانا أيضاً كل ما نعطيه لغيرنــا. ولذلـك نقـول لـه فى كل عطاء نقدمه "منك الكل، ومن يدك أعطيناك" (١أى٢٩: ١٤) .

✠ ✠ ✠

والله قد درّب الإنسان على العطاء .

وكان أول تدريب هو أن يعطى أى شئ :

الطفل يظن أن كل شئ هو ملكه، ويريد أن يأخذ باسـتمرار، والتربيـة السـليمة هـى أن ندربه على العطاء، فيعطى أى شئ، لأى أحد، وبخاصة للمحيطين به. فإذا جاء ضيوف ، يمكن أن ندرب الطفل أن يوزع عليهم الحلوى مثلاً .

مشكلة أبينا آدم، أنه أراد أن يأخذ شيئاً جديداً فوق كل ما كان لـه. ففيمـا أراد أن يـأخذ مجد اللاهوتية، فقد ما كان له من مجد البشرية. ولذلك بدأ الله أن يدرب البشرية بالعطـاء، بتقديم الذبائح والقرابين. وسجل الكتاب لنا تقدمة هابيل كأول عطاء مقبول فى التاريخ كله.

✠ ✠ ✠

وبدأ الله ينظم العطاء ، فعلم الناس العشور والبكور .

أراد الله أن الإنسان يعطى شيئاً مـن كـل مـا يصـل إلـى يـده، وليكـن عشـر مـا عنـده. والمقصود بالعشور، ليس أن تكون كل كمية العطاء، إنما هى الحد الأدنى للعطاء .

وطبعاً كانت وصية البكور درجة متقدمة فى العطاء، لأن فيها يعطـى الإنسـان كـل مـا يصل إليه فى مرحلة معينة. فهو يعطى كل ثمر أشجار بالنسبة للسنة الأولى فـى الأثمـار، ويعطى أول ما تنتجـه بهائمـه وأغنامـه وأول نسله "قـدس لـى كـل بكـر، كـل فـاتح رحـم" (تك١٣: ٢). بدأ الله بوصية العشور فقال :

"هاتوا العشور وجربونى" (ملا٣: ١٠). ولم يقل هاتوا الكل.. ليس هذا هو السخاء فـى العطاء، إنما هذا تدريب للمبتدئين، حتـى يعطـوا.. ومـع سـهولة التدريـب، قدم اللـه وعـداً ومكافـأة "وجربونـى، إن كنـت لا أفتـح لكـم كـوى السماء، وأفيض عليكـم بركـة حتــى لا توسع".. بل قال أكثر من هذا إنه يعطى مائة ضعف (مت١٩: ٢٩) .

على أن من يعطى، لكـى يـأخذ مائـة ضعـف، أو لكـى تفتـح لـه كـوى السمـاء ، يكـون

بمنزلة تاجر يربح، وليس محباً للعطاء، إنما ذكر الله ذلك، لكي يدرب المبتدئين ...

✠ ✠ ✠

أما للصالحين فقال "مغبوط هو العطاء، أكثر من الأخذ" (أع٢٠: ٣٥) .

أعطِ إذن ، دون أن تنتظر أجراً هنا أو هناك. إن الأجر ليس هو سبب العطاء، إنما نتيجة غير مقصودة .

ولكى يوسع الرب قلوب الناس، أعطاهم وصية البكور .

فقال : قدس لى كل بكر ، كل فاتح رحم، من الناس والبهائم (خر١٣: ٢). وكذلك أبكار الغلات التى تزرع (خر٢٣: ١٦) . وكذلك أمر أن تترك زوايا الحقل فى الحصاد، يلتقطها الغريب والمسكين .

وتدرج الله بالإنسان إلى أن يعطى أفضل ما عنده .

وقد ظهر هذا الأمر فى عطية هابيل الصديق إذ قدم من أبكار غنمه ومن سمائها" (تك٤: ٤). أى أفضل ما عنده . وكانت الذبائح عموماً ينبغى أن تكون بلا عيب، يفحصها الكاهن قبل تقديمها للتأكد .

وهذه الميزة فى العطاء ، تظهر فى تقديم الابن الوحيد .

الله طلب من أبينا ابراهيم أن يقدم ابنه وحيده اسحق، الذى تحبه نفسه، محرقة للرب. والله نفسه قدم ابنه الوحيد ليبذل عن خطايا العالم (يو٣: ١٦). والسيدة العذراء فى شخص المسيح قدمت ابنها الوحيد . والقديسة حنة قدمت ابنها الوحيد صموئيل (قبل ولادة غيره) لكى يكون خادماً للرب فى شيلوه . (١صم١: ٢٤) .

✠ ✠ ✠

إن العطاء نوع من البذل ، والتخلص من الذاتية ...

وفيه أيضاً شئ من التجرد، والتخلص من حب المقتنيات والممتلكات، ومن حب الجمع والتكويم .

كل يوم يمر عليك، دون أن تعطى فيه شيئاً لغيرك، ليتك لا تعتبره من حياتك. واليوم الذى يكون كله أخذاً، دون عطاء، لا تحسبه مكسباً ...

كل شئ يصل إليك، درب نفسك أن تعطى منه شيئاً ، فلا تنفرد بشئ، لا تشرك فيه غيرك بقدر الامكان ...

وتدرب على أن تعطى أفضل ما عندك .

✠ ✠ ✠

لا تبحث عن الأشياء المرفوضة منك، لكى تعطيها للرب، بل أعطِ مما تحبه نفسك، وما تشعر برغبة فى التمسك به .

لا تقتصر فى عطائك على فضلاتك ومرفوضاتك .

ولعل من أجمل أنواع العطاء الذى يدل على الحب وعلى البذل، هو أن يعطى الإنسان من أعوازه .

ولذلك امتدح الرب الأرملة التى وضعت فلسين فى الصندوق واعتبرها أعطت أكثر من الكل لأنها "من أعوازها أعطت" (لو ٢١: ٤) . وهكذا أيضاً بارك دقيق وزيت أرملة صرفة صيدا، التى أعطت إيليا النبى وقت المجاعة ، من أعوازها (١مل١٧).

والعطاء من العوز ، لا تهم فيه الكمية ، وَإنما العمق .

مثل القديس الراهب الذى تصدق على فقير بثوبه، وتصدق على فقير آخر: بإنجيله، وعاد بلا ثوب وبلا أنجيل .

أعط وأنت محتاج إلى ما تعطيه . هنا تظهر أنك فى حبك لغيرك تفضله على ذاتك. وثق أن ما تعطيه مخزون لك فوق. لم يفقد منك، لكنه مكنوز لك .

✠ ✠ ✠

ومن النقط الجميلة فى العطاء، الله يعطى الإنسان دون أن يطلب منه هذا العطاء ..

تماماً مثلما يعطى الأب لأطفاله دون أن يطلبوا منه، إنه يعرف أحتياجاتهم من تلقاء نفسه، فيعطى ...

وهكذا يفعل الآب السماوى فى أعطائه لأولاده ... إن الله لا ينتظر حتى تطلب ثم يعطيك ، وإنما هو يعطيك دون أن تطلب "كل هذه تزاد لكم" (مت٦: ٣٣).

فكن أنت هكذا فى عطائك لأخوتك من البشر .

سليمان طلب من الله حكمة لتدبير الشعب ، فأعطاه الله إلى جوارها غنى وجاهاً وجلالاً ملوكياً أكثر من الكل .. دون أن يطلب ...

✠ ✠ ✠

ومن الصفات الروحية للعطاء ، أن تعطى بسرور وحب .

تعطى بمحبة للعطاء ، ومحبة لمن تعطيه . وقد قال الكتاب "المعطى بسرور يحبه الرب" (٢كو٩: ٧). فلا يعطى بتذمر وتضايق، كمن هو مرغم !

والذى يعطى بسرور ، يعطى دون أن يطلب ذلك منه .

مثل الله الذى يعطى الطيور والعصافير طعاماً ، والذى يكسو زنابق الحقل بأجمل مما

يلبسه سليمان، دون أن تطلب ...

وهو الذى قال "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس.. لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره" (مت٦) .

✠ ✠ ✠

وينبغى أن يكون العطاء بمداومة، فلا تسأم منه .

لأن هناك من يدفع مرة أو اثنتين، ثم يمل ويرفض إذا طلب منه أكثر. عكس ذلك قصة قيلت عن المعلم ابراهيم الجوهرى الذى مر عليه سائل سبع مرات فى يوم واحد، وأعطاه.. لاشك أن عمل العطاء يناسبه طول الروح .

✠ ✠ ✠

واعتبر الرب أن كل عطاء، إنما يقدم له هو .

ولذلك قال "مهما فعلتم بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلم" (مت٢٥: ٤٠). وهكذا قال "كنت جوعاناً فأطعمتمونى" وقال الكتاب "من يرحم الفقير يقرض الرب" (أم١٩: ١٧).

والعطاء ، لكى يكون فى حب، ينبغى أن يكون فى الخفاء .

لأن العطاء العلنى المقصود به نوال المديح من الناس، ليس فيه حب نحو من يعطيه، إنما حب للذات والمديح. ومادام قد خلا من حب الله والمحتاجين، يفقد قيمته .

فالذى تعطيه ، ينبغى أن تعطيه أولاً من قلبك، ومن حبك، قبل أن تعطيه من جيبك .

تدخل محبته إلى قلبك أولاً، ثم تتحول هذه المحبة إلى عطاء. فالعطاء مجرد مظهر من مظاهر الحب، ونتيجة له، وليس شيئاً قائماً بذاته، وبغير محبة. فقد قال الكتاب "لتصر كل أموركم فى محبة" (١كو١٦: ١٤) لذلك فالعطاء الخالى من المحبة، غير مقبول من الله، وهو أيضاً غير مقبول قلبياً من الناس .

✠ ✠ ✠

المعطى الحقيقى يفرح بالعطاء .

لا يشعر مطلقاً أن الذين أخذوا منه قد أرهقوه. بل على العكس يفرح أنه أتيحت له فرصة، لكى يسعد فيها إنساناً، أو أن يفك ضيقة إنسان. وهذا الفرح يدل على رضى فى القلب وراحة بالعطاء .

✠ ✠ ✠

إن العطاء كما يمتزج بالحب والفرح، فإنه يمتزج أيضاً بالاتضاع والزهد .

إن المتضع – مهما أعطى – يعتبر أن ما أعطاه هو لا شئ، إذا قيس بفضيلة العطاء عند القديسين. كما يعتبر أنه لا يعطى من عنده شيئاً. فالمعطى الحقيقى هو الله. وهو الذى أعطاه ما يعطيه . إنه مجرد موصل لأموال الله الذى وكّله عليها ...

كذلك فإن الذى يزهد المال، يمكنه أن ينفق منه على المحتاجين إليه، وأن يعطى منه بسخاء... لأن محبة المال تعوق العطاء. والذى يخزن المال، لا يحب أن ينفقه أو أن ينقصه. وإن حدث له أن أعطى، فإنه لا يعطى إلا بقدر .

✠ ✠ ✠

بينما من أهم صفات العطاء ، أن نعطى بسخاء .

★فلا نعطى ونحن نحسب ما نعطيه ! بل إن الرب قال لنا "لا تجعل شمالك تعرف ما تفعله يمينك" (مت٦: ٣). لذلك لا يجوز أن تعطى وأنت تحاسب الله والناس على ما أعطيته. بل حاول أن تنسى ما قد أعطيت، ولا تحسبه فى ذاكرتك .

★أمرأة بارة قدمت لأحد القديسين صرة فيها قدر كبير من المال ليوزعه على المحتاجين. فسلّم القديس تلك الصرة إلى تلميذه ليوزعها، دون أن يفتحها هو. فأرادت تلك البارة أن تنبه ذلك القديس يأن يفتح الصرة ويرى مقدار ما فيها. فأجابها القديس بعتابٍ قائلاً "إن الله الذى قدمتِ له هذا المال، يعرف مقداره كم هو" !

★الله نفسه – فى سخائه – لا يعطى بكيل (يو٣: ٣٤). بل إنه "يفتح لنا كوى السماء، ويفيض علينا بركة حتى لا توسع" (ملا٣: ١٠). حتى نقول كفانا كفانا ...

★وهكذا كان المسيح يجول يصنع خيراً (أع١٠: ٣٨) .

★أنظروا إلى سخاء الله، حينما خلق آدم ووضعه فى جنة فيها من كل نوع ثمر.. بل فى سخائه خلقه على صورته ...

✠ ✠ ✠

كذلك كما ينبغى للإنسان أن يعطى بسخاء فى الماديات، يجب أن يعطى بسخاء فى المعنويات أيضاً.

يعطى بسخاء فى المشاعر والعواطف والأمور الروحية :

فإنسان يعطى حباً أو عطفاً للآخرين، تراه يعطى حباً بلا حدود، ويعطى عطفاً بلا قيود، ويقدم مشاعره فى سخاء، بقلب كبير مفتوح للكل. لذلك إذا خدمهم يخدمهم بكل قوة، بروح الخدمة المملوءة حباً وعطاء وسخاء ...

هل يوجد تدرج فى العطاء أكثر من هذا ؟ نعم :

✠ ✠ ✠

هناك درجة أعلى فى العطاء، وهو اعطاء كل ما لك .

كان الشاب الغنى ينفذ الوصايا ، ويدفع العشور والبكور. ولكن السيد المسيح قال له "إن أردت أن تكون كاملاً، اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء، وتعال اتبعنى" (مت١٩: ٢١) . هذا هو الكمال . وقد نفذه القديس الأنبا أنطونيوس .

إن أعطاء أفضل ما عندك، أو الإعطاء من العوز ، أقل بلاشك من أعطاء كل ما يملكه الإنسان. هذا الأمر يلزمه الموت الكامل عن العالم وكل مشتهياته ومقتنياته .

فى الكنيسة أيام الرسل ، كان الناس يبيعون كل ممتلكاتهم ويضعونها تحت أقدام الرسل. ولا يعتبر أحد أن شيئاً من أملاكه له. هذا هو التجرد الكامل، الذى لم يستطعه حنانيا وسفيرا، وهلكا بما أحتجزاه إذ لم يعطيا الكل ...

✠ ✠ ✠

هناك سيدات فضليات فى الكنيسة أعطين بيوتهن لتكون كنائس .

مثال ذلك مريم أم مرقس الرسول التى صار بيتها أول كنيسة فى العالم (أع١٢: ١٢)، وكذلك ليديا بائعة الأرجوان، وأكيلا وبريسكلا، وذكر الرسول "الكنيسة التى فى بيتهما" (رو١٦: ٥) .

جميل لشخص أن يصير بيته هو بيت الله. هل هذا الإنسان يعطى، أم تراه يأخذ بركة؟

✠ ✠ ✠

ومن أمثلة الذين أعطوا كل مالهم "أرونه اليبوسى" .

طلب منه داود النبى أن يقدم بيدره لكى يصير هيكلاً للرب. فقال له: خذ البيدر ليكون هيكلاً ، والبقرة لتكون محرقة، والنوارج لتكون وقوداً، والحنطة لتكون قرباناً لك أعطيت الكل" . ما أعمق عبارة "لك أعطيت الكل" (١أى٢١: ٢٣). يقول "لك أعطيت الكل" الشخص الذى لم تعد فى قلبه شهوة مسيطرة عليه من جهة امتلاك شئ .

✠ ✠ ✠

والسخاء فى العطاء لله ، هو أعطاء القلب كله . كما قال الرب "يا ابنى أعطنى قلبك".

وإن أعطى الإنسان قلبه لله، يكون قد أعطى كل شئ ...

عندما تعطى الله قلبك، إنما تعطيه كل حبك، وكل مشاعرك، وكل اشتياقاتك، فتحن إليه، وإلى الوجود معه. وبهذا العطاء، تعرف معنى الصلاة ومذاقتها وتختبرها. وإن

أعطيت الرب قلبك، ستنفذ وصاياه، لا عن أضطرار، وإنما عن حب، كما قال الرب "من يحبنى يحفظ وصاياى" .

كذلك إن أعطيت الناس قلبك وحبك، ستعمل كل شئ من أجلهم، لأن "المحبة ليست بالكلام واللسان، بل بالعمل والحق" كما قال الرسول (١يو٣: ١٨) .

✠ ✠ ✠

وإن أعطيت بسخاء ، ستعطى من جهة وقتك أيضاً .

تعطى وقتك لله، وتعطى وقتك للناس، ولا تتبرم من جهة الوقت الذى تقضيه فى العبادة أو فى خدمة الآخرين. وهذا هو أسلوب المحبين، الذين يعملون فوق نطاق الرسميات ...

وكمال العطاء من جهة الوقت ، هو التكريس .

حينما يعطى الإنسان كل حياته وكل عمره، لمحبة الله والناس ولخدمة الله والناس. فيصير قدساً للرب . هذا هو العطاء بسخاء ، لمن يفهم معنى العطاء .

✠ ✠ ✠

أعلى درجة فى العطاء ، هى أن يعطى الإنسان ذاته .

وكما قال الكتاب "ليس حب أعظم من هذا، أن يعطى أحد نفسه عن أحبائه" (يو١٥: ١٢). ونفذ الرب هذا، حينما أعطى ذاته على الصليب، وحينما أخلى ذاته من قبل .

★إن الشمعة مثال جميل لمن يعطى ذاته، فهى تذوب وتنتهى لكى تعطى للآخرين ضوءاً. وحبة البخور مثال آخر، فهى تحترق لكى تعطى رائحة زكية للآخرين .

★وأنت ، هل تستطيع أن تكون شمعة أو حبة بخور ...

★ذبيحة المحرقة ، كانت أيضاً تعطى ذاتها، حينما كانت النار تشتعل فيها إلى التمام حتى تتحول إلى رماد، وتصعد رائحة سرور. وهكذا كان المسيح على الصليب .

★ومن أمثلة أعطاء الذات ، أن يفدى أحد غيره بنفسه، أو من يحمل خطايا الآخرين وينسبها إلى نفسه ...

✠ ✠ ✠

إن كنت لا تستطيع أن تعطى ذاتك، أى روحك، فعلى الأقل أعط قلبك، كل القلب حسب الوصية ...

"تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ..." (تث٦: ٥) (مت٢٢: ٣٨).

مَحبّة بلا ريَاء ..

(رو ١٢ : ٩)

يقول الرسول "المحبة فلتكن بلا رياء. وادين بعضكم بعضاً بالمحبة، مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رو١٢: ٩) .

وصية المحبة هي أولى الوصايا (مت٢٢: ٣٧، ٣٨). ولكن ينبغي أن تكون محبة حقيقية، وليست مجرد مظهر خارجي . تكون - كما يقول الرسول - محبة بلا رياء .

✠ ✠ ✠

المحبة التي بلا رياء ، هي التي تكون في مشاعر القلب من الداخل، تماماً كما في الكلام والمعاملات الخارجية.. وتكون في الوجه، في اللقاء، كما في الغيبة ...

فمثلاً عبارات التملق والمداهنة ، لا تتفق مع المحبة الحقيقية، لأنها كلام رياء. وكذلك عبارات المحبة التي للمنفعة .

المحبة الحقيقية هي التي يقول عنها الرسول "لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق" (١يو٣: ١٨) .

✠ ✠ ✠

هذه المحبة يرفعها إلى مستوى محبة الأخ لأخيه، فيقول **"وادين بعضكم بعضاً، بالمحبة الأخوية"** (رو١٢: ١٠) . ذلك لأنه من أعمق أنواع المحبة، محبة الأخوة، وقد رأينا في تاريخ الكنيسة أمثلة من هذه المحبة الأخوية الروحية :

مثال ذلك المحبة التي بين القديسين الأخوين مكسيموس ودوماديوس .

عاشا معاً في مغارة واحدة في حياة الرهبنة، يصليان معاً، ويصومان معاً، ويشجعان بعضهما البعض في حياة القداسة، حتى أنهما حينما تنيحا كان ذلك في أيام متقاربة (١٤ طوبة، و١٧ طوبة). فذهبا أيضاً إلى الفردوس معاً في أسبوع واحد .

كذلك سمعنا عن المحبة الكبيرة التى بين القديسين قزمان ودميان .

وقصص كثيرة من سير الأخوة الشهداء، الذين نالوا إكليل الشهادة معاً مثل بيرو وآثوم، وماربهنام وسارة أخته، وعائلات بأسرها تقدمت للسيف معاً.

وأخوة عاشوا معاً فى حياة النسك مثل أنبا بيمن وأخوته. وأخوة عاشوا فى الخدمة والحياة الروحية معاً، مثل القديس باسيليوس الكبير، وأخواه القديس اغريغوريوس أسقف نيصص، والقديس بطرس أسقف سبسطية، وأختهم القديسة ماكرينا .

✠ ✠ ✠

ولا ننسى المحبة التى أظهرها يوسف الصديق نحو أخوته على الرغم من حسدهم له

وقد كان حسدهم هذا لوناً من الشذوذ، مثاله أيضاً قتل قايين لأخيه هابيل، والعداوة التى أظهرها عيسو نحو أخيه يعقوب، والمنافسة التى كانت بين ليئة وأختها رفقة، ولكن الوضع الطبيعى هو المحبة بين الأخوة .

✠ ✠ ✠

على أنه قد توجد محبة أخوية بين صديقين ، أعمق من المحبة بين أخوين، مثال ذلك المحبة بين داود ويوناثان .

ارتبطا معاً بالمحبة والإخلاص ، وبعهد مقدس، لدرجة أن يوناثان وقف ضد أبيه الملك شاول مدافعاً عن داود، حتى سخط عليه أبوه وانتهره. وظل الاخلاص قائماً بين هذين الصديقين. ولما مات يوناثان رثاه داود بكلمة مؤثرة قال فيها "كيف سقط الجبابرة.. قد تضايقت عليك جداً يا أخى يوناثان. كنت حلواً لى جداً. محبتك لى أعجب من محبة النساء" (٢صم١: ٢٦). وظل داود مخلصاً لكل نسل يوناثان، وفعل خيراً مع جميعهم .

✠ ✠ ✠

ولا ننسى المحبة الأخوية الكبيرة التى كانت بين الأنبا بيشوى والأنبا بولا الطموهى، حتى دفنا معاً إلى الآن .

والمحبة التى بين ابرام وجورجى، والتى بين أباكير ويوحنا.

والمحبة التى بين الأختين اللتين زارهما القديس مقاريوس الكبير، وقال له الله إن درجتهما مثل درجتك فى النسك. وكانتا متزوجتين ومتعاونتين معاً. إن بكى طفل إحداهما، ترضعه الأخرى. وكانتا تصليان معاً، وتحاول كل منهما أن تبذل نفسها عن الأخرى ...

✠ ✠ ✠

بل ما أجمل المحبة التى كانت بين راعوث وحماتها نُعمى .

وإصرار راعوث على عدم ترك حماتها وحدها، بعد وفاة الزوج الذى كان يجمعهما. بل قالت راعوث لحماتها "لا تلّحى علىّ أن أتركك وأرجع عنك. لأنه حيثما ذهبت أذهب، وحيثما مت أموت. شعبك شعبى، وإلهك إلهى" (را١: ١٦). ولم تفترق عنها. ونتيجة لهذا نصحت راعوث النصيحة التى صارت بها جدة لداود النبى .

✠ ✠ ✠

وهناك قصة عن محبة أخوين ، تُقال فى بناء هيكل سليمان .

كان أحدهما متزوجاً والآخر أعزب. فالأعزب كان يقول إن أخى المتزوج عليه مسئوليات كثيرة، آخذ جزءاً من بيدرى وأحمله إليه فى الخفاء. وكان المتزوج يقول: أخى الأعزب لا يوجد من يعتنى به، آخذ جزءاً من بيدرى وأحمله إليه فى الخفاء . وفى نصف الليل تقابلا معاً. وفى مكان لقائهما بنى الهيكل ...

✠ ✠ ✠

ومن الأمثلة العجيبة للمحبة الأخوية ، قول بولس الرسول :

"إن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لا ينقطع . لأنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح، لأجل أخوتى وأنسبائى حسب الجسد.." (رو٩: ٢، ٣) أى حب مثل هذا؟ ويقول أيضاً "من يضعف وأنا لا أضعف؟! ومن يفتر وأنا لا ألتهب؟!" (٢كو١١: ١٩). ويتحدث عن محبة أكيلا وبريسكلا فيقول "اللذين وضعا عنقيهما من أجلى" (رو١٦: ٤) .

ومن أمثلة المحبة العجيبة ، ما حدث مع موسى النبى .

★لما أراد الله إهلاك الشعب لعبادته العجل الذهبى، وعرض الأمر على موسى، تشفع موسى فى الشعب، وقال للرب "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت" (خر٣٢: ٣٢). حب عجيب، هو ومحبة بولس الرسول، صورة واحدة ...

★ومثال آخر للمحبة الأخوية التى للقديس موسى النبى : لما تزوج امرأة كوشية، وتكلم عليه هارون ومريم أخواه، ودافع الرب عنه ووبخهما، حدث أن الرب ضرب مريم بالبرص عقاباً لها لتقولها على موسى. فوقف موسى شفيعاً فى مريم لدى الرب.. "وصرخ موسى إلى الرب قائلاً: اللهم اشفها" (عدد١٢: ١٣) .

هذه هى المحبة الأخوية ، التى تنسى ذاتها ، لأجل أخوتها .

المحبة التى تفكر فى راحة هذا الأخ وسعادته مهما صدر منه، ومهما كان مخطئاً

ويستحق العقاب. إنها محبة القديسين ...

✠ ✠ ✠

نذكر فى هذا المجال أيضاً محبة ابرام ، للوط .

لوط فضل الأرض المعشبة على صحبته ابرام، وافترق عنه بعد خلاف بين رعاة هذا ورعاة ذاك. وسكن سادوم. ثم سبى مع أهل سادوم فى حرب كدر لعومر... فماذا فعل أبرام؟

يقول الكتاب "فلما سمع ابرام أن أخاه لوطاً قد سبى، جمع رجاله المدربين.." (تك١٤: ١٤)، وانقض على الأعداء، ورد سبى لوط وكل أهل سادوم .. إنها المحبة العملية .

✠ ✠ ✠

الحب لابد أن يعمل شيئاً ، ولا يهمه هل الذى يحبه اخطأ أم لم يخطئ! يستحق أو لا يستحق! المهم أن ينقذه .

بل أن قديسين ، وصلت بهم المحبة ، أن ذهبوا لانقاذ من يحبونهم، حتى أمكنة الدعارة، كما حدث فى إنقاذ القديسة بائيسة، وكما حدث مع القديس ابرآم فى انقاذ مريم ابنة أخته، وكما حدث مع القس ثيئودوروس الذى لبس ملابس جندى، ودخل لينقذ عذراء من أماكن الدعارة ...

محبة لا تبالى حتى بسمعتها، ومن أجل إنقاذ من تحبه. محبة أخوية.

تضحى وتبذل . وفى نفس الوقت لا تخطئ .

ليست محبة عشوائية كالمثل القائل "أنا وأخى على ابن عمى، وأنا وابن عمى على الغريب". كلا ، فهى محبة طاهرة .

✠ ✠ ✠

من مظاهر هذه المحبة ، أنها تفضل غيرها على نفسها .

مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة

(رو ١٢: ١٠)

الذى يحب ذاته ، بالأسلوب الدنيوى، يقدم نفسه على غيره .

أما الذى يحب غيره، فإنه ينكر ذاته، ويقدم غيره على نفسه . كما كان يوحنا الرسول يقدم بطرس الرسول لكبر سنه. فلما وصل يوم القيامة إلى القبر، انتظر حتى دخل بطرس أولاً، ثم دخل يوحنا بعده" (يو ٢٠: ٤- ٨) .

مثال داود النبى ، مع شاول الملك ، ومع أخوته ...

داود النبى ، مسحه صموئيل النبى ملكاً وسط أخوته (١صم١٦) . ومع ذلك ترك لشاول التقدم فى كل شئ، وظل يرعى الغنيمات القليلات فى البرية، ويذهب إلى الميدان يحمل الطعام لأخوته، وأعطى التقدم لشاول الملك ، ولم يستنكف أن يكون له خادماً، بعد مفارقة روح الرب لشاول. وظل يدعوه (مسيح الرب) إلى يوم وفاته . وعن نفسه كان يقول "أنا كلب ميت" .

✠ ✠ ✠

إن تقديم الآخرين على النفس ، فيه محبة ، وفيه اتضاع .

وجميل أن تمتزج المحبة والاتضاع فى عمل واحد . فيأخذ الإنسان المتكأ الأخير، ويقدم أخوته على نفسه ، وكما قال الشيخ الروحانى "كل موضع حللت فيه، كن صغير أخوتك وخديمهم" .

✠ ✠ ✠

هل يمكنك أن تدخل عملياً فى هذا التدريب الروحى ؟

★فى الكلام مثلاً ، اعط غيرك فرصة لأن يتكلم قبلك . وإن تكلم فلا تقاطعه ، ولا

توقف رأيه لتتكلم أنت .

★في الدخول ، في الخروج ، في الجلوس ، في الطعام ، من السهل عليك جداً أن تقدم غيرك على نفسك .

★إن اشتركت مع أحد في عمل ناجح، انسب النجاح إليه لا إلى نفسك، مهما كنت قد قمت بالمجهود الأوفر .

★في ألحان الكنيسة والمردات ، لو أن كل شماس قدم غيره على نفسه ، لظهر اللحن جميلاً، في أدائه واتضاع قائليه .

★في أخذ لقمة البركة (الأولوجية)، وفي الزحام لنوال بركة أب كاهن، أين عبارة "مقدمين بعضكم بعضاً" .

★هذا التدريب يمكننا أن نستخدمه حتى في الفكر والقلب ، ففي أعماق نفسك ، باتضاع قدم غيرك على نفسك في الكرامة .

كارهين الشر ملتصقين بالخير

(رو١٢: ٩)

نتابع تأملاتنا فى هذا الاصحاح من الرسالة إلى رومية. فنصل إلى قول الرسول القديس : "كونوا كارهين للشر، ملتصقين بالخير" .

فنبحث معاً : ما معنى كراهية الشر ؟ وما دلالتها؟ وكيف تكون ؟

✠ ✠ ✠

لاحظوا أنه قال "كارهين الشر" وليس "تاركين الشر" .

فالإنسان فى بدء صراعه مع الخطية، فى بداية التوبة، ربما يترك الشر، وتظل فى قلبه محبة هذا الذى يتركه! أى أنه يترك الخطية بالفعل وليس بالعاطفة .

وهكذا يختلف داخله عن خارجه، ويدخل فى صراع :

ضميره يمنعه من فعل الخطية، ولكن شهوتها مازالت فى قلبه. فهو يشتهى، ومن أجل الله فقط، لا ينفذ ما يشتهيه .

إنه يترك الخطية، لا لأنها رديئة ومكروهة منه، وإنما لأنها ممنوعة، تقف أمامها الوصية الإلهية .

"الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح تشتهى ضد الجسد" (غل٥: ١٧) ولكن الإرادة تقف مانعاً لنفضل جانباً على جانب .

وهنا يحتاج الإنسان إلى مقاومة، وإلى ضبط نفس. والمقاومة دليل على أن الإنسان لم يكره الخطية بعد...

✠ ✠ ✠

هناك علامات يختبر بها الإنسان نفسه، هل كره الخطية ؟

١ – هل لا يزال فكره منشغلاً بها، وبتذكاراتها وصورها ؟ وهل إذا أتاه فكر الخطية،

يطرده أم يستبقيه ؟ وهل إذا طرده يسهل عليه الأمر ، أم يجد صعوبة ؟

٢ – هل يجد لذة فى الخطية، إذا تذكرها ؟

وهل يود لو رجع إلى الخطية مرة أخرى ؟

٣ – هل تأتيه الخطية فى أحلامه ؟ فيحلم أنه يخطئ ؟

أم إن حلم بالخطية، يقاومها فى حلمه ويرفضها ؟

٤–هل إذا أغرى بالخطية فى الحياة العملية، وكان الإغراء شديداً، لا يتأثر ولا ينفعل؟

✠ ✠ ✠

هناك إنسان لا يسقط فى الخطية، لأنه لم يجرب بها، رفعها الله عنه بالنعمة، أو أن التجربة كانت خفيفة فلم تترك تأثيراً كبيراً فى النفس . أما الإنسان الذى يجرب بالخطية فى عمقها، وليس فقط ينتصر، وإنما لا يهتز من الداخل ، فهذا كاره للخطية .

إن القديسين لا يتعبون فى مقاومة الخطية، لأنه لا يوجد فى داخلهم أى ميل إليها، بل على العكس يوجد اشمئزاز منها، كشئ لا يتفق مع طبيعتهم من جهة، ويفصلهم عن الله وعشرته من جهة أخرى ...

✠ ✠ ✠

إن القديس الكاره الخطية ، هو الذى إذا جرب بالخطية، يرفضها رفضاً كاملاً، دون أن يبذل مجهوداً فى رفضها ...

ولا يوجد فى القديس صراع بين جسده وروحه ، فالجسد يشتهى نفس ما تشتهيه الروح، وليس من انقسام فى طبيعته، الجسد والروح كلاهما يشتهيان الله وحده وليس غير. فإن جاءت الخطية لا تجد لها مكاناً فى أى منهما ...

✠ ✠ ✠

★يوسف الصديق ألحت عليه الخطية إلحاحاً، ولم تكن الخطورة فى ارتكاب الخطية، وإنما فى عدم ارتكابها. ومع ذلك لم يستجب. كان قلبه ينفر منها، لذلك تركها ومضى..

★القديس الأنبا أنطونيوس، كان يرى الذهب منثوراً أمامه على الرمال، فما يلتفت إليه، ولا يرى فيه ما يغرى.وكانت الشياطين تحاربه بإغراءات كثيرة، فما يجد فيها ما يغريه..

★والقديسون الذين ماتت قلوبهم عن كرامة العالم ومناصبه وأمجاده، حينما كانت تعرض عليهم مناصب الرئاسة، ما كانت تجد فى قلوبهم قابلية، بل كانوا يهربون منها هروبهم من الخطية !

✠ ✠ ✠

المهم هو حالة القلب من الداخل ، هل هو يميل إلى الإغراء الخارجى أم لا يميل.

فإن كان لا يميل، لا تؤثر عليه الخطية إطلاقاً ، لأنه كاره لها فى الداخل .

الذى يكره الخمر مثلاً، مهما عرضت عليه أفضل أصنافها، لا يميل إليها ولا يشرب، لأنه لا يحبها. ولا يبذل مجهوداً فى الامتناع . ولا يشعر فى ذلك بصراع داخله.

كذلك الذى يكره التدخين ، والذى يكره الكذب، والذى يكره الرياء، والذى يكره المظاهر.. إلخ. ينطبق عليه قول الرسول "لا يستطيع أن يخطئ" (١يو٣: ٩).

كراهيته للخطية ، تجعله حصناً حصيناً منيعاً لا يقهر .

✠ ✠ ✠

أما الذى ترك الخطية، ولم يكرهها بعد، فإنه إن عاود السقوط فيها يبرر نفسه بأعذار كثيرة، للتغطية ... الشخص الذى يكره الخطية ، لا يتساهل معها فى شئ .

الذى يكره الشر ، يكره الشر كله ، بكل صوره وتفاصيله ...

لأنه قد يوجد من يكره خطية معينة، بالذات ولا يقع فيها ، ولكنه يتساهل مع خطايا أخرى غيرها .

بينما خطية واحدة أياً كانت، يمكن أن تعكر نقاوة الإنسان كله ، وتضيع خلاصه.. والشيطان ليس محتاجاً أن يحارب الإنسان فى جميع الميادين، إنما تكفى خطية واحدة، يضيعه بها .

فالذى يكره الشر حقاً، يكره جميع الخطايا. يكره الخطية بمعناها المطلق، وليست خطية معينة بالذات. يكره الظلمة، وعمل الشيطان، وكل ما يبعده عن الإتحاد الكامل بالله..

✠ ✠ ✠

كراهية الشر قد تأتى بالتربية الروحية السليمة :

حيث يتعلم الإنسان أن الخطية هى موت، وهى نجاسة وظلمة، وانفصال عن الله وعن ملائكته، ورفض لعمل نعمته. وأن الخطية هى خيانة لله، وجحدان لمحبته، وإنها ضياع وهلاك. لذلك يبتعد عنها الإنسان خوفاً منها، بدراسته لها .

✠ ✠ ✠

وقد تأتى كراهية الشر بسبب ما قاساه الإنسان بنفسه عملياً. من نتائج السقوط الرهيبة، ومن عذاب الضمير .

كما رأى شمشون بنفسه ، ما جرته عليه الخطية من ضياع . ومثلما تعذب بطرس الرسول من جراء إنكاره للمسيح. ومثلما اختبرته مريم القبطية، إذ رأت كيف فصلتها الخطية عن المواضع المقدسة، وصارت بها مرفوضة من الله.. فتألمت وكرهت الخطية.

وقد تأتى كراهية الشر من عمل إيجابى ، هو محبة الله .

محبة الله إن دخلت قلب إنسان، حرقت كل زوان الخطية، وأزالت محبتها من القلب. مثلما حدث مع زكا رئيس العشارين، لما التقى بالمسيح وأحبه، كره كل أعماله القديمة. وليس فقط تركها، إنما أيضاً تعهد بمعالجة نتائجها السيئة (لو١٩)...

وقد تأتى كراهية الشر من عمل النعمة فى القلب .

إذا بدأ الروح القدس يعمل فى قلب إنسان، ودخلت النعمة إلى حياته، فإن النعمة تحوله إلى شخص آخر كاره للشر.. شاول الطرسوسى، لما تقابل مع السيد المسيح، ودخل فى حياة التجديد، وفى الدعوة الإلهية، وعمل فيه الروح، كره كل حياته القديمة، وأصبح لا يتحدث عنها إلا باشمئزاز فقال "أنا الذى كنت من قبل مفترياً" "مضطهداً للكنيسة" (١تى١: ١٣) "لست مستحقاً أن أدعى رسولاً، لأنى اضطهدت كنيسة الله" (١كو١٥: ٩)..

وقد تأتى كراهية الشر نتيجة لكل هذه الأسباب مجتمعة :

سواء من النعمة ، أو استجابة الإنسان، أو تأثير النتائج ...

✠ ✠ ✠

بداية التوبة ترك الخطية ، أما كمال التوبة فهو كراهية الخطية .

وكراهية الخطية ليست مجرد عمل سلبى . وإنما تأتى بإحلال محبة الله فى القلب، ومحبة الفضيلة والخير . ولذلك لم يقل الكتاب فقط "كونوا كارهين للشر" بل أضاف "ملتصقين بالخير" . فكلما التصق الإنسان بالخير وأحبه، سيكره الخطية تلقائياً .

ولذلك يمكن أن نكون إيجابيين فى التربية . وأكثر من الحديث عن بشاعة الخطية، نتحدث عن جمال البر والفضيلة . فإن أحب الناس حياة البر، سيرون بالمقارنة كم هى الخطية بشعة ويتركونها .

✠ ✠ ✠

ولذلك ما أجمل قول أحد القديسين عن التوبة :

التوبة هى إحلال شهوة محل شهوة أخرى .

وضع شهوة البر والأمور الإلهية ، موضع شهوة العالم والمادة .

إن الذى يحب الوداعة ، تلقائياً سيكره العنف .

والذى يحب الإتضاع ، فبدون أن تحدثه عن بشاعة الكبرياء والعظمة والمجد الباطل، سيكره هذا كله ، بمحبته للاتضاع .

وهكذا الذى يحب الغيرة المقدسة، سيكره التكاسل فى الخدمة .

ولا يستطيع أحد أن يجمع محبتين متضادتين فى وقت واحد . ولكنه يقع فى الخطية إن كانت محبته للخير، ناقصة وضعيفة .

✠ ✠ ✠

لذلك علينا أن ندعو الناس إلى النمو فى الفضيلة، ليس فقط بالسلوك فيها، بل بمحبتها. لأن أناساً قد يسيرون فى طريق الخير، لمجرد الطاعة، أو لاكتساب سمعة حسنة. أو لمعيشتهم فى جو الكنيسة، أو لمجرد تنفيذ الوصية، دون أن يكون حب الخير فى قلوبهم، أو حب الله فى قلوبهم .

إن طاعة الوصية شئ ، ومحبة الوصية شئ أسمى .

والخضوع لله شئ ، ومحبته هى الشئ الأسمى ، الذى دعينا إليه وإن وصلنا إلى محبة الله، سنكره الخطية بطبيعتنا .

✠ ✠ ✠

على أن كراهية الخطية ، ينبغى أن تكون دائمة مستمرة .

فلا تكره الخطية اليوم ، أو تقول إنك كرهتها، ثم تعود فتحبها بعد حين، وتحيا موزع القلب، غير ثابت فى مشاعرك. فهذا يدل على أن عاطفتك أيضاً من جهة الله غير ثابتة، وأيضاً يدل على أن مبادئك فى محبة الخير غير ثابتة ..!

كن ثابتاً فى قلبك. أشعر أن الحياة فى الخطية هى مذلة وسقوط . وهى انفصال عن شركة الروح القدس ... لأنه أية شركة للنور مع الظلمة ؟! (٢كو٦: ١٤).

فإما أن تحيا فى النور ملتصقاً بالله ، وإما أن تحيا فى الظلمة منفصلاً عنه، وعن ملائكته وقديسيه، وعن الخير ...

✠ ✠ ✠

واعرف أن كراهية الخطية هى بداية لحياة النقاوة والقداسة .

وهذه الحياة المقدسة طريق طويل يحتاج إلى جهاد ونمو. فلا تضيع جهادك فى صراع مع الخطية. وليكن لك الجهاد الإيجابى . لذلك قال الرسول "ملتصقين بالخير" .

والالتصاق بالخير يعنى عدم الانفصال عنه .

وإذا لم تنفصل عنه ، تكون النتيجة الطبيعية أنك سوف لا تفعل الشر. لأن الشر ليس له وجود إيجابى ، وإنما هو عدم فعل الخير . وهكذا يكون الرسول قد طرق الموضوع من كلا الناحيتين: من الجانب السلبى والجانب الإيجابى. فمن الناحية السلبية قال "كارهين للشر". ومن الناحية الإيجابية قال "ملتصقين بالخير" .

✠ ✠ ✠

إن الحياة الروحية ليست مجرد الابتعاد عن الشر وكراهيته ، وإنما جوهرها هو فعل الخير .

ونحن لا نستطيع أن نصف من لا يفعل الشر بأنه قديس، إن كان فى نفس الوقت لا يفعل الخير! لقد خلقنا الله على صورته وشبهه . والله هو صانع الخيرات، فيجب أن نكون مثله نصنع خيراً. وما أجمل ما قيل عن السيد المسيح: إنه كان يجول يصنع خيراً" (أع١٠: ٣٨) .

كل إنسان إذن، عليه أن يفعل الخير، على قدر استطاعته ، وإلا فإنه يكون مداناً. وقد قال الكتاب : "**من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فتلك خطية له**" (يع٤: ١٧) .

✠ ✠ ✠

إن الكتاب يأمرنا – ليس فقط أن نترك الشر – بل بالأكثر أن نكره الشر، نكره الخطية. وهنا يقف أمامنا سؤال هام :

كيف نعرف أننا نكره الشر ؟ ما علامات ذلك ؟

عَلامات كراهية الشر :

★كراهية الشر معناها أنك لا تقبله، لا تلتذ به، لا ترضى أن يمرّ بفكرك. وإن مرّ بك، تطرده بسرعة بسهولة .

★كراهيتك للشر معناها أنك لست فى صراع معه . ذلك لأن الصراع معناه أن جزءاً منك يقبله، وجزءاً لا يقبله، والإثنين فى صراع معاً. أما الذى يكره الخطية، فقد ارتفع عن مرحلة الصراع.

✠ ✠ ✠

فى أوقات الاستشهاد، كانوا يحاربون القديسين ليس فقط بترك الإيمان، وإنما أيضاً بالخطية، فكانوا بسمو عظيم لا يقبلونها. يرفضونها بحزم، وبدون مجهود، ولا يقبلون أعذاراً فى الاضطرار الواقع عليهم . ذلك لأن قلوبهم كانت نقية من الداخل .

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً فى سير الشهداء والمعترفين .

★إن عملية التجديد العجيبة التى يجريها الروح القدس فى قلب الإنسان المؤمن، هى أن يجعله يكره الشر، ولا تقبله طبيعته الجديدة.

★إن القديسين كرهوا الشر بكل أنواعه: كرهوا المال والقنية ومباهج الدنيا، ولم تعد تحاربهم. كرهوا العظمة والمجد الباطل، وما عادوا يشتهون عبارات المديح ولا يقبلونها.

بل كانوا يتظاهرون بما يجلب لهم المهانة، إمعاناً فى الهروب من الكرامة. والأمثلة على ذلك عديدة جداً فى سير الآباء والراهبان..

القديس الأنبا بيشوى كان يجاهد فى اكتساب الفضائل . فإذا عُرفت عنه فضيلة، يجاهد فى غيرها. وكان الآباء إذا اشتهروا فى مكان، يتركونه إلى مكان آخر لا يكونون معروفين فيه .

✠ ✠ ✠

★الذى يكره الخطية لا يتعامل معها، ويبتعد عن كل مجالاتها.

لأنها لا تتفق مع طبعه، ولأنه لا شركة للنور مع الظلمة (٢كو٦: ١٤) .لذلك فهو يبعد عن الحديث عنها، وعن مجالس المستهزئين وكل طرق الخطاة (مز١). وعن تذكار الشر الملبس الموت. ويقطع كل الصلات التى تعمل على ربطه بها .

✠ ✠ ✠

★والذى يكره الخطية، تكون كراهيته لها حقيقية ودائمة.

لأن البعض قد يكره الشر فى فترة معينة، ربما كرد فعل لما أصابه وأتعبه. مثل الذى يخسر خسارة كبيرة جداً فى لعب القمار، فيكرهه ويكره كل نواديه، ويقسم أنه لن يلعبه مرة أخرى! وتكون كراهية مؤقتة قد تستمر فترة . ثم يعود ويقول : سوف ألعب لا حباً فى القمار – فقد كرهته!! – إنما لكى أعوّض خسارتى السابقة ! وهكذا يعود ويستمر .

✠ ✠ ✠

★إن الذين كرهوا الشرّ لم يعودوا إليه مرة أخرى.

مثال ذلك عدد كبير من قديسى التوبة: كالقديس أغسطينوس، والقديس موسى الأسود، والقديسة مريم القبطية، والقديسة بيلاجية.. فإنهم جميعاً تركوا الشر، والتصقوا بالخير، ونموا فى هذا الطريق الجديد حتى تحولوا إلى قديسين جبابرة فى عالم الروح .

★لم يحدث أن واحداً منهم نظر إلى الخلف، كما حدث لإمرأة لوط حينما نظرت إلى الوراء إلى أرض سادوم (تك١٩: ٢٦) .

✠ ✠ ✠

★الذى يكره الخطية، لا يتفاوض معها.

بل يكون حازماً جداً، لا يبحث عن حلولٍ وسط. بل يجتثها من جذورها، ولا يستبقى شيئاً من مخلفاتها. ولا يسمح بأن يستمر الكنعانيون فى الأرض! ولا يكون متردداً، ساعة هنا وساعة هناك. فالمتردد لم يكره الخطية بعد .

✠ ✠ ✠

★والذى يكره الخطية ، لا يترك قلبه فى فراغ . بل يملأ القلب بمحبة الله.

لأن القلب لابد أن يحب . فإن لم نشبعه بمحبة الله، ومحبة الخير، ومحبة الملكوت.. يكون خطر العودة إلى الخطية يحاربه. لذلك فإن الرسول لم يقل فقط "كارهين الشر"، بل قال كذلك "ملتصقين بالخير" . لأن الأمرين يعملان معاً.

وقد قال الآباء إن التوبة هى "استبدال شهوة بشهوة" فهى بعد عن شهوة الخطية، بأن يشبع القلب بشهوة البر ...

ملتصقين بالخير :

لا يلتصق بالخير إلا الذى يحبه، ويفعل الخير عن حب .

★فالخير ليس هو مجرد فعل الخير ، إن كانت الدوافع غير خيّرة .

لأن البعض قد يفعل الخير عن اضطرار أو إحراج، دون أن تكون المحبة فى قلبه! وقد يفعل البعض الخير حباً فى المديح والكرامة أو حباً للشهرة، ويكون بهذا قد استوفى أجره من الناس (مت٦). وقد يفعل البعض الخير لمجرد مجاراة لتيار سائد، أو منافسة لخصم له يفعل الخير . وقد يفعل البعض الخير وهو متضايق، وقد يندم على ذلك. فهل يُعتبر شئ من كل هذا خيراً، وهو غير نابع من قلب خيّر؟!

✠ ✠ ✠

والملتصق بالخير ، هو الذى أصبح الخير من طبعه، يعمله بمداومة. وكأن الخير يختلط بدمه ويجرى فى عروقه .

إنه لا يكف عن فعل الخير. فهو لا يقصر فعل الخير على مناسبات معينة. بل يفعل الخير فى كل حين، مع كل أحد، كلما كان ذلك لازماً لمنفعة الغير . وما أجمل ما قيل فى ذلك عن السيد المسيح إنه "كان يجول يصنع خيراً" (أع١٠: ٣٨). وكذلك كان تلاميذه القديسون . وهكذا كان الآباء الرعاة، وكل فاعلى الخير فى كل جيل .

✠ ✠ ✠

إن فعل الخير وصية يلتزم بها كل إنسان له قلب محب لله وللناس. فالكتاب يقدم لنا هذه الوصية .

"لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله" (أم٣: ٢٧) .

فالإنسان الملتصق بالخير، دائماً يفعل الخير طالما كان قادراً على ذلك . ولا يضع الكتاب حدوداً لهذه الوصية، سواء من جهة كمية الخير الذى يقدمه، أو نوعية الخير

المقدم، أو شخصية من يقدم له الخير. إنها وصية شاملة ...

✠ ✠ ✠

والملتصق بالخير ، يفعل الخير دون أن يُطلب منه .

دون أن يدعوه أحد إلى ذلك . فالذى يدعوه هو قلبه وضميره ومشاعره . مثال ذلك السامرى الصالح ، الذى فعل الخير مع جريح ملقى على الطريق، ومن شعب كان فى ذلك الزمان معتبراً عدواً له ..! ولو أنه "جاز مقابله" كما فعل الكاهن واللاوى (لو١٠: ٣١، ٣٢) .. ما كان سيلومه أحد!! ولكن الرب يقول لناعبارة جميلة عن مشاعر هذا السامرى حيال الرجل الجريح .. يقول "ولما رآه تحنن" (لو١٠: ٣٣). نعم، هذا هو عمل الخير النابع من مشاعر القلب. وبعمل الخير هذا حُسب السامرى قريباً لليهودى الجريح.

✠ ✠ ✠

★إنك إن فعلت الخير مع عدوك، تكون أكثر براً مما لو فعلت ذلك مع صديقك أو قريبك.

وفى ذلك يقول الرسول فى نفس الرسالة "إن جاع عدوك فاطعمه، وإن عطش فاسقه" (رو١٢: ٢٠) .. لاشك أنك بهذا تخجله، وقد تكسبه بمحبتك وبالخير الذى قد صنعته معه. إن الله نفسه يعمل الخير مع الكل "فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت٥: ٤٥) ليتنا نشبه أبانا السماوى فيما يفعل كصانع للخيرات. يصنع الخير مع المستحق وغير المستحق ...

✠ ✠ ✠

إن الملتصق بالخير لا يندم ولا يتغير، إذا قوبل خيره بجحدان للجميل أو بخيانة أو إساءة !

فهو لا يفعل الخير لكى ينال عنه أجراً من أحد، ولا حتى لكى ينال عنه شكراً أو حباً.. إنما يفعل الخير لأن هذا هو طبعه، وهذا واجبه، دون أن ينظر إطلاقاً إلى ردود الفعل . إنه ليس تاجراً يبحث عن ربح أو يحزن لخسارة ..! فعل الخير عنده طبع، وليس صفقة.

حتى إن خانه من تلقى منه الخير ، فإنه لا يتغير . بل يضع أمامه قول الرسول "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١) .لا يتغير لأنه ملتصق بالخير .

الخير ليس رداء يرتديه ويخلعه . إنما الخير هو جزء من تركيبه الإنسانى، أو من تركيبه الروحانى .

✠ ✠ ✠

والملتصق بالخير يجب أن يلتصق بالخير بمعناه الحقيقى، وليس بما يظنــه خيراً، وقد لا يكون فى حقيقته كذلك .

الأمر إذن يحتاج إلى فهم وافراز ، وقد يحتاج أيضاً إلى ارشاد وإلى حكمة، لكى يعمل الإنسان الخير كما ينبغى أن يكون . فالكتاب يقول "توجـد طريـق تبـدو للإنسـان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم١٤: ١٢) (أم١٦: ٢٥) .

✠ ✠ ✠

هناك معنى آخر للخير يخص الإنسان نفسه ، وهو البر :

فالملتصق بالخير تلتصق نفسه بالبر، أى بحياة القداسة، بحياة الفضيلة والبر. فيكـون الخير ليس فقط ما يقدمه للناس من عون وحب، وإنما ما يدرب عليه نفسه مـن حيـاة بـارة مقبولة أمام الله، ومن القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب .

والالتصاق بهذه الحياة المقدسة ، يعنـى الثبـات فيهـا وعـدم التحـول عنهـا مهمـا كـانت الضغوط الخارجية، ومهما كانت حروب العدو واغراءات هذا العالم الباطل .

إذن اكرهوا الشر فى حياتكم ، لكـى تستطيعوا باسـتمرار أن تلتصقـوا بـالخير، فتكـون حياتكم كلها خيراً لكم ولغيركم .

✠ ✠ ✠

والالتصاق بالخير ، يعنى الالتصاق بالله .

كما قال المرتل فى المزمور "وأما أنا فخير لى الالتصاق بالرب" (مـز٧٣: ٢٨). لأنـه بدون الالتصاق بالرب لا نستطيع أن نفعل خيراً . فهو القائل "بدونى لا تقدرون أن تعملـوا شيئاً" (يو١٥: ٥). لذلك نلتصق به كطبيعة التصاق الغصن بالشجرة ، لكى تكون لنـا حيـاة فيه، وحياة به .

والتصاقنا بالله يجعلنا نعمل الخير الذى يريده الله، الخير الذى يعمله الله بنا، ونكون مجرد أدوات فى يديه .

وبالتصـاقنا بالله ، يكون الخير هو منهج حياتنا ، هو العمـل الدائـم لنـا الـذى تتميـز بـه كأولاد الله، يعملـون مـا يعملـه هـو . ويتـم فينـا قـول الرسـول "بهـذا أولاد اللـه ظـاهرون" (ايو٣: ١٠) .

فرحًا مع الفرحين ..
وبكاء مع الباكين ..

(رو ١٢: ١٥)

إنها وصية تدخل فى نطاق المشاركة الوجدانية .

فالله لا يريد الإنسان أن يكون منفصلاً فى مشاعره وعواطفه عن الوسط المحيط به، وعن المجتمع الذى يعيش فيه. بل يريدنا أن نحس بإحساسات الناس، ونشعر بشعورهم، ونتجاوب معهم. على اعتبار أننا جميعاً أعضاء فى جسد واحد. وكما قال الرسول "..لكى لا يكون إنشقاق فى الجسد. بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض" (اكو١٢: ٢٥).

"فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه" .

وإن كان عضو واحد يكرّم، فجميع الأعضاء تفرح معه" (اكو١٢: ٢٥، ٢٦) .

✠ ✠ ✠

فإن دخلت شوكة فى قدم إنسان، لا تستطيع الرأس أو اليد أن تقول "وما شأنى بها"، بل يتألم الإنسان كله. ومن الناحية الأخرى، إن شرب الإنسان شيئاً منعشاً، ينتعش الجسد كله.. وبهذا المثال يريدنا الرب أن نكون جميعاً بشعور واحد، باعتبارنا أعضاء فى جسد واحد.

طالما نحن فى المجتمع، فلا ننغلق على أنفسنا، بل ننفتح على هذا المجتمع، ونشعر بمشاعره "فرحاً مع الفرحين، وبكاء مع الباكين" .

مشاركة الرب :

السيد المسيح نفسه ، كان هكذا فى فترة تجسده على الأرض .

حضر عرس قانا الجليل ، وشارك الناس فى فرحهم، بـل ساعدهم علـى ذلك (يو ٢). ولما مات لعازر، ذهب مع تلاميذه ليعزى. بل فعل أكثر من هذا، إذ قيل عنه فـى تلك المناسبة "بكى يسوع" (يو ١١: ٣٥). ولم يكتـفِ بهذا، بـل أقام لعـازر مـن الموت. وتـأثر لبكاء أرملة نايين لموت وحيدها. وقيل فى ذلك "ولما رآها الرب تحنن عليها. وقال لها "لا تبكى". ثم أقام ابنها "ودفعه إلى أمه" (لو٧: ١٢– ١٥) .

✠ ✠ ✠

كان السيد مملوءاً بالمشاعر الحساسة من جهة الناس .

كان يجول يصنع خيراً ، ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليـس (أع١٠: ٣٨) "ولمـا رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها" (مت٩: ٣٦). وكان يشفق على كل أحد. حتى أنه أشفق على المرأة الخاطئة المضبوطة فى ذات الفعل، وانقذها من راجميها، وقال لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرجمها بأول حجر" (يو٨: ٧).

ولما أقام لاوى العشار وليمة ، حضرها السيد واتكأ معه ومع العشارين والخطاة. ولمـا أنتقد الفريسيون ذلك وقالوا لتلاميذه "لمـاذا يـأكل معلمكـم مـع العشـارين والخطـاة، أجـابهم الرب "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لـم آتِ لأدعـو أبـراراً بـل خطـاة إلـى التوبة" (مت٩: ٩– ١٣) .

وهكذا أيضـاً دخل بيت زكـا رئيس العشـارين، وفـرح لتوبتـه، وقـال : اليوم حصـل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن لأبراهيم" (لو١٩: ١– ٩) . ولـم يبـال بتذمـر اليهـود، لأنه دخل بيت رجل خاطئ!

✠ ✠ ✠

كان يفرح بتوبة الخطاة، ويشاركهم فرحهم. بل قد قال :

"هكذا يكون فرح فى السماء بخـاطئ واحد يتـوب، أكثر من تسـعة وتسـعين بـاراً لا يحتاجون إلى توبة" (لو١٥: ٧) .

السماء أيضاً تسير بمبدأ "فرحاً مع الفرحين". فإذا ما فرحـت فـى توبتـك، لا تظـن أنـك تفرح وحدك، بل تفرح معك أيضاً ملائكة الله فى السماء .

وكما فرح الرب بهؤلاء ، قيل عنه من الناحية الأخرى إنه بكى على أورشـليم. وهكـذا كُتب فى الإنجيل "وفيما هو يقترب، نظر إلى المدينة وبكى عليها قـائلاً "..إنـه سـتأتى أيـام ويحيط بك أعداؤك.. ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبنيكِ فيك.. لأنـك لـم تعرفـى

زمان افتقادك" (لو ١٩: ٤١- ٤٤) .

✠ ✠ ✠

شعور الرب هنا أكثر من عبارة "بكاء مع الباكين" .

لأنه بكى حزناً عليهم ، حتى قبل أن يبكوا هم ...

إننا نؤمن ليس بإله موجود فى السماء فقط، إنما بإله يتمشى معنا أيضاً على الأرض، ويشاركونا مشاعرنا فى الفرح والحزن. ألم يقل الكتاب إن "اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (مت١: ٢٣). وهو نفسه قد قال "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠). وقيل عن مشاعره بالنسبة إلى شعبه "فى كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم" (إش٦٣: ٩) .

✠ ✠ ✠

ما أعجب هذا التجاوب العاطفى الذى بين الله وشعبه .

إنه لما وجد الخروف الضال ، قيل إنه "يضعه على منكبيه فرحاً" ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم : افرحوا معى لأنى وجدت خروفى الضال" (لو١٥: ٥، ٦) .

حقاً يا أخى ، إنك حينما تتوب، فلست تفرح وحدك بتوبتك، بل تقيم فرحاً فى السماء وعلى الأرض. يفرح الله بك، وتفرح ملائكته وأرواح القديسين، وأعضاء الكنيسة كلهم، عملاً بذلك المبدأ الإلهى الكتابى "فرحاً مع الفرحين" .

فى سفر الرؤيا ، نرى أنه لما صرخ إلى الله الشهداء الذين تحت المذبح .. قال لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وأخوتهم أيضاً ، العتيدون أن يقتلوا معهم" (رؤ٦: ٩- ١١). وكأنه يقول لهم : أنتظروا قليلاً إننا سنقيم الحفلة الكبرى بعد أن يكمل اخوتكم جهادهم على الأرض، الحفلة التى يشترك فيها الملائكة ، وأرواح القديسين الذين أنتقلوا ، والذين سيأتون بعدهم من الأرض. الكل سيفرحون معهم. وسيأتون "فرحاً مع الفرحين" ..

✠ ✠ ✠

فى قصة الابن الضال ، نرى فرحاً عاماً ، قد أقيم لعودته .

قال أبوه لعبيده "أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه، واجعلوا خاتماً فى يده، وحذاء فى رجليه. وقدموا العجل المسمن واذبحوه. فنأكل ونفرح ، لأن ابنى هذا: كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو١٥: ٢٢- ٢٤) . الكل فرحوا معاً. الوحيد الذى لم يكن فرحاً مع الفرحين هو أخوه الكبير الذى رفض أن يدخل البيت. فخرج إليه أبوه ليقنعه، قائلاً له

"..كان ينبغى أن نفرح ونسرّ، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" .

المشاركة بين البشر :

حذارِ إذن أن تظن أنك جزيرة منفردة فى المحيط، لا صلة لها بباقى الأراضى والبلدان.

لا تفصل نفسك عن الاشتراك فى أفراح الناس وأحزانهم. فهم لحم من لحمك، وعظم من عظامك. وإن كنت لا تشترك فى مشاعرهم، إما أن تكون منطوياً على ذاتك، أو تكون غير محب لغيرك، أو تكون أنانياً لا تفكر إلا فى نفسك فقط! وحاشا لك أن تكون هكذا.. لأنك إن عشت بهذا الشكل، كيف ستكون مشاعر الناس من نحوك؟ وماذا تكون ردود فعلهم؟!

✠ ✠ ✠

ما أجمل قصة السامرى الصالح التى قدمها لنا السيد الرب :

هذا السامرى رأى إنساناً مجروحاً ملقى على الطريق ما بين حىّ وميت. "فلما رآه تحنن، وتقدم وضمّد جراحاته.. وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق وأعتنى به" (لو ١٠: ٣٠- ٣٥). وأنفق عليه ماله، فى الوقت الذى رآه فيه كاهن ولاوى ، وجاز كل منهما مقابله دون أن يفعل شيئاً!

وهنا عبارة "بكاء مع الباكين" ترجمها السامرى الصالح ترجمة عملية، تحولت بها إلى عطف وحنو وإنقاذ وعطاء .

فلا يكفى أن تبكى مع الباكين ، دون أن تفعل شيئاً تجلب به العزاء إلى قلوبهم.. ولا تكن علاقتك بالناس مجرد مجاملات لفظية، أو زيارات تؤدى بها واجباً. إنما يجب أن تكون مشاعرك حقيقية ومن كل القلب. وبقدر إمكانك تفعل من الناحية العملية ما يمليه عليك ضميرك ...

✠ ✠ ✠

من القصص المشهورة فى هذا المجال، قصة أيوب الصديق وأصحابه .

أصحاب أيوب الثلاثة: لما سمعوا بالتجربة التى حلّت به، أتوا إليه "ليرثوا له ويعزوه" "ورفعوا أصواتهم وبكوا. ومزّق كل واحد منهم جبته، وذروا تراباً فوق رؤوسهم نحو السماء. وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليالٍ. ولم يكلمه أحد بكلمة ، لأنهم رأوا

أن كآبته كانت عظيمة جداً" (أى٢: ١١- ١٣) .

فهل انطبقت عليهم عبارة "بكاء مع الباكين" ؟ أم كان ما فعلوه مجرد ردّ فعل مؤقت لما رأوه فى حالة أيوب التى تدعو إلى الرثاء؟ إننا نرى أنهم فيما بعد دخلوا معه فى حوار جرحوا به مشاعره إلى أبعد حد، واتهموه اتهامات ظالمة، وأضافوا آلاماً نفسية إلى آلامه الجسدية. حتى قال لهم أيوب: "معزون متعبون كلكم" (أى١٦: ٢) "حتى متى تعذبون نفسى، وتسحقوننى بالكلام؟! هذه عشر مرات أخزيتمونى" (أى١٩: ٢، ٣) .

✠ ✠ ✠

لم يكن هذا "بكاء مع الباكين" بعكس أصحابه بعد التجربة .

يقول الكتاب "فجاء إليه كل أخوته وكل أخواته، وكل معارفه من قبل، وأكلوا معه خبزاً فى بيته. ورثوا له وعزوه.. وأعطاه كل واحد منهم قسيطة واحدة، وكل منهم قرطاً من ذهب" (أى٤٢: ١١) .

هناك تنفيذ عميق لوصية الرسول فى محيط العائلة .

إن نجح الابن بتفوق ، تجد الأسرة كلها فى فرح حقيقى، تكاد الأرض لا تسعهم، وكذلك إن حصل على وظيفة عالية أو على ترقية. ونفس المشاعر تكون عند زواج الابنة بزيجة مشرفة تسعدها . الكل يكون فى فرح من عمق قلبه فوق مستوى الألفاظ . إنها مشاعر حقيقية طبيعية يشترك فيها أيضاً الأقارب والأصدقاء بما يقدمونه من الهدايا، أو من عبارات التهنئة، أو من الاشتراك فى حفلات لكل تلك المناسبات المفرحة .

ونفس المشاركة الوجدانية تكون فى مناسبات الحزن أو الضيق أو المرض، أو فى المشاكل والكوارث عملاً بوصية "وبكاء مع الباكين" .

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص لا يكتفون باظهار مشاعرهم أثناء المشكلة، بل يساهمون بقدر طاقتهم فى حلها. فالبكاء وحده لا يحل المشاكل .

مثال ذلك ابراهيم أبو الآباء ، "لما سمع أن أخاه لوطاً قد سبى، جمع رجاله المدربين" (تك١٤: ١٤). لم يقف عند حدّ البكاء على سبى لوط، بل حارب حتى أنقذه من السبى، هو وكل أهل بلدته .

إلهنا الصالح هو الذى قدّم لنا المثال الصالح فى أمثال هذه الأمور . مثلما فعل مع الشعب المستعبد من فرعون. وفى هذا، قال لعبده موسى "إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم بسبب مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم"

(خر٣: ٧، ٨). وقد كان . إذ انقذهم بيد قوية ومعجزات عجيبة. ولم يكن الأمر مجرد اشفاق ، بل عمل خلاص عجيب ...

✠ ✠ ✠

يوجد صنف ردئ من الناس ، لا يبالى بآلام الآخرين .

أما الصنف الأردأ ، فهو الذى يشمت بهم فى آلامهم .

إنه لا يبكى مع الباكين ، بل على العكس يفرح ببكائهم !!

عن هذا يقول الكتاب " لا تفرح بسقوط عدوك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر، لئلا يرى الرب ويسوء ذلك فى عينيه " (أم٢٤: ١٧، ١٨).

إن الإنسان الذى يشمت بغيره، هو إنسان مملوء قلبه بالحقد. وما أسهل أن يصيبه ما أصاب من يشمت هو به ...

✠ ✠ ✠

يقول الرسول "فرحاً مع الفرحين" . فأى نوع من الفرح يقصد؟

لا يقصد أن تفرح مع الفرحين فى لهوهم العالمى وعبثهم وفسادهم !

فعن هذا قال المرتل فى المزمور الأول عن الرجل البار إنه "فى مجلس المستهزئين لا يجلس" (مز ١). فالإنسان الروحى لا يشترك فى الأفراح الماجنة التى تبعده عن الله. وإنما يشترك مع الفرحين فرحاً طاهراً داخل محبة الله ...

ويكون بكاؤه مع الباكين عملياً، وليس مجرد عاطفة بلا ثمر !

كما قيل عن السيد المسيح "فيما هو قد تألم مجرباً، يقدر أن يعين المجربين" (عب٢: ١٨). نعم، يعينهم، وليس مجرد أن يرثى لهم، أو أن يشفق عليهم. وهذا هو المعنى العميق لعبارة "بكاء مع الباكين؟ وهذا ما قصده السيد بمثل السامرى الصالح فى إشفاقه العملى (لو ١٠) .

✠ ✠ ✠

وهذا ما فعله الرب مع يونان النبى فى غمه، ومع إيليا النبى أيضاً .

لم يكن الأمر مجرد إشفاق نظرى. وإنما يقول الكتاب "أعدّ الرب يقطينه، فارتفعت فوق رأس يونان، لتكون ظلاً على رأسه لكى يخلصه من غمه" (يون٤: ٦). ثم جذب الله يونان عملياً للتصالح معه، لما حزن يونان على اليقطينة حينما يبست (يون٤: ٧-١١) .

ولما هرب إيليا النبى من وجه إيزابل الملكة الشريرة، وطلب الموت لنفسه "فإذا ملاك قد مسّه، وقال له قم وكل" .. فإذا أمامه كعكة وكوب ماء. فأكل وشرب، وعاد الملاك

ثانية وقدّم له طعاماً. وقال له "قم وكل، لأن المسافة طويلة عليك" (١مل١٩: ٥- ٧).. ثم ظهر له الله، وكلمه وعزاه، وبلّغه رسالة يقوم بها (١مل١٩: ١٣- ١٨).

إنها ليست مجرد مشاعر، إنما معونة عملية، يضرب لها القديس يعقوب الرسول مثلاً فى حديثه عن الإيمان والأعمال:

فيقول "إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت الضرورى فقال لهما أحدكم: أمضيا بسلام استدفئا واشبعا، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد. فما المنفعة؟!" (يع٢: ١٥، ١٦) . تصرفكم فى هذا الاشفاق النظرى، هو كالإيمان الذى بدون أعمال، الذى قال عنه الرسول إنه "ميت فى ذاته" (يع٢: ١٧) .

✠ ✠ ✠

يقول القديس بولس الرسول عن التفاعل العاطفى. مع التعابى :

"اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، و(اذكروا) المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد" (عب١٣: ٣) .

إنه الشعور بإحساسات الآخرين، والاشتراك معهم فى مشاعرهم، كأن حالتهم هى حالتنا نحن تماماً، وكأننا نعانى ما يعانونه. أليسنا جميعاً جسد واحد؟! وهكذا يقول الرسول أيضاً "من يضعف وأنا لا أضعف؟! من يعثر وأنا لا ألتهب؟! (٢كو١١: ٢٩) .

✠ ✠ ✠

وتظهر المشاعر النبيلة لهذا القديس نحو أنسيموس عبد فليمون :

فيرسل إلى سيده فليمون قائلاً "أطلب إليك لأجل ابنى أنسيموس الذى ولدته فى قيودى. الذى كان قبلاً غير نافع لك، ولكنه الآن نافع لك ولى. فاقبله الذى هو أحشائى.. لا كعبد فيما بعد، بل أفضل من عبد أخاً محبوباً.. ثم إن كان ظلمك فى شئ، أو لك عليه دين، فاحسب ذلك علّى. أنا بولس كتبت بيدى، أنا أوفى" (فل١٠: ١٩) .

أنسيموس هذا هو كشخصى ، مشكلته مشكلتى، وديونه ديونى ...

✠ ✠ ✠

بل ما أجمل وأعمق شعور السيد المسيح نحو التعابى والمحتاجين :"

إذ يقول "مهما فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠). ويفصّل هذا الأمر فيقول "جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريباً فآويتمونى، عرياناً فكسوتمونى، مريضاً فزرتمونى. محبوساً فأتيتم إلىّ" (مت٢٥: ٣٥، ٣٦) .

لهذا فنحن نطوّب كل القائمين بأمثال هذه الخدمات :

مثل ذلك جمعيات الإسعاف التى تخف لنجدة وانقاذ كل جريح ومريض. وكذلك جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، وكل هذه الهيئات التى تقوم بأعمال الإغاثة. ومثلهم أيضاً جميع العاملين فى الخدمات الإجتماعية، كالملاجئ، ولجان البر ، والمشرفين على العناية بالفقراء، والمغتربين، والمسنين، وأصحاب الأمراض المستعصية، وما أشبه.. على أن يكون ذلك بروح التعاطف والحب، وبمشاعر نبيلة حساسة ...

✠ ✠ ✠

نطبق أيضاً عبارة "فرحاً مع الفرحين" على سكان السماء الذين ينتظروننا متى نكمل جهادنا وننضم إليهم .

أعنى الملائكة وأرواح القديسين ، الذين فى شوق وحب ينتظرون اليوم الذى ننطلق فيه من الجسد، لنشترك جميعاً فى الفرح. وكما قال الرسول "إننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض إلى الآن.. ونحن أيضاً نئن.. متوقعين التبنى فداء أجسادنا" (رو٨: ٢٢، ٢٣).

✠ ✠ ✠

إن الأب الكاهن مثل عجيب فى تطبيق قول الرسول "فرحاً مع الفرحين، وبكاء مع الباكين" .

هكذا فى مشاركته للناس، فى زياراته وافتقاداته لهم، وفى ما يؤديه من صلوات وطقوس.. يصلى فى جناز، مشاركاً الناس فى مشاعرهم الحزينة، ويخرج منه إلى خطوبة أو زفاف، ليفرح مع أهل العرس فى أفراحه. فهو يهنئ أسرة، ويعزى أخرى. وربما يحدث هذا فى نفس اليوم..!

إن قلب الكاهن يشبه الزئبق فى الترمومتر، يرتفع وينخفض ، حسب الحرارة والبرودة. الزئبق هو هو، ولكنه يتغير حسب الفم الذى يوضع فيه، بما يتصف به من صحة أو مرض. إنه مثل صادق لتطبيق هذه الآية "فرحاً مع الفرحين، وبكاء مع الباكين"

إنه يندمج مع الناس فى كل مشاعر حياتهم. وإن زار شخصاً واقعاً فى مشكلة، يتفاهم معه قائلاً : هلم نبحث الأمر معاً: ماذا نعمل لكى نحل هذه المشكلة؟ ولا يقول له : ماذا تعمل ، بل ماذا نعمل؟ إنه شريك له فى الشعور وفى العمل ...

بعد أن يقول الرسول "فرحاً مع الفرحين.." يقول أيضاً :

"مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً"

(رو ١٢: ١٦)

إن الله يهتم بالكل . ويريدنا نحن أيضاً أن يكون لنا اهتمام بعضنا بالبعض. فلا يعيش الإنسان لنفسه فقط، بل يهتم بما لغيره كما يهتم بما لنفسه، وربما أكثر، إذ يؤثر غيره على نفسه.. أو ينسى ذاته في محبته للآخرين .

ينسى أن له ذاتاً تحتاج إلى اهتمام، من فرط اهتمامه بغيره .

فهو يؤمن تماماً أن حياته ليست ملكاً له، إنما هي ملك للناس الذين يعيشون معه، هي ملك للمجتمع ، يبذلها لأجل الكل. فهو يهتم بكل أحد، ويتعب لكي يستريح غيره. مشاعره الخاصة لا تهمه. إنما مشاعر الناس هي التي تهمه . لقد ماتت فيه الأنا ، الذات ، الـEgo.

دموع الناس تسيل من عينيه، وتسقط من جفنيه .

وتهليل الناس ينبع من قلبه، قبل أن ينبع من قلوبهم .

✠ ✠ ✠

تعطينا مثلاً لذلك، الأم الحنونة الطيبة القلب المملوءة بالحب، التي تفكر في طفلها أكثر مما تفكر في نفسها. تسهر حتى تطمئن على أنه قد نام، وتتعب لكي يستريح هو .. وتعطيه صدرها الحاني كوسيلة يتكئ عليها، ولا تتبرم بأي طلب يطلبه، بل تبذل ذاتها في رضى من أجله ...

تبتسم إذا ابتسم، وتفرح بفرحه. بل إن ابتسامة هذا الطفل ترتسم على شفتي أمه، قبل أن ترتسم كاملة على شفتيه. أي أن الأم تبتسم وتفرح، إن شاهدت مشروع ابتسامة بدأت على شفتي طفلها!!

هذا هو الدرس الأول في الاهتمام بالغير ، نأخذه من الأم .

لقد أوجد الله في قلب الأم عواطف الحب والحنان والبذل، والاهتمام بطفلها أكثر مما

بنفسها، لكى نتعلم هذا منها. الأب قد توجد عنده هذه المشاعر أيضاً بمقياس آخر، وبشئ من الرزانة والهدوء: أما الأم فعندها هذه المشاعر فى التهاب وحنان .

✠ ✠ ✠

إن مشاعر الاهتمام بالغير تنزع من القلب الأنانية والاهتمام بالذات. فيرفض تماماً أن يبنى راحته على تعب الآخرين !

بعكس ذلك الشخص الذى يلوث الجو بدخان سيجارته. ولا يعبأ فى ذلك بأن الغير قد تؤذى صحته بتدخينه هو، ويضطر على الرغم منه أن يستنشق هذا الدخان الفاسد الذى ينفثه المدخنون.. ولهذا فإن بعض شركات الطيران لا تصرح للركاب بالتدخين فى بعض الأوقات، أو فى بعض الرحلات القصيرة، ولو استطاعت لمنعته بتاتاً ...

✠ ✠ ✠

مثال ذلك أيضاً من يرفع صوته بطريقة تعكر الهدوء، وتعطل غيره عن التفكير أو القراءة .. أو من يركن عربته فى موضع معين يعاكس مرور عربات غيره، دون أن يبالى.. ولكنها الأنانية التى لا تهتم بغيرها.. ومثلها أيضاً كل عثرة تأتى من شخص فتتعب غيره، مما قال عنه السيد الرب "ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة" (مت١٨: ٨) "خير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى، ويغرق فى لجة البحر". إن الكتاب يقول لنا فى الاهتمام بالغير والبعد عن العثرة :

"لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر" (اكو١٠: ٢٤). "إن كان طعام يعثر أخى، فلن آكل لحماً إلى الأبد، لئلا أعثر أخى" (اكو٨: ١٣) .

✠ ✠ ✠

وهنا يهتم الرسول بإبعاد العثرة عن الأخ الضعيف .

أى نهتم بضمير الضعفاء الذين قد يعثرون ببعض تصرفاتنا، حتى لو كانت ليست خطأ فى ذاتها، ولكنها لا توافق هؤلاء. لذلك فإنه يقول "كل الأشياء تحل لى، ولكن ليس كل الأشياء توافق" (اكو٦: ١٢) "كل الأشياء تحل لى. لكن ليس كل الأشياء تبنى" (اكو١٠: ٢٣) .

المفروض أن أهتم بغيرى أكثر مما أهتم بنفسى، بدافع من المحبة للغير لأن "المحبة لا تطلب ما لنفسها" (اكو١٣: ٥) .

الاهتمام بالغير ينبع من محبة الإنسان للغير ، وأيضاً من محبته للخير . فهو لا يعيش لنفسه ، إنما يعيش لغيره .

يجد ذاته ، فى تحقيق رسالته نحو البشر المحيطين به .

ذاته ليست هى الهدف من حياته، إنما هى الوسيلة. يبذلها فى رضى وفى فرح لأجل الآخرين .

وهو مستعد أن يموت لكى يحيوا هم. كما قال القديس بولس الرسول "..ولا نفسى ثمينة عندى، حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع" (أع٢٠: ٢٤) . بل قال أكثر من هذا "فإنى كنت أود لو أكون أنا نفس محروماً من المسيح، لأجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد.." (رو٩: ٣) .

الإنسان المهتم بغيره ينمو فى خدمته للغير حتى يصل إلى التكريس .

حيث يعطى كل الوقت للآخرين، ويعطيهم كل العاطفة والاهتمام ويفرح بأن يبذل ذاته من أجلهم، شاعراً أن هذه هى رسالته. فى تكريسه لذاته ، يعتبر أن وقته أصبح وقتهم هم. بل أنهم هم أصبحوا هدفه وموضع اهتمامه، وكل جهده هو لهم .

✠ ✠ ✠

الإنسان المهتم بغيره ، قد ماتت فيه الأنا Ego .

لقد تخلص من الذات وسيطرتها. ووضع أمامه قول السيد الرب : "من أراد أن يتبعنى، فلينكر ذاته.." (مت١٦: ٢٤) .

فهو يجد سعادته فى مساعدة الآخرين، وراحته فى راحتهم .

وهو يهتم بهم، ليس لمجرد تنفيذ وصية، أو لمجرد طاعة لأمر إلهى، وإنما يفعل ذلك من كل القلب وبكل الحب .

✠ ✠ ✠

الإنسان المهتم بغيره ، لا يزاحم الناس فى طريق الحياة .

إنما يفسح لهم الطريق ليعبروا ، ولا يمانع فى أن يتقدموا عليه .

عملاً بقول الرسول فى نفس الرسالة إلى رومية "مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة" (رو١٢: ١٠). إن غرضه فى الخدمة، هو أن يصلوا إلى ما يريد هو الوصول إليه. فإن وصلوا - ولو قبله - يكون سعيداً ...

وهو يفعل كل ذلك باهتمام ، وليس بمجرد شكلية .

والاهتمام يتعلق بالفكر والقلب والإرادة . وهذا الاهتمام جزء من تعليم الرسل، إذ يقولون فى عمل الرعاية [فى الدسقولية] "فليهتم الأسقف بكل أحد ليخلصه" .

إذن هو اهتمام ، وليس مجرد أداء عمل. والاهتمام يأتى بسبب ثقة الشخص بأهمية

العمل الذى يعمله ، وبذل الجهد الذى يناسب هذه الأهمية .

✠ ✠ ✠

والاهتمام بالآخرين يشمل العناية بهم من كل ناحية .

سواء من الناحية الروحية ، أو الإجتماعية، أو المادية، أو من جهة نفسيتهم ومشاعرهم وراحتهم، وحل مشاكلهم ، وإشعارهم بأن هناك من يسندهم ويقف إلى جوارهم.

فمن جهة الاهتمام الروحى ، يقول القديس بولس الرسول عن عمله الرعوى :

"عدا ما هو دون ذلك: التراكم علىّ كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس. من يضعف وأنا لا أضعف! من يفتر وأنا لا ألتهب!" (٢كو١١: ٢٨، ٢٩) .

✠ ✠ ✠

الاهتمام بخلاص النفس ، كعمل الرعاة والخدام والمحبين .

كقول القديس يعقوب الرسول "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠). ويقول الكتاب أيضاً "ارحموا البعض مميزين ، وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار" (يه٢٢، ٢٣). وكما قيل عن يهوشع الكاهن "أليس هذا شعلة منتشلة من النار" (زك٣: ٢) .

وفى هذا الاهتمام الروحى لخلاص النفس، نذكر ما قاله القديس بولس الرسول عن عمله هو وزملائه "..بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله: فى صبر كثير، فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات، فى ضربات فى سجون فى اضطرابات فى اتعاب، فى أسهار فى أصوام، فى طهارة فى علم، فى أناة فى لطف فى الروح القدس، فى محبة بلا رياء، فى كلام الحق فى قوة الله.." (٢كو٦: ٤– ٧) . حقاً ، إنه اهتمام يحتمل كل هذا ...

✠ ✠ ✠

والذى يهتم بالغير، يهتم بالكل، وفى كل وقت وكل مكان .

كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "اكرز بالكلمة. اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب. عظ وبخ انتهر، بكل أناة وتعليم" (٢تى٤: ٢). إن اهتمام الآباء بالخدمة وبخلاص النفس، كان يظهر فى الروح الذى يخدمون به، وفى التعب الذى يتحملونه، وفى طول أناتهم ومحبتهم وصبرهم" (٢تى٣: ١٠) .

✠ ✠ ✠

وفى غير النواحى الروحية والإيمانية، يوجد الاهتمام على المستوى الاجتماعى والشخصى.

فالإنسان فى بيته، يتدرب كيف يهتم بأهله ويشعرهم بهذا الاهتمام. وفى مكان عمله، يتعود كيف يهتم بزملائه. ثم يتطور حتى يهتم بجميع الناس. ويعيش كإنسان نشيط فى

المجتمع، يخدم الكل ، إنسان إجتماعى خدوم، يحب الكل. وباهتمامه بهم، يجذبهم أيضاً إلى محبته .

كذلك فى نطاق العمل، هناك فرق بين موظف وموظف .

الموظف الذى يهتم براحة الجمهور، يظهر اهتمامه فى بذل كل الجهد لراحتهم، وبدون تأخير. أما الموظف الروتينى، فإنه يماطلهم ويطلب إليهم أن يعودوا إليه فى موعد آخر. وقد يضع العراقيل فى طريق قضاء مصالحهم. ولا تنطبق عليه مطلقاً عبارة "مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً" (رو ١٢: ١٦)، وأذكر أننى قلت مرةً:

الموظف المتعاون يحاول أن يجد حلاً لكل مشكلة.

أما الموظف الروتينى ، فقد يجد مشكلة لكل حل.

✠ ✠ ✠

المهتم بالآخرين يظهر اهتمامه بالمساهمة فى حل مشاكلهم .

يعتبر مشكلة الغير، كأنها مشكلته هو شخصياً ، ويهتم بحلها مهما كلّفه ذلك من جهد . ويكون سعيداً إن وصل فيها إلى حلّ، لأنه يشعر بفرح فى إسعاد الآخرين، وانقاذهم مما هم فيه من مشاكل وضيقات. ولاشك أن الناس يشعرون باهتمامه .

وهذا الاهتمام المخلص الجاد بحل مشاكل الناس، يترك فى نفوسهم أثراً عميقاً، فيحبون هذا الإنسان الذى بذل جهداً لحل مشاكلهم، ويأخذون فكرة عن التدين، تجذبهم إلى الله والحياة الروحية .

✠ ✠ ✠

"مهتمين بعضكم ببعض" يمكن تطبيقها على مستوى الأسرة :

فإن كان الزوج يضع نصب عينيه أن يهتم كل الاهتمام براحة زوجته. وكذلك الزوجة تهتم كل الاهتمام براحة زوجها. وكذلك يهتم الاثنان براحة أولادهما – دون ضغط ودون عنف – جاعلين أمامهم جميعاً قول الرسول "مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً" .. حينئذ يعيش الكل فى سعادة، وتختفى الخلافات العائلية تماماً ...

✠ ✠ ✠

هناك فرق بين الاهتمام ومجرد العمل .

الاهتمام يعنى أن الأمر الذى تهتم به يشغل عواطفك وتفكيرك، وتتناوله بجدية ولا تهمله مطلقاً. هناك فرق بين إنسان تطلب تدخله فى مسألة معينة، فيقول لك "أنا فاكر موضوعك". وبين شخص آخر يقول لك "أنا مهتم بموضوعك"، ويظهر اهتمامه هذا عملياً..

"مهتمين بعضكم ببعض" (تعنى الاهتمام بالشخص نفسه، وليس بمجرد الأمور الخاصة به .

إنسان يهمك أمره. هو مهم بالنسبة إليك. تقابله باهتمام، وتكلمه باهتمام، وتعامله باهتمام. ويظهر اهتمامك هذا فى طريقة لقائك به، وفى تحيتك له، وفى أسلوب تخاطبك معه: فى احترامك له، فى عدم إحراجه، فى مراعاتك لمشاعره. فى الوقت الذى تمنحه له. فى الدفاع عنه إذا أساء إليه أحد. فى الأصغاء إليه وعدم مقاطعته إذا تكلم، لكى تتكلم أنت بدلاً منه!!

اهتمامك بالغير يظهر فى ملامح وجهك وفى نبرات صوتك، وفى عدم تبرمك بالغير، وفى الاهتمام بما يقوله لك .

إنه اهتمام يحسه من يتعامل معك، دون أن تعلن له أنك مهتم به وبما يعرضه عليك من موضوعات .

✠ ✠ ✠

ويظهر اهتمامك بالغير دون أن يطلب هذا منك .

فهناك إنسان قد يكون فى خطر، وهو لا يشعر بما هو فيه . وقد يحتاج إلى أنقاذ دون أن يعرف إلى من يلجأ. ويصل إليك موضوعه، بطريق غير مباشر وتهتم به وتنقذه .

أو قد يكون شخص غارقاً فى عمق الخطية، وهو لا يطلب الخلاص منها، لأنه لا يريد ذلك. وتهتم أنت بخلاصه دون أن يسألك معونة فى ذلك، وتعمل كل ما تستطيع لقيادته فى طريق البر، بكل حب واحتمال وطول أناة .

✠ ✠ ✠

كذلك فى الأمور الإيمانية ، والاهتمام بالواقعين تحت تأثير البدع والهرطقات .

ويحتاجون إلى من يهتم بهم، ومن يرد على الشكوك التى تعرضوا لها، وربما يكونون قد اقتنعوا – عن جهل – بالطريق الخاطئ . قد لا يسألونك النجاة من الشكوك . ولكن الرسول يقول لك "مهتمين بعضكم بالبعض اهتماماً واحداً" .

✠ ✠ ✠

وتنطبق هذه الآية فى أمور عديدة تتعلق بالرعاية والهداية .

وتتعلق بالافتقاد ، وفى لم الشمل ، وفى المصالحات بين الناس، وبينهم وبين الله. هذه التى قال الرسول عنها "وأعطانا خدمة المصالحة" (٢كو٥: ١٨) .

مشتركين في احتياجات القديسين
عاكفين على إضافة الغرباء

(رو١٢: ١٣)

من الأشياء الجميلة فى الكتاب أن يسمى الفقراء بالقديسين .

فلم يقل "مشتركين فى احتياجات الفقراء" ، بل قال "فى احتياجات القديسين". وهكذا فى حديثه عن المرأة الفاضلة التى تُقبل كأرملة فى الكنيسة، قال إنها تكون قد "أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين" (١تى٥: ١٠)... على الأقل على إعتبار أن كل هؤلاء من المؤمنين المدعوين قديسين (رو١: ٧) .

وهناك عبارة كانت مشهورة فى العصر الرسولى وعصور الشهداء وهى :

"إذا لم يكن لك ما تعطيه لهؤلاء القديسين، فصُم وقدّم لهم طعامك" ...

✠ ✠ ✠

والسيد المسيح حينما تكلم عن احتياجات هؤلاء، اعتبرهم كشخصه تماماً، فقال "كنت جوعاناً فأطعمتمونى، عطشاناً فسقيتمونى. كنت غريباً فآويتمونى. عرياناً فكسوتمونى. مريضاً فزرتمونى، محبوساً فأتيتم إلىّ" (مت٢٥: ٣٥، ٣٦) . وفسّر ذلك بقوله :

"بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى فعلتم" (مت٢٥: ٤٠) .

وهكذا دعاهم أخوته . ولذلك نقول عن الفقراء إنهم "أخوة الرب" . فأنت حينما تشترك فى إعانة هؤلاء الفقراء فى احتياجاتهم، تكون كمن يخدم السيد المسيح نفسه، وما تعطيه لهم، إنما تعطيه للمسيح تماماً .

✠ ✠ ✠

وبهذا ينبغى أن نعطى الفقراء فى احترام لهم ، وليس فى ازدراء .

وعطاؤنا لهم ، ينبغى أن يكون نتيجة لمحبتنا لهم . فأنت تحب هؤلاء، لذلك تشترك فى احتياجاتهم. فالعطاء ليس فضيلة مستقلة قائمة بذاتها، إنما هى صادرة عن الحب. والعطاء بغير حب، ليس هو العطاء الروحى كما تعلمنا المسيحية .

لاحظوا التعبير الرقيق فى قوله "مشتركين فى احيتاجات القديسين" .

فلم يسمّه صدقة ولا إحساناً ، وإنما هى شركة ..!

✠ ✠ ✠

فالفقير له شركة شرعية فى مالك . على الأقل له العشور .

فحينما تعطيه، إنما تعطيه من حقه الشرعى الذى له، كشريك.. وحينما تعطيه ، إنما تعطيه باعتباركما – أنت وهو – شريكين فى جسد واحد، هو جسد المسيح، وأنتما معاً عضوان فيه. إنها شركة البنوة لله، وشركة العضوية فى الكنيسة الواحدة ..

✠ ✠ ✠

ومن الجائز أن عبارة "مشتركين فى احتياجات القديسين" تؤخذ بمعنى آخر:

"مشتركين فى احيتاجات القديسين" يمكن أن تطلق على الرهبان مثلاً .

فالرهبان قديسون . وهم فقراء قد نذروا الفقر. فأى شئ يقدم لهم أو للأديرة ، هو اشتراك فى احتياجات القديسين، وبخاصة الأديرة الفقيرة، أو الأديرة التى تحتاج إلى انفاق، أو التى مشروعاتها أكبر من أيراداتها ..

وقديماً لم تكن للأديرة أوقاف . وكان الرهبان يعيشون من محبة أخوتهم الذين فى العالم، أو من عمل أيديهم. وكنا نسمع عن أراخنة كانوا يعمرّون أماكن فى الأديرة. يشتركون فى بناء قلالٍ أو سور، أو أنهم يرسلون أطعمة للرهبان .. ولعل من الأديرة التى ليست لها أوقات أو أملاك حالياً : أديرة الراهبات ...

✠ ✠ ✠

عبارة "مشتركين فى احتياجات القديسين" يمكن أن تشمل أيضاً كل العاملين فى كرم الرب، من الإكليروس وسائر الخدام .

لأن كلمة قديس – لغوياً – تعنى الشخص المفرز أو المخصص للرب. فالإكليروس والخدام قد أفرزوا لخدمة الرب (أع١٣: ٢). والكتاب يقول "ألستم تعلمون أن الذين يعملون فى الأشياء المقدسة، من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا

أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل، من الإنجيل يعيشون" (١كو٩: ١٣: ١٤).

والرسل خدام الكلمة، أرسلهم الرب بلا كيس ولا مزود .. لأن الفاعل مستحق أجرته" (مت١٠: ٩، ١٠). فكان المؤمنين يشتركون فى احتياجات هؤلاء القديسين ...

✠ ✠ ✠

يدخل أيضاً "فى احتياجات القديسين" : خدمة القرى كمثال :

فالخدام الذين يخدمون القرى، ويسافرون فى افتقاد اخوتهم، وينفقون على السفر وعلى احتياجات الخدمة من جهة وسائل الإيضاح والصور والهدايا وما إلى ذلك .. يحتاجون بلا شك إلى مصروفات ، تدخل فى "احتياجات القديسين" . يكفى أن الله منحهم موهبة خدمة الكلمة. فالذين لا يخدمون الكلمة، عليهم أن يقوموا بالصرف على الذين يخدمون ..

✠ ✠ ✠

ويدخل فى هذا المجال أيضاً من يخدمون فى حقول الكرازة :

مثلاً الخدمة فى أواسط افريقيا وجنوبها ، أولئك الذين خرجوا للكرازة بلا كيس ولا مزود، لكى يؤسسوا كنائس فى كينيا وزامبيا وزيمبابوى، وأوغندا وتنزانيا والكنغو وناميبيا وجنوب افريقيا .. أليس من الواجب أن نشترك جميعاً فى احتياجات هؤلاء القديسين، لتستمر الخدمة وتُبنى الكنائس ، وينفق عليها وعلى خدامها ...

✠ ✠ ✠

وما نقوله عن الكرازة فى افريقيا، نقوله أيضاً عن الخدمة فى البرازيل وبوليفيا والمكسيك وغيرها .

يوصيكم الرسول أن "تشتركوا فى احتياجات القديسين" ، فى احتياج الكرازة إلى شراء أراضٍ وعقارات، فى تشييد كنائس وبناء أماكن للاجتماعات، وفى دفع مرتبات للقسوس والشمامسة، وفى شراء عربة للافتقاد ، وبناء مستشفى أو مستوصف لخدمة المرضى. وأيضاً ما يلزم للخدمة الإجتماعية فى تلك المناطق البعيدة ، الفقيرة .

✠ ✠ ✠

أنا أعرف أنكم تفرحون بامتداد الخدمة والكرازة وإنشاء الكنائس ...

ولكن أسأل : ماذا قدمتم للاشتراك فى احتياجات القديسين ؟!

إننى أعلم تماماً أن الله ينفق على خدمته . وما دعوتى لكم إلا لكى تشتركوا فى نوال البركة، بالمساهمة فى العمل الصالح.. لقد كان بإمكان الله أن يبنى الهيكل بغناه هو، وبأن يفتح له كوى السماء . ولكنه شاء أن يشترك الشعب فى دفع النفقات قائلين للرب "منك

الجميع . ومن يدك أعطيناك" (١أى٢٩: ١٤).. وفرح الشعب بما قدموه ...

✠ ✠ ✠

عبارة "مشتركين فى احتياجات القديسين" تشمل أيضاً الكنائس الفقيرة .

توجد كنائس غنية ، يفيض ايرادها كثيراً عن احتياجاتها، وتنفق من الفائض فى مشروعات عديدة وفى تجميل الكنيسة وديكوراتها. بينما كنائس أخرى فقيرة لا تجد ما يغطى مطالبها الضرورية. وعلى الكنائس الغنية أن تشترك فى احتياجات تلك الفقيرة. أو على الأقل ترفع عنها بعض أعبائها، كأن تتولى الإنفاق على فقرائها، أو تزوّدها ببعض احتياجات الخدمة ...

وما نقوله عن الكنائس ، نقوله أيضاً عن الإيبارشيات .

بحيث تشترك إيبارشية غنية فى احتياجات إيبارشية فقيرة ..

✠ ✠ ✠

نفس الوصية نقولها عن احتياجات الأسرات المستورة ، وعن الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

هناك أسرات مستورة ، أيرادها بالكاد يكفيها. ولكنها قد تقع فى ضائقة مالية صعبة لا تعرف كيف تخرج منها، أو فى إشكال مالى لا تعرف له حلاً : وذلك من مرض أحد أفرادها مرضاً يحتاج إلى مال فوق طاقتها، أو تلزمه عملية جراحية بآلاف الجنيهات أو عشرات الآلاف. ولا يبقى أمامها إلا أن تقف على أبواب الأقرباء والأحباء، ويقف معها قول الرسول "مشتركين فى احتياجات القديسين" .. ولو عن طريق قرض غير مطلوب سداده ...

وينطبق هذا أيضاً على حالات الزواج وتكاليفه الكثيرة . وعلى حالات البحث عن سكن، وحالات الكوارث المفاجئة التى لم يُعمل لها حساب. وكذلك تنطبق هذه الوصية على بعض حالات الوفاة التى سبقها مرض خطير طويل امتص كل ما عند الأسرة من مال، بل ربما استدانت ..

✠ ✠ ✠

تنطبق الوصية أيضاً على حالات المعوقين .

سواء ما يحتاجه المكفوفون من تعلم القراءة والكتابة بطريقة برايل، أو احتياج الطلبة منهم إلى أجهزة تسجيل Recorders يسجلون عليها المحاضرات الدراسية، أو إلى تسهيل

وسائل المواصلات، وما إلى ذلك .

وكذلك المعوقون فى أعضاء معينة من أجسادهم بحيث يحتاجون إلى أجهزة تعويضية.
أو المعوقون عقلياً ، ويحتاجون إلى رعاية وصبر ...

وأيضاً الصم والبكم ، واحتياجهم إلى أن يتعلموا وسائل التفاهم ...

كل هؤلاء يحتاجون إما إلى عناية فردية، أو عناية هيئات ...

✠ ✠ ✠

وعن عناية الهيئات ، استخدمت عبارة "مشتركين" .

فعمل الرحمة الذى لا تستطيع أن تقوم به وحدك، يمكن أن تساهم فيه مشتركاً مع غيرك. ومن هنا وُجدت الجمعيات الخيرية، وكل جمعية منها، لها رسالة معينة تقوم بها. وكذلك لجان البر فى الكنائس ، والمشروعات الخيرية التى تقوم بها هيئات معينة متخصصة فى خدمة تقوم بها : مثل جمعية هدفها العناية بمرض الدرن، أو بمرضى الجذام، أو بمرضى السرطان، أو ببعض الأمراض المستعصية كالفشل الكبدى أو الفشل الكلوى ، وغير ذلك..

كل هذه الأغراض الواسعة ، لا يقوم بها فرد واحد، وإنما تقوم بها جماعة من محبى الخير والغير "مشتركين فى احتياجات القديسين" .

✠ ✠ ✠

المهم أننا لا ننتظر حتى يسعى الناس إلينا عارضين احتياجاتهم،

إنما تكون لنا الحساسية التى ندرك بها احتياجات هؤلاء ، لنقدمها لهم .

وقد تكون احتياجات هؤلاء أحتياجات روحية أو رعوية . وكمثال لها احتياجات الذين يعيشون فى الغربة، فى بلاد غريبة لا يجدون فيها كنيسة ولا كاهناً ليرعاهم لكى يثبتوا فى إيمانهم وعقيدتهم وفى الحياة الروحية السليمة بدون أنحراف .

يبقى الجزء الثانى من الوصية ، وهو (إضافة الغرباء) .

عَاكفين عَلىَ إضافة الغـربَـاء

(رو ١٢: ١٣)

★**إضافة الغرباء من الفضائل الهامة التى يوصى بها الكتاب المقدس .**

ليس فى المسيحية فقط كما تقول هذه الآية (رو١٢: ١٣)، وكما يقول الرسول أيضاً للعبرانيين "لا تنسوا إضافة الغرباء، لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون" (عب١٣: ٢) ..

بل هى كذلك وصية متكررة فى العهد القديم :

فقد أوصى الرب بالغرباء، وقال للشعب: "فإنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر" (خر٢٣: ٩). وقال عن الغريب "تحبه كنفسك" (لا١٩: ٣٣). كما أوصى به الرب فى الوصايا الخاصة بالعطاء. فتكررت عبارة "للغريب واليتيم والأرملة" (تث٢٤: ١٩- ٢١) (تث٢٦: ١٢) (تث١٤: ٢٨، ٢٩) (لا١٩: ١٠) .

✠ ✠ ✠

★**والحقيقة يا أخوتى ، نحن جميعاً غرباء وضيوف عند الله . وقد أضافنا الله فى بيته، وفى أرضه . ويضيفنا أيضاً فى ملكوته فى الدهر الآتى .**

★**لقد أضاف السيد المسيح فى إحدى المرات خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال" (مت١٤: ٢١) أى حوالى إثنى عشر ألفاً،** وأطعمهم. وفى مرة أخرى استضاف أربعة آلاف وأطعمهم أيضاً . ولم يصرفهم جوعانين، لئلا يخوروا فى الطريق (مر٨: ٣، ٩).. حقاً ، إنه كرم عجيب! فمن ذا الذى يستضيف آلافاً من الناس هكذا؟ ولكنه درس قدمه السيد المسيح لتلاميذه ولنا نحن أيضاً . لأنه قد يوافق البعض على استضافة فرد أو بعض أفراد من الناس، ولكن ليس جماعات وآلافاً كما فعل الرب ...

✠ ✠ ✠

★القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين أيضاً كان يستضيف آلافاً فى ديره بسوهاج بعد سماعهم عظاته .

★وهذا ما تفعله الكنيسة فى حفلات الأغابى وفى توزيع القربان :

تستضيف الشعب أو كثيراً منه ليأكلوا معاً فى حفلات أغابى (وهى كلمة قبطية بمعنى محبة) وتستعمل كذلك فى اليونانية أيضاً ...

حفلات الأغابى التى تقيمها الكنيسة كانت أيضاً من عاداتها فى شهر كيهك . إذ كان المؤمنون يسهرون طول الليل فى التسبيح من مساء السبت، ويتناولون فى القداس الإلهى صباح الأحد . ثم تستضيفهم الكنيسة على مائدة أغابى يتناولون فيها الطعام معاً . وكان بعض الأراخنة يقسمون حفلات الأسابيع الأربعة أو الخمسة عليهم، يتكفلون فيها بحفل الأغابى، ويفرحون بهذا وتصير لهم عادة . كما كان يحدث فى كثير من قرى الريف وبعض مدن الصعيد ...



★كذلك أيضاً القربان الذى يوزع بعد القداس، كان لوناً من الضيافة.

★وليس كما يبيعه القرابنى الآن فى بعض الكنائس وكأنه نوع من التجارة ...

قديماً كان كل الشعب يأتى إلى الكنيسة صائماً. وما كانت الكنيسة تصرفه بعد القداس جائعاً ، بل كانت تعطيه هذا القربان ليأكل . وهذا القربان كان بعض المؤمنين يتبرعون بدقيقه تقرباً إلى الله بإضافة المصلين. كما كانوا يقدمون دقيقاً آخر من نوع ممتاز، ليخبز منه الحمل والأولوجية ، وكان هناك باب فى الكنيسة لتقديم هذا الدقيق وغيره كالزيت والبخور وغيرهما. وتذكر الكنيسة من يتقربون إلى الله بتقديم كل هذا، فى أوشية القرابين.



كل كنيسة فى العصور المسيحية الأولى ، كان لها مبنى (بيت للضيافة) إلى جوار الكنيسة تستضيف فيه الغرباء .

[وفى إحدى رحلاتى إلى كنائس المهجر، نصحت الآباء فى سيمنار الكهنة أن توجد بيوت ضيافة مثل هذه لإضافة القادمين الجدد إلى أن يجدوا لهم مسكناً، بدلاً من أن يكونوا ثقلاً على بيت الكاهن أو يظلون بلا مأوى Homless] .



★أول معجزة أقامها السيد المسيح فى قانا الجليل كانت ضيافة .

وذلك عندما بارك عرس قانا الجليل، وقدّم لهم ما كانوا يحتاجونه من شراب، بتحويل

الماء بمعجزة إلى خمر. وتمتاز هذه المعجزة من حيث الضيافة بأمرين: أحدهما أنه أضافهم فى بيتهم. والأمر الثانى أنه فعل ذلك فى الخفاء أو فى إنكار ذات، بحيث أن الضيوف ظنوا أنها مقدمة من العريس، كما قال رئيس المتكأ (يو٢: ٩، ١٠) .

✠ ✠ ✠

★ومن الضيافات المشهورة ما قدمه ابراهيم ابو الآباء لضيوفه الثلاثة :

ونرى فيها كرمه العظيم فى أضافة الغرباء، إذ قال لزوجته سارة "إسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً. أعجنى واصنعى خبز ملّة. ثم ركض إلى البقر، وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً، وأعطاه للغلام فأسرع لعمله. ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم (تك١٨: ٦– ٨) .

وطبعاً هذا كثير جداً، لتقديمه لثلاثة أشخاص (عجل وثلاث كيلات دقيق..). ولكن أبانا ابراهيم فى فرحه بالضيوف قدّم هذا القدر الكبير من الطعام، لتكون فرصة لكى يأكل منه رعاته وغلمانه أيضاً . ويكون كأنه أضافهم أيضاً مع الغرباء، الذين ما كان يعرفهم وقتذاك . ولكن لعل إثنين منهم هما ما قصده القديس بولس الرسول فى (عب١٣: ٢). فى قوله "أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون"

✠ ✠ ✠

★وقديماً كانوا يغسلون أرجل الضيوف، حال دخولهم البيت ...

وهذا ما فعله أبونا ابراهيم مع ضيوفه (تك١٨: ٤). ولتقصير سمعان الفريسى فى هذا الواجب مع السيد المسيح، لامه عليه قائلاً "ماء لرجلىّ لم تعطِ" (لو٧: ٤٤). وقال القديس بولس الرسول عن الأرملة التى تخدم الكنيسة، إنه من شروطها أن تكون قد "أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين" (١تى٥: ١٠) .

كان ذلك يحدث لأن الغريب أو الضيف كان يمشى مسافات طويلة قبل مجيئه لضعف طرق المواصلات قديماً، فكان يقدم له ماء دافئ لغسل رجليه ليستريح وينشط . وهذا ما كان يحدث فى الأديرة فى أضافة الغرباء: يغسلون أرجلهم . أما الآن فبطلت هذه العادة لإنعدام أسبابها، إذ يأتى الغرباء مستريحين فى عرباتهم إلى باب الدير ...

✠ ✠ ✠

★كان إضافة الغرباء هى الفضيلة التى قامت بها راحاب .

مع إنها كانت إمرأة زانية، إلا أنها أكرمت الرجلين اللذين أرسلهما يشوع بن نون، وخبأتهما حتى زال الخطر عنهما وصرفتهما بسلام . لذلك تم لها الأمان عند فتح أريحا،

وذُكر اسمها فى الكتاب المقدس، ونجت هى وكل أهلها. بل دخلت فى النسب المقدس وفى سلسلة الأنساب (مت١: ٥) .

✠ ✠ ✠

★إن الله فى ضيافته لنا ، أظهر كرم ضيافته .

قال لنا : أدخلكم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً (خر٣: ٨: ١٧) . بل عندما خلق آدم، وضعه فى جنة فيها من كل نوع ثمر، ومن كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل (تك٢: ٩). وفى الأبدية يظهر كرمه فى أنه سيقدم لنا "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسان" (١كو٢: ٩) .

✠ ✠ ✠

★القديس الأنبا موسى الأسود كان مشهوراً بإضافة الغرباء .

حتى أنه فى إحدى المرات كسر صومه – حينما أتاه ضيوف – وطبخ لهم طبيخاً. فلما عاتبوه على ذلك، قال: لقد نفذت وصية الكتاب التى تقول : "لا تنسوا إضافة الغرباء".. وهكذا كان القديسون يكسرون صومهم، حينما يستقبلون ضيوفاً غرباء. ولا أقصد بكسر الصوم أن يأكلوا لحماً أو جبناً، بل أن يكسروا أنقطاعهم فى الصوم ...

✠ ✠ ✠

★ومن المشهورين بفضيلة إضافة الغرباء ، القديس أولوجيوس الحجار .

هذا الذى روى قصته القديس العظيم الأنبا دانيال . وقال إنه كان يعمل طول النهار فى قطع الأحجار ، وكان بايراده التافه البسيط، يمرّ فى المساء بمصباحه على سوق القرية، ويأخذ الغرباء المنتظرين هناك، ويأويهم ويغذيهم، وينيح خاطرهم . وهكذا كان يفعل كل الأيام . وكان لقاؤه مع القديس الأنبا دانيال وتلميذه أيضاً ذات مساء فى سوق القرية، حيث استضافهما، وعرفا قصته . وكانت هذه هى فضيلته الكبرى. وقد طلب من الأنبا دانيال أن يدعو له لكى يزداد ايراده، فيزداد هو فى أضافة الغرباء ..!!

✠ ✠ ✠

★ومن السيدات المشهورات فى إضافة الغرباء :

★أرملة صرفة صيدا التى أضافت إيليا النبى فى زمن المجاعة وقدمت له كل ما عندها من حفنة دقيق وقليل من زيت كانت ستعمل بهما كعكة لها ولإبنها ليأكلاها ثم يموتا. وقد عوضها الرب على كرم اضافتها لإيليا النبى ببركة كبيرة أن كوار الدقيق لم يفرغ، وكوز الزيت لم ينقص، طوال فترة المجاعة (١مل١٧: ١٢- ١٦) .

★كذلك المرأة الشونمية التى أعدت فى بيتها علية تستضيف فيها أليشع النبى كلما يمر. وقد منحها الرب وكافأها لكرم إضافتها، أن تلد إبناً، ولما مات الطفل منحها بركة أخرى أن يقيمه أليشع النبى من الموت (٢مل٤: ٨- ٣٧) .

★ومن النسوة المشهورات فى العهد الجديد، نساء كثيرات كن يتبعن السيد المسيح، ويخدمنه من أموالهن (لو٨: ٣) .

✠ ✠ ✠

ومن أبرز المشهورين بالضيافة فى الجيل الحديث : المعلم ابراهيم الجوهرى .

★هذا الغنى لم يترك بيتاً محتاجاً من بيوت الله فى أيامه، إلا وأكرمه وأنفق عليه من ماله، وقصصه فى ذلك أكثر من أن تحصى، هو وأخيه المعلم جرجس الجوهرى.. وفى إحدى المرات ، مرّ عليه رجل غريب ١١ مرة فى يوم واحد، وكان يعطيه فى كل مرة دون أن يتبرم منه .

★ومن أشهر قديسى العصر الحاضر فى إضافة الغرباء، القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم الأسبق .

هذا الذى كان عجيباً فى كرمه، يعطى كل ما عنده لأى غريب يأتيه. ووصل به الأمر أن أثاث المطرانية الجديد الذى قدمه له أغنياء الإيبارشية، قدمه إلى أسرة فقيرة تحتاجه لزواج ابنتها. كما أعطى قماشاً أسود أهدى إليه ليصنع منه فراجية إلى أرملة تحتاجه ..

★ويشبهه إلى حد ما فى هذا الكرم: القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة أسقف المنوفية .

هذا الذى بدلاً من أن يأتيه الغرباء، ليستضيفهم ويكرمهم، كان هو يذهب متنكراً بالليل حاملاً الفضيفة، كما يحكى لنا التاريخ .

✠ ✠ ✠

والآن ماذا يمكننا أن نفعل فى أضافة الغرباء؟

★أمر نجحت فيه الكنيسة فى القاهرة والإسكندرية وكل البلاد التى أقيمت فيها جامعات، وهى إقامة بيوت للطلبة المغتربين والطالبات المغتربات، لإيواء كل هؤلاء فى رعاية الكنيسة مادياً وروحياً .

★أيضاً ما تقوم به كثير من الأديرة بإنشاء بيوت خلوة لإضافة الغرباء فيها، فى جو روحى، وتتكفل بإحتياجاتهم فى فترة أقامتهم.

★إذا لم تكن لدينا بيوت لإضافة الغرباء فى مدينة ما، فعلى الأقل يمكن أن نضيفهم فى أحد الفنادق وننفق عليهم فى فترة أقامتهم . وهكذا فعل السامرى الصالح مع رجل غريب وجده ملقى فى الطريق جريحاً، فاعتنى به وضمد جراحه ، وأوصله إلى فندق واهتم بالإنفاق عليه فيه (لو١٠: ٣٠- ٣٧) .

★إنشاء بعض بيوت للغرباء ، كما تفعل بعض الكنائس فى المهجر .

✠ ✠ ✠

★على الأقل إضافة الغرباء، وتقديم النصيحة والإرشاد لهم. وإرسالهم إلى من يمكنه العناية بهم من الموسرين، ومن له أماكن تصلح لإقامة الغرباء .

★يمكن إنشاء جمعيات أخرى تكون من أهدافها إضافة الغرباء حتى يمكن توفير مسكن لهم .

✠ ✠ ✠

★العناية بالموظفين المعينين حديثاً فى إحدى البلاد التابعة لإحدى الإيبارشيات .

وتكوين لجنة من الكنيسة للاهتمام بالقادمين الجدد، سواء من الموظفين أو من أصحاب العمل .

★إذا أمكن تكليف بعض الأثرياء بتشييد مساكن رخيصة تؤجر لمثل هؤلاء الغرباء بأسعار يستطيعون سدادها. وقد قامت بعض كنائسنا فى كندا بمشروع كهذا بعناية الكنيسة نفسها .

✠ ✠ ✠

★هناك نقطة أخرى وهى إضافة الموتى الغرباء .

وذلك بتخصيص مقبرة للغرباء فى كل إيبارشية ضمن المقابر المخصصة للمسيحيين تحت أشرافها . وقد قامت البطريركية بتنفيذ هذه الفكرة فى القاهرة ، للغرباء الذين ينتقلون من عالمنا الفانى، وليس لهم مكان يدفنون فيه .

فى ظروف الأرهاب، وفى حالة الغريب المشتبه فيه :

أو الذى لا تُعرف له هوية أو شخصية مضمونة ، ويخشى من أضافته فى أحد بيوت الكنيسة لئلا يخربه .. فيمكن تنفيذ وصية أضافة الغرباء ، بإلحاقه بأحد الفنادق ليبيت فيه، ودفع أجر الليلة التى يقيمها.. فهذا أضمن .

بَاركـوا ولا تـلعنـوا

(رو١٢: ١٤)

إنها وصية تتكرر كثيراً فى الكتاب المقدس :

وردت فى العظة على الجبل، إذ قـال السيد الـرب "أحبـوا أعداءكم، بـاركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم" (مت٥: ٤٤). وقـال القديس بولـس الرسـول "بـاركوا علـى الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا" (رو١٢: ١٤). وتعجب القديس يعقوب الرسول، فقال عن اللسان "به نبارك الله الآب، وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة!! لا يصلح يا أخوتى أن تكون هذه الأمور هكذا.." (يع٣: ٩، ١٠) .

✠ ✠ ✠

فما معنى أن نبارك على الناس ؟

معناه هنا، أن نقول لهم كلمة دعاء، صلاة من أجلهم لخيرهم. أو أن نقول لهم كلمة تطويب، أو مديح. أو عبارة تحمل لفظ البركة، مثل "فليبارك الرب" ...

عكس هذا عبارات النقمة أو الشتيمة أو الانتقاد، وأمثال ذلك مما يدخل تحت عنوان (اللعنة) كما سنرى فيما بعد ...

البركـة ومعانيهـا :

مباركة الله للإنسان فى الخليقة هى الأصل . خلق الله الإنسان وباركه .

بارك الله أبوينا آدم وحواء. وقال لهما "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض. وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحـر، وعلـى طير السماء، وعلـى كل حيوان يدبّ علـى الأرض" (تك١: ٢٨). وكانت هذه البركة تحمل معنى الكثرة والنمو، وتحمل أيضاً معنى السيادة والسلطان .

ونفس هذه البركة كررها الرب بالنسبة إلى البشرية بعد رسو فلك نـوح. يقول الكتـاب "وبـارك اللـه نوحـاً وبنيـه. وقـال لهـم "اثمـروا وأكثروا وامـلأوا الأرض. ولتكـن خشـيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض، وكل طير السماء..وكل أسماك البحر" (تك٩: ١، ٢).

✠ ✠ ✠

إذن أراد الله للإنسان البركة ، منذ خلقه .

وعندما انتشرت البشرية فى أقاصى الأرض، وانتشرت معها أخطاؤها، واختار الله لـه شعباً جديداً مـن ابينـا ابراهيـم ونسـله، قـال لـه الـرب لمـا دعـاه "..أجعلـك أمـة عظيمـة. وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبـارك مبـاركيك، ولاعنـك ألعنـه. وتتبـارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ٢، ٣) .

وهنا تحمل البركة العظمة والانتشار، وحماية ابراهيم، وأن يكون هو نفسه بركة، لكـل الأرض.. ومن جهة الكثرة والانتشار، قال له إن نسـلك لا يمكـن أن يُعـد مـن كثرتـه، بـل يكون فى ذلك كتراب الأرض (تـك١٣: ١٦) ونجـوم السـماء (تـك١٥: ٥). وهـذه الكـثرة وعد بها ابراهيم مرة أخرى (تك١٧: ٦). وقال له "يكون نسلك كنجـوم السماء، وكـالرمل الذى على شاطئ البحر" "ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض" (تك٢٢: ١٧، ١٨) .

✠ ✠ ✠

إذن البركة تحمل معنى الكثرة .

ومن أمثلتها أيضاً مباركة الرب للخمس خبزات والسمكتين، بحيث أشبعت خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال، وفاض من الكسر ما ملأ إثنتى عشرة قفة (مت١٤: ١٩-٢١).

وبارك الرب فى ما يجمعه الناس من المن فى اليوم السـادس لكـى يكفـى يومين، فـلا يجمعون فى اليوم السابع (خر١٦: ٢٩) .

وبنفس المنطق بارك فى غلة العام السادس، لتكفى عامين، حتى لا يزرعـوا فـى العـام السابع (خر٢٣: ١٠، ١١) .

مثال آخر هو مباركة كوار الدقيـق وكـوز الزيـت فـى بيـت أرملـة صرفـة صيدا، فلـم يفرغا طول مدة المجاعة (١مل١٧: ١٤، ١٦).

✠ ✠ ✠

والبركة أيضاً تحمل معنى التقديس .

ومثال ذلك مباركة الرب لليوم السـابع. إذ يقـول الكتـاب "..واسـتراح الـرب فـى اليـوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" (خر٢٠: ١١) .

كذلك مباركة كل مواسم الرب، التى ينادون فيها بمحافل مقدسة(لا٢٣: ٢، ٤). وبهذا صارت الأعياد أياماً مباركة ومقدسة .

وغير مباركة الأيام، نجد مباركة الأشخاص أيضاً :

لاشك أن عبارة "وتكون بركة" التى قيلت لأبينا ابراهيم (تك١٢: ٢). تحمل معنى التقديس. ومثلها عبارة "يتبارك فى نسلك جميع قبائل الأرض" (تك٢٢: ١٨) .

✠ ✠ ✠

وأيضاً مباركة الأبكار كانت تحمل معنى التقديس. وفى هذا قال الرب "قدّس لى كل بكر، كل فاتح رحم.. إنه لى" (خر١٣: ٢) .

ولما بارك اسحق ابنه يعقوب، صار قدساً للرب. ونال تلك البركة العجيبة: "فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر. ليُستعبد لك شعوب،وتسجد لك قبائل. كن سيداً لأخوتك، وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين" (تك٢٧: ٢٨، ٢٩) .

✠ ✠ ✠

والبركة أيضاً تحمل معنى النجاح:

مثلما بارك الرب يوسف الصديق، فكل ما كان يصنع، كان الرب ينجحه بيده" (تك٣٩: ٣). فوجد يوسف نعمة فى عينى سيده، فوكلّه على بيته. وكان من حين وكّله على بيته "أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف. وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل. فترك كل ما كان له فى يد يوسف" (تك٣٩: ٤-٦)

وكل إنسان يباركه الرب يكون "كشجرة مغروسة على مجارى المياه:تعطى ثمرها فى حينه، وورقها لا ينتثر. وكل ما يعمله ينجح فيه" (مز١: ٣) .

✠ ✠ ✠

أما البركة بمعناها الشامل ، فقد وردت فى (تث٢٨) .

وهذه البركة هى نتيجة لطاعة الرب والحرص على العمل بجميع وصاياه. وفيها يقول الوحى الإلهى: "تأتى عليك جميع هذه البركات وتدركك، إذا سمعت لصوت الرب إلهك: مباركاً تكون فى المدينة، ومباركاً تكون فى الحقل. مباركة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، نتاج بقرك وإناث غنمك. مباركة تكون سلتك ومعجنك. مباركاً تكون فى دخولك، ومباركاً تكون فى خروجك" (تث٢٨: ٢- ٦) .

✠ ✠ ✠

وهذا يعنى مباركة كل ما تمتد إليه يد الإنسان .

مع مباركة نسله، وأرضه، وكل ما يملك . وهكذا يقول الكتاب "يأمر لك الرب بالبركة فى خزائنك، وفى كل ما تمتد إليه يدك" (تث٢٨: ٨). وتمتد البركة حتى تشمل النجاح فى كل شئ، والانتصار على الأعداء. فيقول الكتاب "يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك. فى طريق واحدة يخرجون عليك، وفى سبع طرق يهربون أمامك" (تث٢٨: ٧) .

"يزيدك الرب خيراً .. ويفتح لك الرب كنزه الصالح" (تث٢٨: ١١، ١٢) .

التفاصيل كثيرة جداً، وتشمل كل شئ .

✠ ✠ ✠

ونرى هذه البركة واضحة فى سير القديسين .

كل ما كان يحيط بهم ، كانت تشمله البركة: بارك الله فى أماكن سكناهم، فاصبحت مزارات مقدسة لكل من يلتمس البركة . حتى الأرض التى داسوها باقدامهم المقدسة أصبحت أرضاً مقدسة. ملابسهم أيضاً كانت مصدراً للبركة. نقرأ عن هذا الأمر فى سفر الأعمال "وكان الرب يصنع على يدىّ بولس قوات غير معتادة. حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول عنهم الأمراض، وتخرج الأرواح الشريرة منهم" (أع١٩: ١١، ١٢).

✠ ✠ ✠

عظامهم ، أسماؤهم ، كل شئ منهم، أصبح بركة .

إنها بركة عظيمة ، أن نحصل على جزء بسيط من عظام أحد القديسين. مجرد لمس عظام أليشع النبى، أقام ميتاً "طرحوا الرجل (الميت) فى قبر أليشع. فلما نزل الرجل ومسّ عظام أليشع، عاش وقام على رجليه" (٢مل١٣: ٢١) .

تأخذ خبزة من دير، وتعتبرها بركة. تأخذ صليباً من أحد الآباء، وتحتفظ به كبركة. موجودة مثله عشرات الصلبان فى المكتبات. ولكن هذا الصليب بالذات له قيمة معينة: أنه من يد أحد الآباء، فأصبحت له بركة خاصة .

يحكى عن قداسة البابا يوأنس التاسع عشر، أنه كان يوزع فى الأعياد (ملاليم) جديدة على الناس، فيأخذونها بركة. والمعروف أن الجنيه المصرى يشمل ألف مليم. وقد أختفى المليم الآن وزالت قيمته. ولكن من يحتفظ بشئ مما أخذه من البابا يوأنس، يعتبره بركة

وذخيرة، لأنه أخذه من يد البابا ...

✠ ✠ ✠

هناك أيضاً من يأخذون بركة من كلمة يسمعونها ...

مجرد كلمة يسمعونها من أحد الآباء، يتخذونها بركة لحياتهم. يقولون له "قل كلمة فقط".. و كلمة دعاء تبارك حياتهم.. أو كلمة وعد، كأنه صادر من فم الله نفسه، كما سمعت حنه زوجة ألقانه كلمة من فم عالى الكاهن: دعا لها أن الله سيعطيها سؤل قلبها (١صم١: ١٧). فأنهت صومها وحزنها "ولم يكن وجهها بعد مغيراً"...

إنه شعور الإنسان بأن قوة روحية أو قوة إلهية تكمن فى كلمة البركة التى يسمعها .

مصادر البركة :

إنها أصلاً من الله، ومنه عن طريق قديسيه ووصاياه ...

من أمثلتها بركة الآباء ، وبركة القديسين، وبركة الكهنوت، وبركة الكنيسة .

وهكذا يذهب الناس إلى أعياد القديسين، وإلى كنائسهم وأديرتهم، يلتمسون بركة منهم. بل يأخذون بركة من أيقوناتهم بمجرد لمسها . ويأخذون بركة من الكنيسة، من الأوانى المقدسة، من رجال الكهنوت: سواء من صلواتهم، أو وضع أيديهم عليهم، أو دهنهم بزيت مقدس، أو مجرد كلمة دعاء .

✠ ✠ ✠

كذلك يأخذوا بركة الوالدين .

سواء عن طريق بركة طاعتهم، أو سماع كلمة بركة منهم. ونلاحظ أن وصية إكرام الوالدين كانت أول وصية بوعد (ببركة) كما قال القديس بولس الرسول (أف٦: ٢، ٣). وهكذا وجدنا أن يعقوب وعيسو كانا يتنافسان بكل الطرق للحصول على بركة أبيهما اسحق (تك٢٧). وكذلك سعى يوسف لنوال مباركة أبيه لابنيه افرام ومنسى (تك٤٨: ١٣-٢٠) .

✠ ✠ ✠

أيضاً ننال بركة خدمة الفقراء والمساكين .

هؤلاء الذين قال عنهم الرب "ما فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠). بل حتى مجرد سماع كلمة دعاء واحد منهم، هو بركة. وهكذا قال أيوب الصديق "بركة الهالك حلّت علىّ" (أى٢٩: ١٣). أى أن الهالك الذى أنقذته من الهلاك،

حلّت بركته علّى ...

ننال أيضاً بركة العجائز والمرضى والتعابى والمكفوفين .

كل من يكون فى ضيقة، وتعمل على انقاذه، تنال بركته. تنال بركة دعائه لك. المكفوف الذى ترشده فى الطريق، أو تسهّل له طريقه فى الحياة بأنواع وطرق شتى. هذا أيضاً تنال بركته.

هناك أشخاص يتخصصون فى خدمة المرضى، محبة وعطفاً وحنواً عليهم، وبخاصة المرضى الذين يهرب البعض منهم مثل مرضى الجذام والدرن (السل). وينالون بركة كل هؤلاء ...

ومثل هؤلاء أيضاً الذين ينالون بركة خدمة المسجونين والمحبوسين .

✠ ✠ ✠

خذ أيضاً بركة العشور، حاول أن تنالها فى حياتك .

هوذا الرب يقول "هاتوا العشور إلى الخزنة.. وجربونى بهذا -قال رب الجنود- إن كنت لا أفتح لكم كوى السماء، وافيض عليكم بركة حتى لا توسع.. ويطوبكم كل الأمم" (ملا٣: ١٠- ١٢).

وبركة العشور ، معها أيضاً بركة البكور ووفاء النذور ..

وتأكد أنك فيما تدفع، إنما تأخذ أكثر مما تدفع ...

تدفع ماديات، وتأخذ بركة هى أثمن بكثير من كل ما تدفعه ..

باركوا :

ليس معنى مباركة إنسان أن تضع يدك على رأسه وتصلى من أجله، فهذا هو عمل الآباء الكهنة. أما أنت فتبارك شخصاً أى تطلب له البركة من الله بكل ما تشمل من العناصر التى ذكرناها. وقد تدخل فى تفاصيل معه، فتطلب أن يبارك الرب حياته، وأن يبارك أسرته وأولاده، أو يبارك عمله وخدمته، أو تدعو له بالبركة فى كل ما تمتد إليه يده.

أو تباركه بمعنى أن تطوبه وتمدحه وتبارك كل ما يعمله وما يقوله من كلمات. أو تدعو له أن يكون محبوباً من الكل. كما قال القديس أنطونيوس الكبير "اجعل كل أحد يباركك" . وتحمل هذه العبارة أن تكون موضع رضا الجميع بقدر الإمكان

✠ ✠ ✠

لذلك تعوّد مباركة الناس ، ونوال رضاهم .

حاول أن تمتدح الفضائل التى عند الغير ، وما يقومون به من أعمال تستحق التقدير ، ولا تغمض عينيك عما يبذلونه من جهد. إشعرهم بتقديرك وبإعجابك بما يستحق الإعجاب بهم.. وضع فى ذهنك أن كل الناس يحبون أن يسمعوا الكلمة الطيبة، ليس الصغار فقط، بل الكبار أيضاً. وبقدر ما تعطيهم من احترام وشكر وتطويب، على هذا القدر تأخذ منهم أيضاً .

✠ ✠ ✠

إعطِ من مباركتك لأصحاب الكثير وأصحاب القليل ممن يفعلون الخير. أصحاب الكثير يستحقون المديح عن جدارة، بل أيضاً يستحقون الشكر. وأصحاب القليل يحتاجون منك إلى كلمات التشجيع. ويعتبر هذا التشجيع نوعاً من المباركة. وما أجمل قول الرسول "شجعوا صغار النفوس، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع" (١تس٥: ١٤).

لقد بارك الرب الأرض التى أتت بثلاثين، وقال إنها أرض جيدة (مت١٣: ٨) كالتى أتت بمائة.. وأيضاً بارك الذين أتوا فى الساعة الحادية عشرة، مثل الذين عملوا من أول النهار (مت٢٠: ٩- ١٤) .

✠ ✠ ✠

ابحث عن النقط البيضاء فى حياة الناس وتصرفاتهم، وامتدحها

وثق أن كل إنسان، سوف تجد فى حياته ولو نقطة واحدة بيضاء. اكتشفها وامتدحها. فهذا يشجعه على عمل آخر فاضل.

تذكر أن السيد المسيح له المجد ، وجد شيئاً يستحق المدح، حتى فى المرأة السامرية الخاطئة. فقال لها "حسناً قلت ليس لى زوج.." "هذا قلتِ بالصدق" (يو٤: ١٧، ١٨). واستطاع أن يكسبها إلى ملكوته، فآمنت به، وبشرت به أهل بلدها.

حتى سمعان الفريسى الذى كان يرقب المسيح وينتقده فى فكره، لما بلّت الخاطئة التائبة قدميه بدموعها، ومسحتهما بشعر رأسها. فضرب له المسيح مثلاً. وامتدح اجابته قائلاً له "بالصواب أجبت" (لو٧: ٤٣) .

✠ ✠ ✠

بارك الكل، لكى تصير أنت نفسك بركة .

مثلما قيل لأبينا ابراهيم "وتكون بركة" (تك١٢: ٢) . ومثلما كان إيليا بركة فى بيت

أرملة صرفة صيدا، ومثلما كان يوسف الصديق بركة فى بيت فوطيفار، وبركة فى كل أرض مصر .

هناك خدام صاروا بركة عظيمة فى كنائسهم .

منذ أن بدأوا الخدمة، حلّت البركة فيها، وازداد النشاط فى كل فروعها. وكل كلمة كانوا يلقونها فى أى اجتماع، كانت لها بركتها وثمارها الوفيرة فى العمل الروحى. بل كل بيت كانوا يفتقدونه، كانت تدخله البركة بدخولهم فيه . وكأنهم قد باركوا البيت بافتقادهم له. أليس هذا ما يقوله البعض للأب الكاهن: نود أن تبارك بيتنا فى اليوم الفلانى. وليس أن تزور بيتنا .



وعبارة (باركوا) ينفذها الكاهن بصلاة تبريك .

★مثلما يفعل فى مباركة البيوت الجديدة. يدخل إلى البيت ويصلى صلاة تبريك، ويرش فى البيت ماء مصلى عليه فيباركه.

★كذلك يبارك الشعب فى نهاية كل قداس، برش الماء ويختم كل اجتماع بصلاة البركة.

★والكاهن يبارك أيضاً بالصليب وبالرشم وبالصلاة .

★والأسقف أو الكاهن الخديم يبارك ملابسه وملابس كل الشمامسة الذين يخدمون معه، برشمها باسم الثالوث القدوس .

★والأب الأسقف يبارك الأوانى الكنسية (يدشنها) بزيت الميرون المقدس وبصلوات طقسية معينة .

إن كلمة (باركوا) بالنسبة إلى رجال الكهنوت، لها معنى وعمل سرّى وطقسى وكنسى، غير معناها بالنسبة إلى العلمانيين .

ولا تلعنوا :

لا تقولوا كلمة لعنة، ولا ما يفهم منه معنى اللعنة .

إن الله يريد البركة كما قلنا، وكما بدأ الخليقة بالبركة، وكما بارك فى ذلك الزمان، والآن أيضاً يبارك.. وهو أيضاً يريدنا أن نكون أدوات بركة، يبارك بنا شعبه. لذلك قال "باركوا" .

ولم يطلب أن نبارك أحباءنا فقط، بل حتى أعداءنا (مت٥: ٤٤). وقال الرسول "باركوا على الذين يضطهدونكم" (رو١٢: ١٤) .

لماذا؟ لأنه قال "لا تجازوا أحداً عن شر بشر" وأيضاً "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء" (رو١٢: ١٧، ١٩) .

بل كونوا باستمرار ينابيع للبركة . ولا تلعنوا ...

✠ ✠ ✠

واللعنة هى ما يُفهم من قائلها قصد اللعنة .

حتى لو كان نفس اللفظ لا يعنى ذلك ...

مثال هذا واضح فى حديث المولود أعمى مع اليهود بعد أن منحه الرب البصر. قال لهم عن السيد المسيح "ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟!" فشتموه قائلين: أنت تلميذ ذاك. وأما نحن فإننا تلاميذ موسى" (يو٩: ٢٧، ٢٨). فاعتبروا أن تلمذته للمسيح شتيمة!

هناك من لا يلعنون غيرهم، لكنهم يتسببون فى اللعنة .

فعبارة (لا تلعنوا) تعنى أيضاً أنه لا تأتى لعنة على أحد بسببكم. مثل ما حدث من خاطئ كورنثوس وما سببه من توبيخ الرسول للشعب كله بسببه (١كو٥).

ومثل الفشل الذى أصاب الجيش أمام قرية عاى، بسبب خيانة عخان بن كرمى (يش٧).

ومثل اللعنة التى أصابت كل الكنعانيين بسبب خطأ جدهم (تك٩) .

وعكس ذلك البركة التى تحل على كثيرين بسبب بعض الأبرار

مثلما قال الرب عن سادوم إنه إن وُجد فى المدينة عشرة من الأبرار، لا يهلك المدينة من أجل العشرة (تك١٨: ٣٢). نعم هناك أبرار من أجلهم يشفق الله على العالم. هؤلاء كلمة (باركوا) لها معنى خاص فى حياتهم. أى باركوا العالم بوجودكم فيه، بحياتكم البارة.

حارّين في الروح

غير متكاسلين في الاجتهاد

من صفات الإنسان الروحى ، أن يكون دائماً فى حالة نشاط واجتهاد، بعيداً عن الكسل. فالكسل آفة فى كل النواحي: العلمية والإجتماعية، والروحية أيضاً. فلا يتكاسل الإنسان فى أى عمل روحى. لا يتكاسل فى التوبة مثلاً. فالابن الضال، حالما شعر بسوء حالته، قال على الفور "أقوم وأذهب إلى أبى" (لو١٥: ١٨) وقام وذهب ..

✠ ✠ ✠

طبيعى أن يكون الإنسان الروحى حاراً فى الروح ، يلتهب بمحبة الله .

فعندما يحل روح الله فى داخلك، تجده ناراً تشتعل فيك. نعم، ألا يقول الكتاب "إلهنا نار آكلة" (عب١٢: ٢٩). إذن علامة وجود الله فيك، هى هذه الحرارة العجيبة التى تتملكك فلا تستطيع أن تهدأ . تشعر أن داخلك ناراً تأكلك . كما قال المرتل فى المزمور "غيرة بيتك أكلتنى" (مز٦٩: ٩). وكما قال القديس بولس الرسول فى غيرته على خلاص الخطاة "من يعثر، وأنا لا ألتهب؟!" (٢كو١١: ٢٩) .

✠ ✠ ✠

وهكذا لما حلّ الروح القدس على التلاميذ ، حلّ عليهم كألسنة كأنها من نار" (أع٢: ٣)، ألهبتهم لخدمة الله وحب ملكوته ...

إن الكتاب لا يقول فقط "امتلئوا بالروح" (أف٥: ١٨). بل يقول كذلك "حارين فى الروح" (رو١٢: ١١). لأن طبيعة الإمتلاء بالروح أن تملأ الإنسان بالحرارة والإجتهاد .

هناك شخص يقابل ما يراه من الخطايا بكل برود وعدم إكتراث ولا مبالاة. بينما نرى الملتهب روحياً، يغار للرب. كما قال داود النبى: "غاصت عيناى فى مجارى المياه، لأنهم

لم يحفظوا ناموسك" (مز ١١٩: ١٣٦) . وأيضاً "رأيت الذين لا يفهمون فاكتأبت، لأنهم لأقوالك لم يحفظوا" (مز ١١٩: ١٥٨) . وبنفس الروح قال ارميا النبى "يا ليت رأسى ماء، وعينىّ ينبوع دموع، فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبى" (أر٩: ١) .

✠ ✠ ✠

فى قصة السارافيم مع اشعياء ، نرى أيضاً الحرارة والغيرة .

لما قال اشعياء "ويل لى قد هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين" ، لم يحتمل واحد من السارافيم أن يسمع عن إنسان أنه يهلك وأنه نجس الشفتين . وهنا يقول الكتاب "فطار واحد من السارافيم، وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح" ومسّ بها فم اشعياء وقال "إن هذه قد مست شفتيك، فانتزع إثمك وكُفرّ عن خطيتك" (أش٦: ٥– ٧) .

هنا نرى الساراف قد "طار" إذ كان مجتهداً فى أداء رسالته ، لم يتكاسل فيها. وأخذ "جمرة" إشارة إلى الحرارة الروحية التى يريد منحها لإشعياء. وبهذه الجمرة يتطهر، ويمتلئ حرارة للخدمة .

✠ ✠ ✠

إن المجمرة فى الكنيسة لها هنا إشارة طيبة .

ترينا أولاً أهمية وجود النار فى الكنيسة أثناء الخدمة . وبالإضافة إلى ما تحويه من رموز، نرى أن حرارة الجمر الذى فيها، يحرق البخور فتتصاعد منه إلى فوق رائحة "زكية" . ولعلنا نأخذ من هذا درساً كيف نكون بخوراً يحترق بالجمر المقدس .

✠ ✠ ✠

هناك إنسان قلبه يحترق باستمرار لأجل الكنيسة .

ولأجل البر ومحبة الله ، ولأجل الخدمة وأنتشار الملكوت، قلبه ملتهب لأجل النمو فى طريق البر، فى حياته وحياة الناس . حرارة تملكه فى صلاته وفى مشاعره وفى خدمته وفى حديثه مع الغير . وهذه الحرارة التى فيه، ينقلها إلى كل من يتصل به .

بينما غيره يكون شبه النائم ، لا يشعر بحالته ، ولا بما يدور حوله. ولا يتأثر، ولا يلتهب قلبه. لا حرارة فى روحه .

الكسل والحرارة لا يتفقان : فى حياة الفرد والجماعة .

فإذا وُجدت الحرارة ، تطرد الكسل والتهاون والتراخى من القلب، وتشعل الإرادة بالعمل الجاد، وبالنشاط والسرعة فى العمل .

أما إذا برد الإنسان أو فتر ، فإنه يتكاسل .

أمثلة عجيبة من النشاط :

★**يوحنا المعمدان :** كانت مهمته أن يعد الطريق أمام المسيح، ويهيئ له شعباً مستعداً. فما أن بدأ رسالته فى الثلاثين من عمره حسب شريعة اليهود، حتى بدأ عمله بكل نشاط. وإذا به قد قاد الناس إلى التوبة فى حزم قائلاً "توبوا لأنه قد إقترب ملكوت السموات.. حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية، وجميع الكورة المحيطة بالأردن، وإعتمدوا منه، معترفين بخطاياهم" (مت٣: ٢، ٥، ٦) .. كل ذلك فى ستة أشهر التى هى فارق السن بينه وبين السيد المسيح !!

✠ ✠ ✠

★**مثال آخر ، هو اسطفانوس الشماس الأول :**

كان هو أيضاً حاراً فى الروح ، مملوءاً من الروح القدس والحكمة والإيمان. فما أن بدأ عمله حتى قيل "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان. وأما اسطفانوس ، فإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب" (أع٦: ٧، ٨). ووقف أمام ثلاثة مجامع يحاورونه "ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع٦: ١٠) .

✠ ✠ ✠

هذا النشاط العجيب ، كان طابع العصر الرسولى .

كان يتميز به الآباء الرسل ، الذين ما أن حلّ عليهم الروح القدس، حتى نشروا الإيمان بكل اجتهاد . ففى اليوم الأول إنضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف واعتمدوا (أع٢: ٤١) "وكان الرب فى كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع٢: ٤٧). وإذ بهؤلاء القوم "الذين لا قول لهم ولا كلام، ولا يُسمع صوتهم، فى كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة بلغت كلماتهم" (مز١٩: ٣، ٤) .

✠ ✠ ✠

وهكذا كان القديس بولس الرسول :

هذا الذى ما أن قبل الإيمان ، حتى غطى نشاطه على جميع الرسل الذين سبقوه، حتى قال "ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم" (١كو١٥: ١٠). كان هذا الرسول العظيم حاراً فى الروح ، يعمل بكل إجتهاد "بأسفار مراراً كثيرة .. فى تعب وكد، فى أسهار مراراً كثيرة، فى جوع وعطش فى أصوام.. فى برد وعرى، عدا ما

هو دون ذلك: التراكم عليه كل يوم، الإهتمام بجميع الكنائس" (٢كو ١١: ٢٦- ٢٨) "فى صبر شديد ، فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات، فى ضربات فى سجون، فى اضطرابات فى أتعاب" (٢كو ٦: ٤، ٥) .

هذا هو الإجتهاد العجيب فى نشر الإيمان الذى عمل به آباؤنا الرسل "حارين فى الروح" متمثلين بمعلمهم السيد المسيح .

✠ ✠ ✠

فهكذا كان السيد المسيح له المجد .

كان يجول يصنع خيراً ، ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس (أع ١٠: ٣٨) "يطوف كل الجليل ، يعلم فى مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب. فشاع خبره فى جميع سوريا.." (مت ٤: ٢٣، ٢٤).

كان يعظ على الجبل، وفى مواضع خلاء، وفى البيوت، وفى سفينة عند الشاطئ. بل كان يعلم وهو سائر وسط الحقول.. كان درساً للجميع .. وكما يقول المزمور "يرسل كلمته إلى الأرض، فيسرع قوله عاجلاً جداً" (مز ١٤٧) .

✠ ✠ ✠

وبالمثل ملائكة الله فى نشاطهم وحرارتهم .

أما عن حرارتهم فى الروح ، فيكفى ما قيل عن طبيعتهم فى المزمور "الذى خلق ملائكته أرواحاً، وخدامه ناراً تلتهب" (مز ١٠٤: ٤) . ويقول عنهم المرتل "باركوا الله يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه" (مز ١٠٣: ٢٠) . بمجرد سماع الكلمة، يكون التنفيذ . بغير إبطاء غير متكاسلين فى الإجتهاد " .

وهذا ما نريده نحن فى حياتنا الروحية فى تنفيذنا مشيئة الله . فنقول له "لتكن مشيئتك، كما فى السماء كذلك على الأرض" (مت ٦: ١٠) أى كما يفعل الملائكة فى تنفيذ مشيئتك، بكل إجتهاد ، بكل سرعة ، وبكل دقة . فهل مشيئة الله تنفذها هكذا ؟!

هناك لعنة لمن يتراخى فى عمل الرب ، إذ يقول الكتاب :

"ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة " (أر ٤٨ : ١٠) .

فلنخف إذن ، ولنعمل بكل حرارة ، وبكل نشاط "غير متكاسلين فى الاجتهاد" . ولنأخذ درساً من الطبيعة أيضاً .

درس من الطبيعة :

منذ خلق الله الأرض وحتى الآن ، وهى عبر آلاف السنين ، بكل التزام ونشاط وبدون توقف، تدور حول محورها مرة كل يوم ينتج عنها تتابع الليل والنهار . وتدور مرة كل سنة حول الشمس، بكل دقة، ينتج عنها تتابع الفصول الأربعة .

ترى لو تكاسلت الأرض فى أية فترة زمنية، وأرادت أن تستريح قليلاً من هذا الدوران!! ماذا كان يحدث حينئذ لمقاييس الزمن! ولكنها تعطينا درساً فى الالتزام والجدية وعدم التكاسل .

ونفس الأمثولة تقدمها كل كواكب السماء، والقمر أيضاً ...

✠ ✠ ✠

وبنفس الوضع ، ونفس النشاط ، تعمل كل الزروع والأشجار :

ما أن توضع البذرة أو الشتلة فى الأرض ، حتى تبدأ نشاط عجيب: جذر يمتد داخل الأرض ويثبت ويتفرع. وساق يرتفع إلى فوق. وعصارة تمدّ الساق بالغذاء، فيتحول إلى جذع له فروع وأوراق، ويمكنه أن يقدم زهراً، وثمراً.. كل أجهزة الشجرة تعمل بكل اجتهاد بغير تكاسل ، بحيث كل عام نرى الشجرة أعلى مما كانت ، أو نرى العشب قد نما وقدم أنتاجاً .

✠ ✠ ✠

والنشاط العجيب نجده أيضاً فى النملة والنحلة :

طول حياتى كلها ، لم أرَ فى يوم من الأيام نملة واقفة أو راقدة. بل هى باستمرار تتحرك. تحمل شيئاً، أو تبلغ رسالة إلى غيرها، أو تخزن ما تجمعه فى مخازنها. لا تعرف الكسل مطلقاً. ولذلك يقول الكتاب: "اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها وكن حكيماً" (أم٦: ٦).

ومثل النملة ، هكذا النحلة أيضاً ، فى نشاطها واجتهادها وحكمتها : بكل نشاط تمر على الحقول والزهور لكى تجمع رحيقاً، ثم تصنعه شهداً وتصبه فى قوالب منظمة هى خلايا النحل . بكل دقة ، لا تعرف الكسل .

إن كلاً من النمل والنحل يعطينا مثالاً للنشاط والاجتهاد، سواء على المستوى الفردى أو المستوى الجماعى. فى كيف تجمع الجماعة كلها، بنظام وترتيب وجدية، وتعاون

ممتاز، لا يعرف الكسل مطلقاً .

✠ ✠ ✠

نفس الوضع بالنسبة إلى أعضاء الجسد الواحد .

كلها تعمل بنشاط وبغير توقف ، لتؤدى رسالتها نحو هذا الجسد. لا أقصد فقط القلب أو المخ، الذى يعمل كل منهما عمله باستمرار، دون أن يقف مطلقاً (وإلا مات الإنسان). وإنما كل الأجهزة أيضاً.

يكفى مثلاً أن يتناول الإنسان وجبة طعام، فتجد الأجهزة كلها تعمل معاً، كل فى اختصاصه، لهضم هذه الوجبة وتمثيلها . سواء ما يعمل فى السكريات أو النشويات، أو الدهنيات.. وغيرها من العناصر الغذائية . ويظل العمل دائماً حتى تتحول الكتلة الغذائية إلى دم وأنسجة فى جسم الإنسان . ولو كسل أحد أعضاء الجسد، أو كل جهاز من أجهزته لأصيب الإنسان بمرض. وتنشط أجهزة أخرى للإنذار ...

✠ ✠ ✠

الكل يعمل بنشاط ، إلا الإنسان العاقل بما له من حرية إرادة . هو وحده الذى يكسل أحياناً ...

يكسل روحياً وجسدياً. ويسبب له الكسل أخطاء روحية وأمراضاً جسدية، من الترهل، والخمول فى بعض أعضائه، والضعف بوجه عام. وأى عضو فى جسدك لا يتحرك فترة، تجد علامات الضعف قد بدأت تعمل فيه. لذلك فالإنسان النشيط، الدائم الحركة فى غير كسل، تجد صحته متحسنة .

ولذلك فإن جماعات اليوجا – إلى جوار تداريبهم الروحية – نجدهم باستمرار يقومون بعمل رياضى ، لتدريب أجسادهم. وما أن يقوم أحدهم من النوم، حتى يدرب أطرافه أولاً على الحركة، ثم يدرب جسده، ثم يدخل فى تدريب للتنفس.. وهكذا ينشط جسدياً وروحياً..

فلنذكر أن الله حينما وضع آدم فى الجنة ، كلّفه أن "يعملها ويحفظها" (تك٢: ١٥). ولم يكن محتاجاً إلى العمل ليأكل . فالخير كان وافراً جداً أكثر من احتياجه . لكن العمل كان نافعاً له، ليبقى نشيطاً بعيداً عن الكسل وأضراره ...

فى جسد الإنسان أعضاء تعمل وحدها ، دون تدخل منّا، كالقلب والمخ . بينما أعضاء أخرى تعمل بإرادة الإنسان كاليدين والقدمين ، والفم واللسان وسائر الحواس .. هذه الأعضاء التى تدخل تحت إرادة الإنسان ، هى التى يلحقها الكسل أحياناً ...

فى حياتنا الروحية :

حرارة الروح تطرد الكسل ، وتذيب من العين الدموع .

أما القلب القاسى فهو بعيد عن الدموع ، لأن مشاعره متبلدة . أيضاً الإنسان الحار فى الروح، يكون عميقاً فى صلواته وتأملاته ، ولا يسلك فى الروحيات بطريقة سطحية ، ولا يهمل صلته بالله .

ومن جهة الصلاة ، يدرب نفسه على السهر بالليل ، وعلى الاستيقاظ المبكر بالنهار . ويكون فى قلبه شوق إلى الصلاة، ويجد متعة فى الحديث مع اللهِ . وتكون صلاته حارة وقوية .



على أن محاربة الكسل تحتاج إلى عزيمة وقوة إرادة ، وإلى ضغط على النفس ، ولون من ألوان التغصب .

وقد يكون هذا أول الأمر ، إلى أن يتعود الإنسان على الحيوية والنشاط . ولكن يغصب نفسه أولاً . وفى بادئ التدريب قد يصادفه شئ من المحاربة ، ومن ثقل الرأس وثقل الجسد . لكنه بعد حين يجد نفسه نشيطاً ، وغير مثقل بالنوم .

تذكر باستمرار قول الكتاب "استيقظ أيها النائم .. فيضئ لك المسيح" (أف٥: ١٤) وأيضاً قوله لتلاميذ "اسهروا وصلوا ، لئلا تقعوا فى تجربة" (مت٢٦: ٤١). وعاقب نفسك فى كل مرة تستسلم فيها للكسل .



على أننا يجب أن نفرق بين الكسل والتأنى .

الكسل فيه إهمال . أما التأنى ففيه حكمة . ولكن ليست كل الأمور يصلح لها التأنى والتباطؤ . وقد يضر التأنى فى الشئ الذى ينبغى فيه أن يسرع الإنسان ولا يتوانى ، كخروج لوط من أرض سادوم (تك١٩: ١٥) .

عابدين الرب
مواظبين على الصلاة

(رو ١٢: ١١، ١٢)

عابدين الرب :

عبادة الرب تشمل أموراً عديدة ، منها :

أولاً الإيمان به كإله وخالق، لأن العبادة خاصة بالله وحده .

وعبادة الله تشترط أيضاً عدم عبادة إله آخر غيره، كما قال الرب في الوصايا العشر "لا تكن لك آلهة أخرى أمامي" (خر٢٠: ٣). وليست هذه الوصية خاصة فقط بالنهي عن عبادة الأصنام وتعدد الآلهة، بل قد تعني أيضاً النهي عن عبادة المال، كما أوصى الرب في العظة على الجبل (مت٦: ٢٤، ٢٥).

✠ ✠ ✠

وعبادة الله تعني أيضاً ما يقتضي الألوهة من خشوع ، وصلاة .

كالركوع والسجود أمام الله . "لأنه مكتوب : للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد" (مت٤: ١٠) (تث٦: ١٣) (تث١٠: ٢٠) .

وعبادة الله تعني أيضاً ما يُقدم إلى الله من صلاة وتسبيح وتمجيد، وما يقدم إليه من صوم ومن نذور وما إلى ذلك .

✠ ✠ ✠

وعبادة الله هي وصية للفرد وللجماعة أيضاً .

فكما تشمل العبادة الفردية، تشمل العبادة الجماعية، سواء في الكنيسة أو في الأسرة كما قال يشوع بن نون "أما أنا وبيتي فنعبد الرب" (يش٢٤: ١٥) .. ومن أجل العبادة

الجماعية فى بيت الرب، أقيمت خيمة الإجتماع، والهيكل والكنائس .

✠ ✠ ✠

وعبادة الرب أيضاً تشمل الأسرار المقدسة .

فكما أن الصلاة جزء من عبادة اللـه، كذلك أيضـاً سـر الإفخارستيا والقداس الإلهـى، والمعمودية وسر المسحة المقدسة (الميرون)، وكل الليتورجيـات والتسبحة، وسرّ التوبة، وكل أعمال الكهنوت .

✠ ✠ ✠

والعبادة ينبغى أن تكون من أعماق القلب، وليست أموراً شكلية :

كما قال يشوع للشعب "احرصـوا جداً أن تعملوا الوصية والشريعة التى أمركم بها موسى عبد الرب : أن تحبوا الرب إلهكم ، وتسيروا فـى كل طرقه وتحفظوا وصاياه ، وتعبدوه بكل قلبكم وبكل نفسكم" (يش٢٢: ٥) .

وهكذا قال القديس بولس الرسول أيضـاً "اللـه الذى أعبده بروحـى فـى أنجيل إبنـه.." (رو١: ٩) . وقال "مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو١٢: ١) .

✠ ✠ ✠

عبادة الله تكون بالروح وبالعقل ، وبكل مشاعر القلب .

فيقول الرسول "نعبد الله بالروح" (فى٣: ٣) .ويقول أيضاً "أما الآن فقد تحررنـا من الناموس.. حتى نعبد بجدة الروح لا بعُتق الحرف" (رو٧: ٦) . ويقول "أصلى بـالروح، وأصلى بالذهن أيضاً . أرتل بالروح، وأرتل بالذهن أيضاً" (١كو١٤: ١٥) .

ومن جهة المشاعر ، يقول المزمور مـرة من جهة العبـادة بخشية وخشوع: "أعبدوا الرب بخوف.." (مز٢: ١١) ويقول مرة أخرى "اعبدوا الرب بفرح . أدخلوا إلى حضرتـه بترنم" (مز١٠٠: ٢) .

وقد رفض الرب العبادة البعيدة عن مشاعر القلب، التى من الشفتين فقط، فقـال موبخـاً "يا مراؤون، حسناً تنبأ عنكم اشعياء قائلاً يقترب إلىّ هذا الشـعب بفمـه ويكرمنـى بشـفتيه. وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مت١٥: ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

إذن من المفروض أن نفهم وصية الرسول "عابدين الرب" على أن نعبد الله وحده ، عبادة بالروح وبالعقل، وبكل مشاعر القلب، وبكل خشوع، مع محبته وحفظ وصاياه .

لقد قال الرسول "حارين فى الروح، عـابدين الـرب، مواظبين علـى الصـلاة" (رو١٢:

١١، ١٢) . وبهذا جعل الروح هى الأساس . بحيث إن كان الإنسان حاراً فى الروح، فسيعبد الرب. وإن عبده، سيواظب على الصلاة. إذن ستكون البداية من الداخل، من الروح. وليست مجرد ممارسة من الخارج. بمعنى أن يواظب على الصلاة بغير روح!! أو بدون عبادة! كلا، فلابد أن تكون صلاته التى يواظب عليها صلاة روحية ...

✠ ✠ ✠

فلننتقل إذن إلى موضوع الصلاة :

الصلاة :

الصلاة هى صلة بين الإنسان والله .

فالذى يمتنع عن الصلاة، يكون قد منع ذاته عن عشرة الله . لا يستطيع إنسان أن يقول إنه يحب الله ، إن كان لا يتحدث معه .

إن الذى لا يجد فى نفسه دافعاً إلى الصلاة، ولا تكون له رغبة فى الصلاة، هو إنسان جاف من الداخل، خالٍ من الروح.. لا علاقة له بالله . لأن أول ثمار العلاقة مع الله هى الصلاة .

✠ ✠ ✠

الصلاة هى ظاهرة روحية عامة فى جميع الأديان ، حتى الوثنية .

حتى الوثنيون كانوا يقدمون الصلاة إلى أصنامهم . وكذلك أصحاب الديانات البدائية، كانوا يتوجهون بصلاتهم إلى الطبيعة، وإلى الأرواح، وإلى شتى عباداتهم. لذلك فالذى لا يصلى، يكون لم يصل بعد فى مستواه الروحى إلى هؤلاء البدائيين .

✠ ✠ ✠

الإنسان الذى يساق إلى الصلاةِ بصعوبة وتغصّب ، إنما يبرهن على أن محبة الله لم تسكن بعد فى قلبه.

ومثله أيضاً الذى يصلى ، وله رغبة فى أن ينتهى من الصلاة بسرعة، كما لوكان وقت الصلاة ثقيلاً عليه . هذا لم يختبر المتعة الروحية بعد، ولا يشعر بفرح الوجود فى حضرة الله . ذلك لأن الذى يحب الله ، يحب أن يتحدث إليه . وكلما ازدادت محبته لله ، ازدادت على هذا القدر محبته للصلاة .

✠ ✠ ✠

وإن بدأ الصلاة ، يكون من الصعب عليه جداً أن يختمها .

كلمات الصلاة تكون فى قلبه أولاً، قبل أن تصل إلى عقله وإلى لسانه. وكل عبارة يقولها منها تكون حلوة فى مشاعره، حتى أنه ما يستطيع أن يتركها ليقول عبارة أخرى. إنها قطعة من قلبه ومن أحاسيسه . وكل كلمة فيها ، يعنيها بعمق . وكأنه يقول عن الله أثناء صلاته ، ما قيل فى سفر النشيد "أمسكته ولم أرخهِ" (نش٣: ٤) .

تماماً مثل إنسان زاره شخص له فى قلبه محبة عميقة جداً. فكلما تنتهى الزيارة، ويعزم هذا الصديق على الإنصراف، يتمسك هو به، ويقول له: لا تذهب الآن. أنتظر. عندى كثير لأقوله لك. وفى قلبى حب يصعب عليه فراقك.. هكذا يكون فى الحديث مع الله فى الصلاة .



أما الشخص الذى لا يريد أن يصلى ، فهو إنسان يحب العالم ويود أن ينشغل به وبأموره وأفكاره .

لذلك عندما يحين وقت الصلاة، يشعر أن الصلاة سوف تنتزعه من العالم الذى يحبه، وتقطع عنه الأفكار العالمية التى يلتذ بها. لذلك تجده متبرماً، ولا رغبة له فى الصلاة .

إذن عدم الصلاة دليل على محبة العالم . وعلى قدر ما تقل محبة العالم فى القلب، على قدر ما يبتدئ الإنسان فى أن يتجه إلى الصلاة ويميل إلى الصلاة .

إذن عدم التمركز فى العالميات ، هو مشجع على الصلاة .

فإن أردت أن تتدرب على الصلاة، حاول أن تدخل فى التدريبات التى تنمى محبة الله فى قلبك. أدخل فى المجال الروحى. رتّل بعض التراتيل وبعض التسابيح التى تقوى محبتك لله. واسترجع فى ذهنك بعض الذكريات التى فيها تدخّل الله فى حياتك وحفظك وأعانك..



الصلاة لها دوافع كثيرة تجعل الإنسان يواظب على الصلاة .

وأحياناً يسمح الله ببعض الضيقات تدفع الإنسان إلى الصلاة، طلباً لمعونة الله. وأحياناً تكون المشاكل أو الأمراض من مسببات الصلاة. فالرب إذ يجدك بعيداً عن الصلاة، يسمح بأن تتعرض لمشكلة أو ضيقة لا تجد لها حلاً، فتلجأ إلى الصلاة طالباً من الله أن يحلّ ما صعب عليك حلّه . كما قال هو "ادعنى فى يوم الضيق، أنقذك فتمجدنى" (مز٥٠: ١٥) .



الإنسان المكتفى بذاته ، لا يشعر أنه محتاج إلى الله .

فإذ يرى أن كل أموره سليمة وكل أحواله على أكمل وجه ، يقول فى نفسه : لماذا

أطلب الله؟! أنا لست محتاجاً إلى شئ!! كأنما الصلاة هى فقط للطلب والاحتياج ! وليست اشتياقاً إلى الله ...

لذلك يسمح الله أن يحتاج مثل هذا الشخص بأية السبل، حتى يرفع قلبه إلى الله، وتتكون بينه وبين الله صلة. . ثم يتدرج الأمر إلى علاقة قلبية بينه وبين الله. ويكون الطلب هو مجرد نقطة البدء، التى تتعل فيما بعد ...

✠ ✠ ✠

فاشكر الضيقات أو امتدحها ، لأنها أوصلتك إلى الله .

لأنها أشعرتك بضعفك واحتياجك ، وأنك لا تقدر أن تسلك وحدك بدون يد الله تسندك وترشدك . وكما قال الرب "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو١٥: ٥). وهكذا فإن الإتضاع من الدوافع الأساسية التى تدفع الإنسان إلى الصلاة والإلتجاء إلى الله .

أما الكبرياء فقد تكون عائقاً للصلاة ، إذ يشعر المتكبر أنه يستطيع وحده أن يقضى كل أموره ، دون أن يطلب معونة من فوق .

بعكس المتواضع الذى يشعر باستمرار أنه محتاج إلى الله، وأنه ضعيف لا يمكنه أن يعتمد على ذاته فى شئ. وبذلك فإنه لا يمكنه أن يستغنى عن الله مطلقاً . بل فى كل تفاصيل حياته ، يرفع يديه إلى فوق . تماماً مثلما يشعر الإنسان بمرض أو ضعف، فيلجأ إلى الطبيب يعالجه . بينما "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب" (مت٩: ١٢) أو لا يحتاج إلى طبيب الذين يظنون أنهم أصحاء !

✠ ✠ ✠

فإن أردت أن تكون مواظباً على الصلاة ، كن متضع القلب منسحقاً .

الصلاة تحتاج فعلاً إلى قلب متضع : ليس فقط من جهة شعوره بالضعف والاحتياج، إنما أيضاً من جهة شعوره بثقل خطاياه وحاجته إلى المغفرة ، وإلى أن يغسله الله من خطاياه ويطهره (مز ٥١) لذلك فهو يلجأ إلى الله قارعاً صدره مثل العشار، قائلاً فى انسحاق قلب "ارحمنى يارب فإنى خاطئ" (لو١٨: ١٣) .

أما الذى لا يشعر بخطيئته ، فإنه قد لا يصلى .

أو الغافل عن خطاياه ، أو البار فى عينى نفسه ، الذى لا يجد سبباً يدفعه إلى طلب المغفرة ، فهذا قد فقد دافعاً قوياً من دوافع الصلاة . ويدخل فى هذا النوع أيضاً ، من لا تثقل عليه الحروب الروحية من عدو الخير . هو أيضاً يظن أنه فى حالة من البر لا

تتطلب معونة إلهية تسنده فى حياة الروح !!

وإن صلى أمثال هؤلاء ، لا تكون صلاتهم قوية ، ولا تكون مقبولة .

مثل صلاة الفريسى الذى لم يخرج مبرراً أمام الله (لو١٨: ١٤) . يكفى أنه فى صلاته لم يطلب شيئاً ، كما لو كان غير محتاج إلى شئ!.. أما الإنسان الروحى - فهو عندما يصلى - يفتح يديه ويرفعهما إلى فوق ، فى وضع من يطلب من الله أن يضع فى يديه شيئاً، تعبيراً عن احتياجه إليه .

الصلاة هى دليل على احتياج الإنسان . وسعيد هو الإنسان الذى يشعر باحتياجه إلى الله فى كل تفاصيل حياته العادية والروحية. والله يسمح له بهذا الاحتياج، حتى لا يستقل عن الله . فذاك غير نافع له .

الصلاة هى أيضاً الطريق الصالح إلى التوبة . كما قال مار اسحق :

"من يظن أن له طريقاً آخر إلى التوبة - غير الصلاة - فهو مخدوع من الشياطين".

فإن ظن أنه بقوة إرادته وعزيمته يمكنه أن يتوب ، يكون مغروراً ويرتئى فى نفسه فوق ما ينبغى! ولن تنفعه قوته الخاصة وهو بعيد عن الصلاة التى هى مصدر القوة النازلة من فوق . فالتوبة تحتاج إلى معونة إلهية تعين الإنسان فى الإنتصار على نفسه، على عاداته وشهواته ، وعلى الخطيئة المتأصلة فيه . وهو أيضاً محتاج إلى قوة من الله تصد عنه الشيطان ، الذى هو مثل أسد يزأر ، يجول ملتمساً من يبتلعه هو (١بط٥: ٨).

إذن الصلاة لازمة للوصول إلى التوبة .

فإن أوصلتك الصلاة إلى التوبة، فإنك تحتاج إلى الصلاة أيضاً لكى تستمر فى التوبة ولا تعود مرة أخرى إلى الخطية .. وبالصلاة لا تقف وحدك فى صراعك مع عدو الخير. بل يقف الله معك ويصده عنك . بل يقف معك أيضاً ذلك الملاك الذى دافع عن هوشع الكاهن قائلاً "لينتهرك الرب يا شيطان ، لينتهرك الرب .. أليس هذا شعلة منتشلة من النار؟!" (زك٣: ٢) .

لذلك إن أردت أن تتوب توبة حقيقية ، أرفع قلبك إلى الأبد، لكى يمنحك القوة التى تنتصر بها على ضعفك وعلى حيل العدو. وحاذر من الإعتماد على ذراعك البشرى . وتأكد أن الصلاة هى مفتاح التوبة الموصل إلى معونة الله .

مواظبين علىَ الصَلاة

(رو١٢: ١٢)

لقد أمرنا الرب أن نصلى كل حين ولا نمل (لو١٨: ١- ٨) وضرب لذلك أمثالاً عن الطلب بلجاجة ومداومة الصلاة..

وقال القديس بولس الرسول "صلوا بلا إنقطاع" (١تس٥: ١٧) .

فإن لم نستطع أن نصلى كل حين، وإن لم نستطع أن نصلى بلا إنقطاع، فعلى الأقل لنكن "مواظبين على الصلاة" . لا ننقطع عنها، ولا نتكاسل، ولا نلتمس أعذاراً لعدم الصلاة.

✠ ✠ ✠

ليس الله محتاجاً إلى صلواتنا، بل نحن المحتاجون ..

وكما نقول له فى القداس الغريغورى "لم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك" . نعم، نحن محتاجون كل الاحتياج إلى الله، وإلى التحدث معه، وإلى الوجود فى حضرته، محتاجون إلى الشعور بقربنا منه، وبقربه منا ...

فى حديثنا مع الله ، نشعر بالإطمئنان وبالأمن .

ونشعر بالحفظ الإلهى ، وبقوة منه تسندنا ، ونستمع إلى صوته يقول لكل منا "لا تخف، لأنى معك" (أش٤١: ١٠).. "تشدد وتشجع. لا ترهب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" (يش١: ٩). وهكذا بالصلاة تمتلئ قلوبنا بالسلام الداخلى.

✠ ✠ ✠

ولتسهيل المواظبة على الصلاة ، وضعت لنا الكنيسة الصلوات السبع .

وزودتها بالمزامير والقطع والتحاليل والتقديسات، لكى تعلمنا الصلاة من جهة، وتقدم لنا مناسبات مقدسة تحلو فيها الصلاة، ولكى تعطينا فرصة لإطالة الوقت فى حضرة الله.

وبهذه الصلوات السبع، لا تمر علينا أكثر من ثلاث ساعات، حتى ترتفع قلوبنا من مناسبة صلاة إلى مناسبة أخرى: إنها صلوات باكر، والساعة الثالثة والسادسة والتاسعة، والغروب والنوم، وصلوات نصف الليل .

إن لم تستطع أن تصلى كل هذه الصلوات بكاملها، فعلى الأقل صلّ ما تستطيعه منها.

صلّ قطع الصلاة ، ولن تأخذ منك أكثر من دقيقتين. أو صلّ مزموراً أو أكثر، أو صلّ التحليل، أو كل هذا معاً.. وستجد أنك كلما تبدأ، تشتاق أن تستمر، حتى تكمّل .

✠ ✠ ✠

قد يقول البعض "ليس لدىّ وقت"! وهذا غير حقيقى .

فأنت لديك وقت للحديث مع أصدقائك ومعارفك، ولديك وقت لقراءة المجلات والجرائد، ولبعض وسائل الأعلام. ووقت للترفيه وللفكاهة. ولديك وقت للضيوف ولمقابلات أخرى عديدة، بل وقت آخر ضائع فيما لا يفيدك، بل ربما فيما يضرك! فلماذا الله بالذات، هو الذى لا تجد وقتاً للحديث معه؟!

يقيناً أن المشكلة ليست الوقت، وإنما الرغبة والإقتناع .

لو أن لك رغبة فى الصلاة ، فسوف تجد وقتاً لتصلى. ولو أنك مقتنع بحاجتك إلى الصلاة، لوجدت الوقت لذلك. إذن علينا أن نتكلم بصراحة فى هذا الموضوع، ونبحث عن السبب ونعالجه..

✠ ✠ ✠

أنت فى الصلاة لا تعطى الله وقتاً، إنما تأخذ منه بركة .

أنت محتاج إلى هذه البركة التى تأخذها. أنت محتاج إلى التحدث مع قلب يحبك، تفتح له قلبك وتصارحه. محتاج إلى أن يعمل الله فيك ويعمل معك، وأنت فى الصلاة تهدف إلى ذلك. وأنت محتاج إلى التوبة التى لا تستطيعها بدون معونة إلهية. ولذلك تقول لله فى صلاتك "توّبنى فأتوب" (أر ٣١: ١٨) .

✠ ✠ ✠

وكلما تواظب على الصلاة، ستجد فيها متعة، فتزداد مواظبتك .

إن الصلاة ليست مجرد طلب، وإنما هى متعة الوجود فى حضرة الله. لذلك كانت موضع اشتياق القديسين. فيقول داود النبى "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، هكذا اشتاقت نفسى إليك يا الله. عطشت نفسى إلى الإله الحىّ. متى أجئ وأتراءى قدام الله؟!

(مز٤٢: ١، ٢). ومن أجل محبة داود لله، كان يقول له "محبوب هو اسمك يا الله، فهو طول النهار تلاوتى" (مز١١٩: ٩٧) .

✠ ✠ ✠

هذا الملك المشغول بكل أعباء الملك، وجد وقتاً للصلاة .

وذلك بسبب محبته لله واشتياقه إليه ..

من أجل هذا يقول للرب "سبع مرات فى النهار، سبحتك على أحكام عدلك" "كنت أذكرك على فراشى، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك" "فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام برك" (مز١١٩: ١٦٤، ٦٢)(مز٦٣: ٦). ومع كل هذا الالتصاق بالله طوال الليل، نراه يقول "يالله، أنت إلهى. إليك أبكر. عطشت إليك نفسى" (مز٦٣: ١).

إذن لا تعتذر عن تقصيرك فى الصلاة، بحجة الوقت، إن كان ملك عظيم كداود، وقائد جيش، ورب أسرة كبيرة، وجد وقتاً..

✠ ✠ ✠

الإنسان الروحى ، تختلط الصلاة بكل عمل من أعماله :

تختلط بأكله وشربه، وصحوه ونومه، وعمله. فهو فى كل وقت يرفع قلبه إلى الله ويصلى. يصلى قبل الأكل وبعده وأثناءه. يصلى كلما يدخل بيتاً فى زيارة، متذكراً قول الرب: وأى بيت دخلتموه، قولوا سلام لهذا البيت (مت١٠).. فيصلى من أجل الذين يزورهم أن يكون الرب معهم ويبارك بيتهم. ويصلى حينما يصل إلى مكان عمله، طالباً أن يشترك الله معه فى العمل. ويصلى وهو ماشٍ فى الطريق. ويصلى قبل نومه وعند صحوه، وهكذا ...

بعض الناس تعودوا أن يصلوا فى الصباح وعند النوم وكفى. ولا يصلون أثناء النهار. وهذا خطأ كبير، لأن وقت النهار، وقت العمل والاختلاط بالناس هو أكثر حاجة إلى الصلاة من باقى الأوقات.

كثير من القديسين كانت الصلاة بالنسبة إليهم كالنفس الصاعد والهابط .

أو كالدم الذى يجرى فى عروقهم. كلاهما بلا انقطاع . أما أنت - فعلى الأقل ، بين الحين والآخر ، خاطب الله ولو بكلمة أو بعبارة واحدة، أو بقولك "يارب.." .

✠ ✠ ✠

فكر فى الله وخاطبه، قبل أن تحل أفكار أخرى فى ذهنك .

ولا تدرى ما نوعيـة تلك الأفكار الأخرى. أما الذهن الذى يقدسه الفكر الإلهى أو الحديث مع الإله، فهو ذهن محصّن بالإلهيات. هو "جنة مغلقة، وعين مقفلة، وينبوع مختوم" كما ورد فى سفر النشيد (نش٤: ١٢). هو مغلق أمام الأفكار الشريرة وأمام الأفكار الطائشة. قد "قوّى الله مغاليق أبوابه" (مز١٤٧: ١٣) .

✠ ✠ ✠

إذنً فالصلاة حافظة لطهارة الفكر ، وحافظة أيضاً لطهارة الحواس .

فأنت إذا داومت على الصلاة، تصل إلى ما يمكن أن يُسمّى باستحياء الفكر. إذ يخجل عقلك مما كان يشغله من حديث مع الله، ولا يسمح أن تمر بفكره موضوعات أو صور تتعارض مع الجو الإلهى الذى كان يعيش فيه، ولا يسمح لحواسه أن تطيش هنا وهناك تجمع من المناظر والسماعات ما لا يليق ..!

لهذا ينبغى أن نكون مواظبين على الصلاة، لكى نحتفظ بطهارة أفكارنا وحواسنا فى كل حين .

✠ ✠ ✠

هناك هدفان للصلاة : نوع يصلى ليطلب من الله طلبات ..

ونوع يصلى ، ليطلب الله نفسه ، من فرط محبته له .

وفى ذلك قال داود النبى فى صلواته "طلبت وجهك، ولوجهك يارب ألتمس. لا تحجب وجهك عنى" (مز٢٧: ٨، ٩).

هذا النوع هو الذى ذاق حلاوة العشرة الإلهية "بل أصبح يدعو الناس إليها قائلاً "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز٣٤: ٨). لذلك فهو لا يستطيع أن يستغنى عن هذه المذاقة التى تشبع قلبه. لذلك يقول "محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى" (مز١١٩: ٩٧). فهو لهذا الغرض "مواظب على الصلاة" .

✠ ✠ ✠

إذن بالحب الإلهى تستطيع أن تواظب على الصلاة .

ترى أن الله هو الصديق والحبيب الذى تستطيع أن تطمئن إليه. تفتح له قلبك، وتكشف له أفكارك، وتعتمد عليه أعتماداً كاملاً ... إن تخلّى عنك الكل، فهو لا يتخلى عنك. وفى كل وقت تشعر أنه يحبك أكثر مما تحبه. بل يحبك فى الوقت الذى تفتر فيه محبتك له. وكما قال الرسول "إن كنا غير أمناء، فهو يبقى أميناً.." (٢تى٢: ١٣) .

الله هو الوحيد الذى – بعد تعب النهار كله – تستطيع أن تجلس إليه، وتحكى كل أسرارك وكل مشاكلك، وتلتمس منه أن يقف إلى جوارك ويسندك فى كل ما تعرضه عليه من أمور .

✠ ✠ ✠

إن فاعلية الصلاة هى أحد العوامل التى تجعلنا "مواظبين على الصلاة" .

لقد قال السيد المسيح لتلاميذه "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى. اطلبوا، تأخذوا. لكى يكون فرحكم كاملاً" (يو١٦: ٢٤) . حقاً كلما نطلب فنأخذ، وكلما نفرح باستجابة الله لنا، فعلى هذا القدر تزداد ثقتنا بالصلاة، ونكون مواظبين عليها ...

حتى الصلاة التى لم نشعر باستجابتها بعد ، يكفينا الاطمئنان أننا قد أودعناها فى سمع الله. ونكون فى قلبنا مطمئنين فى محبته أنه لابد سيفعل ما هو الخير لنا: إن كان الآن، أو بعد حين...

✠ ✠ ✠

إننا لا نستطيع أن نستغنى عن الله فى أى وقت، لذلك نصلى فى كل وقت، قائلين لله "بدونك لا نقدر أن نفعل شيئاً" (يو١٥: ٥) .

مشكلة كثيرين أنهم يعتمدون على أنفسهم وليس على الله!! يعتمدون على ذكائهم وحكمتهم، وعلى قدرتهم وخبرتهم، لذلك لا يرون أنهم فى حاجة إلى عرض كل أمورهم على الله! لهذا لا يلجأون إلى الله إلا فى المشاكل الصعبة جداً، التى هى فوق قدراتهم وفوق قدرة أحبائهم ومشيريهم. وهكذا لا يكونون مواظبين على الصلاة. فالصلاة عندهم هى فقط فى المناسبات الحرجة !!

أما أنت فاعرض كل أمورك على الله، السهل منها والصعب :

ربما ما تظنه سهلاً ، يدخل فيه عدو الخير ويعقده ..!

أو على الأقل : ما تراه سهلاً ، وقد وجدت له حلاً، اعرض حلولك على الله فى صلاتك، لكى يباركها، ويعينك على تنفيذها. ولا تظن أنك بدونه تستطيع أن تفكر وتحل وتنفذ، وحدك!!

يذكرنى هذا الأمر بقصة طالب جامعى، قال لى : إننى سأدخل فى امتحان يومى السبت والاثنين. لذلك أرجوك أن تصلى من أجلى بحرارة فى يوم السبت، لأن الامتحان

صعب. فقلت له: وماذا عن امتحان يوم الاثنين؟ فأجابنى: إنه سهل ولا يحتاج إلى صلاة!!

✠ ✠ ✠

نعم ، إن الشعور أحياناً بعدم الاحتياج ، هو الذى لا يجعلنا نصلى كل حين، ولا يجعلنا مواظبين على الصلاة ...

لذلك يسمح الله بالضيقات ، التى نشعر فيها بضعفنا واحتياجنا فنصلى. إن يونان النبى كان نائماً فى السفينة نوماً ثقيلاً، ولم يكن يصلى مثل باقى البحارة (يون١: ٥، ٦). ولكنه – لما ابتلعه حوت عظيم – ووجد نفسه فى خوف الموت . حينئذ صلى إلى الله من جوف الحوت (يون٢: ١). كانت الضيقة دافعة له إلى الصلاة، وأعادته إلى علاقته بالله .

✠ ✠ ✠

حتى الإنسان الذى ليس فى ضيقة، يصلى لأجل احتياجات الغير .

وهكذا علمتنا الكنيسة أن نصلى لأجل أنواع كثيرة من الناس : نصلى لأجل المرضى، والمسافرين، والذين فى المطابق والسجون، والذين يقاسون عبودية مرة، والفقراء والمحتاجين، وكل من هو فى ألم وتعب. وما أكثر هؤلاء وأولئك، ممن نعرفهم أو لا نعرفهم، نصلى من أجلهم. حتى لو لم يطلبوا منا أن نصلى عنهم ..

نصلى أيضاً من أجل ضحايا الحوادث والكوارث الطبيعيين ممن نقرأ عنهم فى الجرائد كل يوم. ومن أجل الحزانى الذين فقدوا أحباءهم.. ومن أجل الأرامل والأيتام، والذين ليس لهم أحد يذكرهم ..

✠ ✠ ✠

كونوا مواظبين على الصلاة ، من أجل أنفسكم، ومن أجل غيركم .

إن دخلت إلى اجتماع روحى فى الكنيسة، صلِّ من أجل المتكلم أن يعطيه الرب كلمة للمنفعة، وأن يتكلم على فمه بما يفيد السامعين. وصلِّ من أجل الحاضرين، أن يفتح الله قلوبهم لكى يتأثروا بالكلمة، ولكى يستفيدوا ويعملوا بما يسمعون ...

بل إن مررت على باب الكنيسة فى طريقك ، صلِّ لكى يبارك الله خدمتها وخدامها وشعبها، ويبارك الداخلين فيه، ويجذب البعيدين.

وإن مررت على منطقة لا توجد فيها كنيسة، صلِّ لكى يكون للرب بيت فى هذا المكان يكون بركة لساكنيه .

✠ ✠ ✠

أنظر إلى خريطة العالم، وصلِّ من أجل المناطق التى لا يوجد فيها مؤمنون. وأن

يقوى الرب مواضع المؤمنين.. ومن عمق أعماق قلبك، قل للرب "ليأتِ ملكوتك" .

صلِّ كلما سمعت جرس كنيسة. واستجب إلى صوت المرتلين وهم ينشدون : قوموا يا بنى النور ، لنسبح رب القوات ...

✠ ✠ ✠

تعلَّم وتعوّد صلاة التسبيح، التى لا يوجد فيها طلب واحد، وإنما هى لون من التمجيد والتغنى بصفات الله الجميلة. مثل أنشودة السارافيم "قدوس قدوس قدوس رب الجنود. السماء والأرض مملوءتان من مجدك وكرامتك" (أش٦: ٣) .

إن الملائكة يسبحون الله باستمرار، فلنسبح نحن أيضاً مع الملائكة، هؤلاء الذين لا يطلبون لأنفسهم شيئاً ، إنما يفرحون لوجودهم فى حضرة الله ويمجدونه "مواظبين على الصلاة" .

صـــابريـن فى الضيـق

(رو١٢: ١٢)

هناك أشخاص تعصرهم الضيقة فتتعب نفسيتهم :

فيكونون إما يائسين فى الضيق ، أو متذمرين فى الضيق، أو على الأقل قلقين فى الضيق. وكل هذه حالات نفسية غير سليمة. ولكن الرسول يقول لنا هنا : كونوا "صـابرين فى الضيق" .

★ولنعلم أن كل ضيقة تصيب الإنسان، لابد أن تكون لها نهاية.

سواء كانت ضيقة مادية أو إجتماعية أو روحية، لابد لها مدى زمنى تنتهى فيه.. فالضيقة غالباً ما يكون لها شكل هرمى، ترتفع فيه حتى تصل إلى قمتها، ثم تنحدر نازلة على الجانب الآخر. لأن الله لا يسمح أن تستمر مرتفعة إلى فوق ، بلا حدود لارتفاعها..

لذلك فالضيقة تحتاج إلى شئ من الصبر ، حتى تمرّ ...

✠ ✠ ✠

★خذوا يوسف الصديق كمثل فى ضيقاته :

كانت الضيقات بالنسبة إليه تزداد وتتلاحق ، على الرغم من براءته وطهارته. أصابته أولاً من حسد أخوته، ومن تآمرهم عليه وبيعه كعبد (تك٣٧). وهكذا عاش عبداً فى بيت فوطيفار. ومع ذلك كان الرب معه، وكان يُنجح كل ما يصنعه (تك٣٩: ١– ٣) . ويوسف الصديق لم يعتبر ضيقته تخلياً من الله عنه .

ثم أزدادت الضيقة إذ لُفقت ضده تهمة ظالمة تمس شرفه، وألقى فى السجن كفاعل إثم

(تك٣٩: ١٩، ٢٠). وظل فى السجن سنوات. ثم سمح الله أن تنتهى فترة الضيقة بأحلام فسرها لفرعون فأفرج عنه ، وعينه الثانى فى المملكة (تك٤١: ٣٩- ٤٤) .

استمرت الضيقة سنوات، ولكنها انتهت أخيراً، وبنصر عظيم .

✠ ✠ ✠

★موسى أيضاً وشعبه صبروا سنوات على الضيق من فرعون .

هذه الضيقات عاشها الشعب فى "عبودية قاسية" (خر١: ١٤) فى كل أعمال السخرة، والعنف والذل الذى تعرضوا له . ولكن تلك الضيقة وضع لها الله نهاية، وقال لموسى النبى "إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم بسبب مسخريهم. علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم" (خر٣: ٧). وبضربات كثيرة ضد فرعون، وأخيراً بشق البحر الأحمر وعبورهم منه (خر١٤)، انتهت تلك الضيقة .

★على الرغم من تذمرهم ، أنهى الرب ضيقتهم برحمته .

قال لهم موسى النبى "لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب.. الرب يقاتل عنكم، وأنتم تصمتون" (خر١٤: ١٣، ١٤) .

فإن كان الرب يضع حداً لضيقة شعب متذمر ، وينقذه بيد قوية، فكم بالأولى يصنع مع الروحيين الذين يكونون "صابرين فى الضيق"!

موسى أيضاً كان صابراً فى كل الضيق الذى تحمله من ذلك الشعب المتمرد الصلب الرقبة الكثير التذمر، حتى قيل عنه إنه "كان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

✠ ✠ ✠

★إن الذى يتذمر أثناء الضيق ، إنما يتعب نفسه من الداخل .

فتكون له ضيقتان : الضيقة الحالة عليه من الخارج ، مع ضيقة أخرى داخلية. لأنه بالتذمر يُتعب فكره، ويتعب قلبه ومشاعره، ويتعب أعصابه أيضاً. كما أنه يتعب فى علاقته مع الله. وربما يصل به التذمر إلى التجديف ، أو إلى الابتعاد عن الله .

وهكذا يسلمه الضيق إلى ضيق آخر، ويفقد سلامه القلبى . وتمر عليه فترات الضيق طويلة وباردة ومظلمة كليالى الشتاء ..!

بينما لو صبر على الضيق ، واثقاً بتدخل الله، لاستراح من كل ناحية .

✠ ✠ ✠

★ابراهيم أبو الآباء وقع فى ضيقة وهى التجربة بذبح ابنه .

أية ضيقة أشد من هذه ، أن يتلقى إنسان أمراً إلهياً أن يقدم ابنه وحيده الذى يحبه محرقة على أحد الجبال (تك٢٢: ٢) . ولكن أبانا ابراهيم تلقى هذه الضيقة بغير تذمر، وفى ملء الطاعة والإيمان بكّر لكى ينفذ الأمر الإلهى، فى صبر عجيب ، مؤمناً أن الله قادر أن يقيم ابنه من الأموات، هذا الابن الذى تقبّل به المواعيد (عب١١: ١٧- ١٩). وهكذا كان ابراهيم "صابراً فى الضيق" .

وبهذا الصبر ، إذا بالله يتدخل فى اللحظة الأخيرة، بعد أن ربط ابراهيم ابنه على حطب المحرقة، وأخذ السكين ليذبحه.. وحينذاك سمع الصوت الإلهى "لا تمد يدك إلى الغلام لا تفعل به شيئاً" (تك٢٢: ٩- ١٢). ورتب له ذبيحة عوضاً عن اسحق. وكافأ الرب ابراهيم بالمواعيد الإلهية .

✠ ✠ ✠

من المفروض أن يصبر الإنسان حتى المنتهى .

وقد قال الرب "تكونون مبغضين من الجميع لأجل اسمى. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت١٠: ٢٢) .

ذلك لأن البعض قد يصبر فترة ما، ثم يملّ الصبر ويفقده. لكن الصابر الحقيقى ، هو الذى ينتظر الرب من محرس الصبح حتى الليل (مز١٣٠) أى من بداية المشكلة حتى نهايتها. وكما يقول المرتل فى المزمور "أنتظر الرب واصبر له" (مز٣٧: ٧) ويقول أيضاً:

"انتظر الرب . تقوّ، وليتشدد قلبك، وانتظر الرب" (مز٢٧: ١٤).

✠ ✠ ✠

★القديس أثناسيوس الرسولى ، كان مثالاً للصابرين فى الضيق .

كان من أعظم أبطال الإيمان . وقد احتمل ضيقات مريرة فى سبيل دفاعه عن الإيمان: وقفت مجامع الأريوسيين ضده وحرمته . ولُفقت ضده أتهامات بشعة. ووقف الإمبراطور ضده أيضاً بإيعاز من الأريوسيين ونفاه عن البلاد أربع مرات. وبلغ عمق الضيق أن قيل له "إن العالم كله ضدك يا أثناسيوس" . فأجاب فى ثباته على الإيمان وصبره "وأنا أيضاً ضد العالم" فلقبوه Athanasius Contra Mondum .

وظل فى صبره هذا، حتى نصر الله الإيمان على يديه. واستطاع أن يكوّن جيلاً من أبطال الإيمان ينادون بنفس فكره. ويدافعون عن نفس عقيدته. بل صار معلماً للأجيال

ولقبوه "أثناسيوس الرسولي" .

✠ ✠ ✠

والصبر في الضيق ، لا نعني به الصبر السلبي ، بل الإيجابي .

فمثلاً القديس أثناسيوس، لم يكتفِ بالصبر، إنما في صبره كن إيجابياً، صبر على النفي. ولكنه في أرض منفاه كان يعلّم الناس الإيمان السليم، وكان يجمع مجامع مقدسة تنادي بنفس إيمانه وتحكم ببراءته، وتضطر امبراطور الشرق إلى إرجاعه. فإذا نفي مرة أخرى، يجول في المنفى يشرح الإيمان ويعلمه. وهكذا بإيجابيته صار بطلاً للإيمان في الغرب كما في الشرق ، بل بطلاً للإيمان في العالم كله .

كان صبره على الاضطهاد، ليس مجرد صبر فيه احتمال . وإنما كان صبراً فيه عمل إيجابي صادر عن قوة الروح وصلابة الرأي والعزيمة .

كان الضيق يحيط به ، ولكن لا يدخل إلى نفسه ويسيطر عليه . بل هو الذي كان يسيطر على الضيق وينتصر عليه .

✠ ✠ ✠

سبق في هذا الوضع والمثال : القديس بولس الرسول :

هو أيضاً كانت الضيقات تحيط به وبكل تلاميذه ومعاونيه ... ولكنه يقابلها بالصبر. وهكذا قال "في كل شئ نُظهر أنفسنا كخدام الله: في صبر كثير، في شدائد في ضرورات في ضيقات، في ضربات، في سجون.." (٢كو٦: ٤، ٥) .

وصبره الإيجابي كان يظهر في أمرين : في فرحه وفي انتصاره .

أما عن فرحه فيقول "كحزاني، ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠) ويقول أيضاً "لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (٢كو١٢: ١٠). وأما عن انتصاره فإنه يقول "من سيفصلنا عن محبة المسيح: أشدة أم ضيق أم أضطهاد، أم جوع أم عري، أم خطر أم سيف؟!.. ولكننا في هذه جميعها، يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو٨: ٣٥، ٣٧) "شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته" (٢كو٢: ١٤) .

✠ ✠ ✠

وسبب فرحه أيضاً يظهر في قوله :

"إن كنا نتألم معه، فلكي نتمجد أيضاً معه" (رو٨: ١٧) .

وهكذا يقول "فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو٨: ١٨) .

هذا المجد العتيد ، جعل القديسين المتألمين "صابرين فى الضيق" .

وبهذا الصبر الإيجابى كان القديس بولس يكتب بعض رسائله وهو فى السجن، كقوله فى رسالته لأهل أفسس "أطلب إليكم أنا الأسير فى الرب" (أف٤: ١) . وكان فى السجن أيضاً يصلى ويسبح هو وزميله سيلا، بينما كانا فى السجن الداخلى وأرجلهما فى المقطرة (أع١٦: ٢٤، ٢٥) .

حقاً إن الرياح العاصفة قد تهز الغصن الطرى الصغير، لكنها لا تستطيع أن تهز البلوطة القوية والسنديانة الراسخة، ولا تهز أية شجرة ضخمة، جذورها راسخة فى الأرض . بل تصمد هذه أمام الريح، وتتقوى بالأكثر . نفس الكلام عن القديسين الصابرين..



وفى الحديث عن الصبر لا يمكن أن ننسى أيوب الصديق :

تابعته الضيقات متلاحقة ، فى عنف شديد ، وهو صابر .. أثار الشيطان عليه حرباً لا تعرف الشفقة، أفقده كل ماله وكل أولاده وبناته، وخرّب بيته. وتلقى كل هذا بكلمة صبر عجيب، قال فيه "الرب أعطى، الرب أخذ. ليكن اسم الرب مباركاً" (أى١: ٢١) .

ثم ازداد الضيق أكثر بأن "ضربه بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته . فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها، وهو جالس على الرماد" (أى٢: ٧، ٨). ثم بعد ذلك افقده احترام أصحابه له، فاتهموه باتهامات موجعة (أى١٩: ١، ٢).. وأخيراً "ردّ الرب سبى أيوب" "وعوضه ضعفاً عما كان له" (أى٤٢) . ويقول القديس يعقوب الرسول فى ذلك:

"ها نحن نطوّب الصابرين . قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف" (يع٥: ١١) .



كل من يسير فى طريق الله ، لابد أن يتعرض للضيقات. لأن الضيقات علامة من علامات الطريق الروحى .

وقد قال السيد الرب "فى العالم سيكون لكم ضيق" (يو١٦: ٣٣) بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو١٦: ٢) . وقال لهم فى ذلك "إن كان العالم

يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم" (يو١٥: ١٨) .

والضيق له فى حياة المؤمنين مصادر متعددة .

فقد يأتى من المضطهدين، كما حدث للسيد المسيح وكما حدث للشهداء والمعترفين. وقد يأتى من الناس الأشرار أعداء الخير، كما حدث لنابوت اليزرعيلى من أخاب الملك وزوجته إيزابل (١مل٢١) . وقد تأتى الضيقات من حسد الشياطين، كما حدث لأيوب الصديق (أى١، ٢) . وقد تأتى حتى من الأخوة ، كما حدث ليوسف الصديق (تك٣٧). وقد تكون الضيقات لمجرد الاختبار ...

✠ ✠ ✠

ولذلك من المهم أن نسأل : كيف نقابل الضيق ؟

نحتمل ونصبر . والصبر الروحى له صفات تميزه :

نصبر فى رجاء وفرح، فى ثقة بأننا سنرى يد الله تعمل . ولذلك نصبر فى غير يأس، وفى غير تذمر ، وفى غير قلق . بل بقلب واسع ، نقابل الضيقة فى هدوء وفى رضى، بإيمان أن كل شئ سيؤول إلى الخير كما قال الرسول "كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله" (رو٨: ٢٨) .

وهكذا يكون لنا سلام قلبى لا يهتز، مهما كثرت الضيقات ..

✠ ✠ ✠

ذلك لأننا فى الضيق نلمس يد الله وعمله .

هوذا الرسول يقول "بل نفتخر أيضاً فى الضيقات ، عالمين أن الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يخزى. لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس" (رو٥: ٣- ٥) .

والرجاء يعزينا فى الضيق بقول الرسول إن "الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠: ١٣) . لهذا قال الرسول :

"فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق " (رو١٢: ١٢) .

فرحين في الرجاء ..

صابرين في الضيق

(رو١٢: ١٢)

الرجاء فضيلة من الفضائل الكبرى، التى ذكرها القديس بولس الرسول بقوله "الإيمان والرجاء والمحبة.."(١كو١٣: ١٣). ومعنى الرجاء أن الإنسان لا ييأس، بل يكون عنده أمل فى أن حلاً سيأتى، وشيئاً مفرحاً سيكون فى الطريق. وهكذا يكون فى فرح بهذا الرجاء.

✠ ✠ ✠

ومن دوافع الرجاء: الوعود التى قدمها الله للبشرية .

مثل قول الرب "لا أترككم يتامى، إنى آتى إليكم" (يو ١٤: ١٨). "سلامى أترك لكم. سلامى أنا أعطيكم. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" (يو١٤: ٢٧). فإذ يسمع الناس هذا الوعد الإلهى، يفرحون بهذا الرجاء أن الله لن يتركهم يتامى. بل هو يقول لهم "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠) "إن اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى وسطهم" (مت١٨: ٢٠) .

هنا يكون الفرح بوعود الله، والرجاء فى تحقيقها. فيشعر يقيناً بأن الله لابد سيعمل عملاً. لابد سيأتى حسب قوله "آتى إليكم" .

✠ ✠ ✠

طبعاً الرجاء له نواح كثيرة ومنها :

إننا نرجو قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى .

وهكذا نقول فى قانون الإيمان .. والقديس بولس الرسول يقول : "إن كان لنا رجاء فى هذه الحياة فقط، فنحن أشقى جميع الناس" (١كو١٥: ١٩) . بل لنا الرجاء فى القيامة وفى حياة الدهر الآتى، وإذ تتعلق قلوبنا بهذا الرجاء، نفرح ...

كثير من الناس يعلقون آمالهم بهذا العالم وحده. فمثلاً يقيسون النجاح، بالنجاح فى هذا العالم. وأيضاً المتعة واللذة بهذا العالم ! وأيضاً العدل يقيسونه بما فى هذا العالم! لذلك يتعبون إذا لم يتحقق رجاؤهم ههنا. ويظنون أن الله قد تركهم! وأنهم هنا وحدهم. ويظلون فى تعب، لأنه ليس لهم رجاء واضح فى العالم الآتى، وأن كل ما ينقصهم ههنا، سيعوضهم الله عنه فى الدهر الآتى ...

✠ ✠ ✠

كثيرون يحزنون إن شعروا بأنهم قد فقدوا حبيباً من الأحباء قد رقد فى الرب، على اعتبار أنهم سوف لا يرونه فيما بعد. بينما يقول لهم الرسول "لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" (١تس٤: ١٣). لماذا؟ لأننا نحن لنا رجاء أن نرى أحباءنا هؤلاء فى الدهر الآتى. وإذ يكون لنا هذا الرجاء، نكون – حتى فى مقابلة الموت – فرحين فى الرجاء .

نكون فرحين ، لأنه أمامنا الحياة بعد الموت، واللقاء بعد الموت. وأمامنا أورشليم السمائية، المكان الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد..

والذين يشكون من مظالم على الأرض، لهم رجاء فى عدل الله الكامل فى الدهر الآتى، كما شرح فى قصة الغنى ولعازر (لو١٦) .

✠ ✠ ✠

والذين لهم رجاء فى الدهر الآتى، يفرحون إذ يكنزون لهم كنوزاً فى السماء، حسب تعليم الرب (مت٦: ٢٠) .

يفرحون بالعطاء واثقين أن كل ما يقدمونه للرب من العشور والبكور وكل عطاء، سيجدونه مكنوزاً لهم فوق. حيث يعوّضهم الرب عن الفانيات بالباقيات، وعن الأرضيات بالسماويات. وكأنهم يحوّلون عملة محلية بعملة صعبة، دون أن يفقدوا شيئاً. وفى فرحهم بهذا الرجاء، ينطبق على كل من يعطى منهم عبارة "المعطى فبسرور" (٢كو٩: ٧). وبهذا الرجاء فإنهم فى العطاء يعطون بسخاء (رو١٢: ٨). وكأن الذى يعطى يقول لنفسه : أنا لا أعطى شيئاً، بل سآخذ ما هو أكثر وأنفس ...

بالرجاء أيضاً تقدم القديسون إلى الإستشهاد وهم فرحون .

شاعرين أن لحظة الموت هذه، إنما ستنقلهم إلى حياة أفضل وإلى عشرة الملائكة وأرواح القديسين، برجاء أنهم سوف ينالون الأكاليل والفرح الذى لا يُنطق به. وهكذا كان الشهداء يتقدمون إلى الاستشهاد وهم يرتلون ويهللون وينشدون أناشيد الفرح، لأنه عما قليل سيدخلون إلى كورة الأحياء، ويلاقون الرب منتصرين، وينالون وعود الرب للغالبين كما شرحها فى سفر الرؤيا (رؤ٢، ٣). وبالمثل أيضاً كانوا يرتلون مبتهجين وهم فى السجون .. كل ذلك بسبب الرجاء الذى فيهم، المبنى على ثقة لا تتزعزع فى الحياة بعد الموت، وفى الأبدية السعيدة .



إن الرجاء بالأبدية، يعطى فرحاً واحتمالاً وانتظاراً للرب .

وفى ذلك يقول الرسول "إنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو٨: ١٨). ولذلك يقول أيضاً "إن كنا نتألم معه، فلكى نتمجد أيضاً معه" (رو٨: ١٧). وهكذا فى الرجاء بالأبدية احتمل القديسون كل ضيقة من أجل الرب، وكانوا "صابرين فى الضيق" وفى نفس الوقت "فرحين فى الرجاء" يقولون "إن خفة ضيقتنا الوقتية، تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً" (٢كو٤: ١٧). وكيف أمكن ذلك؟ يقولون "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى، بل إلى التى لا تُرى. لأن التى تُرى وقتية، وأما التى لا تُرى فأبدية" (٢كو٤: ١٨).. يكون لهم هذا الشعور، لأن لهم رجاء فى الأبدية...

بنفس الفكر ، عاش النساك والرهبان والمتوحدون .

تركوا – وهم فرحون – كل ملاذ الدنيا، كما عبر عنهم قول الشاعر :

تركت مفاتن الدنيا ... ولم أحفل بناديها
ورحت أجرّ ترحالى ... بعيداً عن ملاهيها
خلىّ القلب لا أهفو ... لشئ من أمانيها
نزيه السمع لا أصغى ... إلى ضوضاء أهليها
بقيثارى ومزمارى ... وألحانٍ أغنيها
وساعات مقدسة ... خلوت بخالقى فيها

لماذا عاش كل أولئك النساك بعيداً عن كل ملاذ العالم الحاضر؟ ولماذا أهتموا جداً

بالزهد فى العالميات ، وبإماتة الجسد، أو "صلب الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل٥: ٢٤)... كل ذلك من اهتمامهم بأبديتهم، ورجائهم فى حياة أفضل فى الدهر الآتى .

✠ ✠ ✠

وبسبب هذا الرجاء ، عاش الآباء غرباء على الأرض .

"أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض.. يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً" (عب١١: ١٣، ١٦). وهكذا قال داود النبى للرب "غريب أنا فى الأرض" (مز١١٩). "أنا غريب عندك، نزيل مثل جميع آبائى" (مز٣٩: ١٢). وكغرباء لم يشاءوا أن "يستوفوا خيراتهم على الأرض" (لو١٦: ٢٥). بل حتى فضائلهم أخفوها عن الناس، حتى لا يستوفوا أجرهم هنا، بل يجازيهم علانية أبوهم الذى يرى فى الخفاء (مت٦) ..

✠ ✠ ✠

إن الغنى الغبى كان رجاؤه مركزاً فى الأرض. لذلك قال فى جهله بالأبدية "أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها. وأجمع هناك جميع غلاّتى وخيراتى. وأقول لنفسى: يا نفسُ . لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحى وكلى واشربى وافرحى" (لو١٢: ١٨، ١٩). للأسف لم يضع رجاءه فى العالم الآخر، بينما كانت نفسه ستؤخذ منه فى تلك الليلة. أما الذين رجاؤهم فى الأبدية، فيوزعون أموالهم ههنا، ليكون لهم كنز فى السماء (مت٦).

✠ ✠ ✠

إن رجاءنا الحقيقى هو فى السماء ، حيث يذكر الله لنا كل تعبنا على الأرض .

حتى كأس الماء البارد الذى نقدمه لأحد الأخوة الأصاغر، لا يضيع أجره (مت١٠: ٤٢). "إن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم" (عب٦: ١٠). لذلك "كونوا راسخين غير متزعزين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو١٥: ٥٨). بل الله سيقول لكل منا "أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك" (رؤ٢: ٢).

حقاً إنه لولا رجاؤنا فى أن الله "يعطى كل إنسان أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨)، ما كان يهتم كل إنسان بأن يتعب لأجل الرب.

لنا رجاء أن كل تعب نتعبه من اجل اسمه على الأرض، سوف يعوضنا عنه فى السماء. وكل ضيقة نتحملها لأجله ، يمنحنا بسببها راحة فى الأبدية..

✠ ✠ ✠

نقطة أخرى نقولها فى الرجاء وهى :

بالرجاء ، نشعر أن الله سيتدخل فى مشاكلنا ، ويحضر لمعونتنا، ولو فى الهزيع الرابع من الليل .

وهذا يمنحنا فرحاً بانتظارنا عمل الرب معنا . فنكون "فرحين فى الرجاء" رجاء أنه مهما ضاقت الدنيا، نرى "باباً مفتوحاً فى السماء" (رؤ٤: ١). يفتحه الله الذى "يفتح ولا أحد يغلق" (رؤ٣: ٧) الذى قال "هأنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يغلقه" (رؤ٣: ٨). الله الذى يجعل "كل الأمور تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو٨: ٢٨) .

✠ ✠ ✠

قل : إن الله الذى وهبنى هذه الحياة ، لابد أن يكملها لى .

الله الذى سمح بالضيقة، لابد سيتدخل ليخرجنى منها. لابد سيأتى ، ويخرج من الحبس نفسى" (مز١٤٢: ٧). وإن لم يتدخل الرب الآن، فلابد أنه سيتدخل بعد حين. ليس لى أن أعرف الأزمنة والأوقات التى جعلها الله فى سلطانه (أع١: ٧). ولكنى أعرف شيئاً واحداً، وهو أن الله "لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين" (مز١٢٥: ٣). وأنه وعد، وهو صادق فى مواعيده...

✠ ✠ ✠

إن الإنسان الذى يغلق على نفسه فى التعب، هو إنسان يوصل نفسه إلى الكآبة والحصر النفسى .

هذا الذى يظن أنه لا حلّ، وأن الأمور قد تعقدت بحيث لا يمكن أن تنفرج! مثل هذا الشخص إنما يؤذى نفسه أكثر مما تؤذيه الضيقة. وذلك لأن الضيقة إنما تحاول أن تؤذيه من الخارج، بينما هو يؤذى نفسه من الداخل، ويجعل الخارج والداخل يتعاونان معاً على الإضرار به.

أما الإنسان الذى يتسع قلبه بالرجاء: فإنه مهما رأى الأمواج شديدة، يقول لنفسه إن الله قادر أن ينتهر الموج (مت١٤) . وإن رأى البحر عنيفاً وصاخباً، يقول مع المرتل: أنت يارب "متسلط على كبرياء البحر. عندما ارتفع لججه أنت تسكتها" (مز٨٩: ٩) .

بالرجاء هو واثق بقوة الله ، وبتدخله ، وبوعوده ، حتى إن بدا له أن الفرصة قد ضاعت، يؤمن أن هناك فرصاً كثيرة أخرى سوف تأتى، وأن الله عنده حلول كثيرة .

✠ ✠ ✠

أى فكر يأس يأتيك، اعرف أنه من الشيطان. فهذه طريقته .

أسلوب الشيطان هو قطع الرجاء ، حتى ينهى على الإنسان .

يريد أن يوقع الإنسان فى اليأس ، ويشعره بأنه لا فائدة تُرجى ! كما قال داود النبى "كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه" (مز٣). ولكن داود يرد على هذه الأفكار الشيطانية فيقول فى نفس المزمور "أنت يارب هو ناصرى، مجدى ورافع رأسى. بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل قدسه" (مز٣) .

إن اليأس هو الذى ضيّع يهوذا الإسخريوطى. الشيطان قطع رجاءه، فانتحر ومات هالكاً .

✠ ✠ ✠

إن الله يتدخل : ليس فقط فى الضيقات المادية التى تحيط بالإنسان، بل أيضاً فى الضيقات الروحية .

حتى لو أتعبت الإنسان خطية من الخطايا، وأسقطته وحكمته وضغطت عليه جداً. هناك رجاء أن الله ينقذه منها، ويمنع الحرب عنه .

ليس هذا فى الخطايا الخاصة بالأفراد فقط، بل أيضاً فى الحروب الروحية العامة، كما سيحدث فى أيام الإرتداد العام التى يحاول فيها ضد المسيح Anti Christ وأعوانه أن "يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً" (مت٢٤: ٢٤). سيتدخل الله لكى يقصّر تلك الأيام، لأنه "لو لم تقصر تلك الأيام، لم يخلص جسد" (مت٢٤: ٢٢) .

لنا إذن رجاء فى الله أنه حتى لو ضغط علينا الشيطان أياماً، فإن الله سوف يقصر تلك الأيام .

✠ ✠ ✠

لذلك إن ضاقت نفسك ، وانقطع الرجاء فيك ، قل :

حتى لو انقطع رجائى فى الحياة المقدسة ، فإن الله سوف لا ينقطع رجاؤه فىّ .

إنه قادر أن يعمل معى ما عمله مع خطاة كثيرين قبلى . إذ استطاع أن يحوّلهم ليس فقط إلى تائبين، بل إلى قديسين أيضاً . هكذا فعل مع أوغسطينوس وموسى الأسود، ومع كبريانوس الساحر وأريانوس الوالى. وهكذا فعل مع بيلاجية ومريم القبطية ، ومع مريم المجدلية التى كان فيها سبعة شياطين (لو٨: ٢) .

حقاً ، إنه الله الذى "يخرج من الجافى حلاوة" (قض١٤: ١٤) .

إذن بالرجاء ، اشعر أن الله سينقذك من خطاياك فلا تنتصر عليك . وأيضاً سوف ينقذك من الشدائد والضيقات، فلا تؤذيك .

✠ ✠ ✠

ولكن لا تسمح أن يقودك الرجاء إلى الكسل أو التهاون .

اعمل بكل قوتك ، واطلب أن الله يعمل معك. وليكن لك رجاء في عمل الله معك. وافرح بهذا الرجاء ولكن لا تكسل .

قيل عن يوسف الصديق إن الرب كان معه "وكل ما يصنع ، كان الرب ينجحه" (تك٣٩: ٣). إذن هو كان يعمل ، والرب كان ينجح ما يعمله. كذلك بولس الرسول قال "أنا غرست ، وابللوس سقى، لكن الله كان ينمي" (اكو٣: ٦). الفضل الأكبر لله الذي ينمّي . والله كان ينمي ما قد غُرس وسقى. لا تتم إذن في استهتار ، بحيث لا تغرس ولا تسقى! ثم تقول : لي رجاء أن الله ينمي!! ينمي ماذا؟!

✠ ✠ ✠

فلتعمل إذن . وليكن لك رجاء أن الله سينمي عملك.

وبهذا يكون أولاد الله "فرحين في الرجاء" فرحين بافتقاد الله لهم، وعمله معهم. وفرحين بتحقيق الله لمواعيده لهم، وبأنه يجعل مع الضيقة منفذاً ، ومع الخطية توبة ومغفرة. له المجد في كل حنوه ، وفي كل عمله فينا ولأجلنا .

لا تكونوا حكماء عند أنفسكم

(رو ١٢: ١٦)

الإنسان المعجب بذاته ، وذاته جميلة فى عينيه، قد يكون باراً فى عينى نفسه، أو حكيماً فى عينى نفسه ..

البار فى عينى نفسه : مثل الفريسى الذى وقف فى الهيكل يمدح نفسه ويقول "أشكرك يارب أنى لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين والزناة، ولا مثل هذا العشار. أنا أصوم يومين فى الأسبوع، وأعشر كل ما أقتنيه" (لو١٨: ١١، ١٢) . وكذلك مثل أيوب الصديق الذى قيل عنه : "فكفّ هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب، لكونه باراً فى عينى نفسه" (أى٣٢: ١٢) .

الإنسان البار فى عينى نفسه ، يرى أن روحياته كلها سليمة، ولم يخطئ فى شئ !

✠ ✠ ✠

أما الحكيم فى عينى نفسه، فهو معجب بعقليته وتفكيره .

ويرى أن كل ما يقول به هو حق ، وهو عين الصواب . وللأسف أن كثيراً جداً من هؤلاء الحكماء عند أنفسهم ، قد فشلوا ووقعوا فى مشاكل خطيرة. ولهذا يقول الكتاب "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم٣: ٥). ولذلك يقول أيضاً "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" (أم٣: ٧). ويفصل ذلك بقوله :

"توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت" !

ومن أهمية هذه الآية تكررت مرتين : فى (أم١٤: ١٢) و(أم١٦: ٢٥). ذلك لأن هذا الإنسان – لكونه حكيماً فى عينى نفسه – تبدو له هذه الطريق مستقيمة فى نظره ، بينما عاقبتها طرق الموت !

✠ ✠ ✠

وسأحاول أن أضرب لذلك أمثلة كثيرة متعددة فى أنواعها :

١ – فى الفكر : كان الفلاسفة القدماء بلاشك حكماء عند أنفسهم :

وربما كانوا حكماء فى أعين الناس أيضاً. وقدموا للعالم فلسفات لا تخلو من أخطاء عديدة . كالأبيقوريين ، وكثير من فلاسفة الهند ، وكذلك كالغنوسيين ، وأتباع فلسفة الإفلاطونية الحديثة. ومثل نيتشه وماركس وسارتر فى العصور الحديثة .

٢ – فى الدين : الحكماء عند أنفسهم يفسرون الدين بطريقتهم الخاصة .

والبعض يريدون أن يظهروا كعلماء يعرفون ما لا يعرفه غيرهم ، أو يأتون بشئ جديد لم يسبقه إليهم أحد . وهكذا يبتدعون فى أمور الدين، فيقعون فى بدعة أو هرطقة. أو يبحثون فى أمور فوق مستوى البشر أن يعرفها. فيرتئ كل منهم فوق ما ينبغى له أن يرتئى (رو١٢: ٣) . وبهذا يخطئ ويضل! وكان خيراً له فى بعض الأمور لو قال لا أعرف ...

✠ ✠ ✠

وهكذا سقط أوريجانوس العلامة ، أكثر أهل عصره معرفة .

كما سقط أريوس الذى كان أشهر واعظ فى الإسكندرية، وسقط معه آباء أساقفة . ولكونهم حكماء فى أعين أنفسهم، لم يقبلوا توجيه الكنيسة، ولا حتى قرارات المجمع المسكونى الأول الذى اجتمع فيه ٣١٨ من رؤساء الكنائس وممثليها سنة ٣٢٥م .

وبنفس الوضع سقط أوطاخى أشهر رهبان القسطنطينية ، بل سقط إثنان من بطاركة القسطنطينية : مقدونيوس الذى حرمه المجمع المسكونى الثانى سنة ٣٨١م، ونسطور الذى حكم عليه لمجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١م. ولو قبل نسطور رسائل القديس كيرلس الكبير الذى شرح له أخطاءه، ما وقع فى الحرم. لكنه لم يقبل لكونه حكيماً فى عينى نفسه!

الحكيم فى عينى نفسه ، لا يقبل النصح ولا الإرشاد ، ولا التعليم .

لأنه معتز بفكره ، وبمعرفته ، مما يقوده إلى الكبرياء والعناد .

✠ ✠ ✠

ومن هؤلاء أيضاً **الكتبة والفريسيون** ، الذين تمسكوا بحرفية فهم الشريعة. وكم فسّر لهم الرب وشرح . ولكنهم لم يقبلوا كلامه وإنما رفضوه وقاوموه . لأنهم كانوا حكماء عند أنفسهم ...

وكالكتبة والفريسيين، كان الصدوقيون والناموسيون والسامريون ، والطوائف الدينية المتعددة في بلاد اليهودية . يضاف إليهم طوائف أخرى في بلاد الشرق متمسكون بمذاهبهم كالبوذيين والزرادشت وأمثالهم . وليس من السهل إثناءهم عما هم فيه، لأنهم حكماء عند أنفسهم !

✠ ✠ ✠

وفى الغرب نجد مئات من المذاهب أسسها أشخاص حكماء عند أنفسهم !

منهم شهود يهوه ، والسبتيون الأدفنتست، والمورمون، وأصحاب العلم، ومذاهب أخرى كثيرة، وقادة النقد الكتابى Biblical Criticism. وهم لا يتركون ما هم فيه، بل على العكس ينشرون أفكارهم ، ويطبعون الكتب ويترجمون عقائدهم إلى لغات عدة. ووصل بهم الأمر إلى مذهب يسمونه (عبادة الشيطان) !!

ومن يحاول أن يردهم إلى صوابهم ، يثبتون له أنهم هم على صواب ، لا لسبب إلا أنهم حكماء عند أنفسهم .

✠ ✠ ✠

٣ – وفى مجال العلم .. نجد كثيرين كانوا حكماء عند أنفسهم . وبهذه (الحكمة) أخترعوا القنابل الذرية، والهيدروجينية ، وباقى أسلحة الدمار .

وكذلك الأسلحة الكيميائية والتى هى فى صميمها ضد الإنسانية، ولا يقبلها الضمير. ولكنهم لا يكفّون عن اختراعاتهم المدمرة، وما يقدمونه كل فترة لرجال السياسة والحرب، مما يهدد العالم ويزعجه. والعجيب أنهم يفتخرون بما يخترعونه لإهلاك الناس. وكما يقول الرسول "فخرهم فى خزيهم" (فى٣: ١٩). لكنهم لا يرون ذلك خزياً، لأنهم حكماء عند أنفسهم !

✠ ✠ ✠

أيضاً العلماء الحكماء عند أنفسهم ، دخلوا فى موضوع التناسل !

واستخدموا معرفتهم بالجينات والكروموزومات والهرمونات، لكى يتحايلوا على إيجاد مخلوقات جديدة حسب المواصفات التى يختارونها. واحتفظوا فى بنوكهم للبويضات المخصبة، بعينات للبشر حسب الطلب!! ولم يكتفوا بهذا، بل عارضوا القانون الإلهى فى حكمة التناسل من ذكر وأنثى، حتى أزعجوا العالم بموضوع الاستنساخ الذى جربوه فى النعجة دوللى. وحالياً يحاولون أستنساخ البشر. وعبثاً يحاول رجال الدين ايقافهم عند حد. ولكنهم ماضون فى بحوثهم ، لكونهم حكماء عند أنفسهم !

✠ ✠ ✠

أيضاً الذين يقومون برحلات الفضاء ، هم حكماء عند أنفسهم .

يصرفون مليارات الدولارات على تلك الرحلات التى يريدون بها أستكشاف عالم الكواكب . وقد حصلوا على بعض قطع حجارة من القمر ، وأيضاً من المريخ. ونسأل ما الذى استفاده العالم من كل هذا الإنفاق، فى الوقت الذى توجد فيه بلاد يموت أطفالها من المرض ومن الجوع. ومجرد تكاليف رحلة من أمثال تلك الرحلات كانت تتكلف بعلاج هؤلاء وإعاشتهم!

ولكننا لا نود معارضة هؤلاء ، لئلا يظنوا إننا ضد العلم. إننا مع العلم، غير أننا نريد أن يكون العلم مع الخير . ولكنها شهوة المعرفة أياً كان نوعها .

✠ ✠ ✠

٤ – فى مجال السياسة والحكم : كل القادة كانوا حكماء عند أنفسهم .

حتى الذين بسياستهم قضوا على أنفسهم، وقضوا على غيرهم ، وانتهوا بمأساة!

فرعون مثلاً : لاشك أنه كان يرى من الحكمة السياسية أن يحتفظ بمئات الآلاف يستخدمهم فى السخرة لتنفيذ أعماله ومشروعاته . وعلى الرغم من المعجزات والضربات التى احتملها على يد موسى النبى، كان يرى من الحكمة أن يرجع فى عهوده ويطاردهم فى خروجهم .

وشاول الملك : كان يرى من الحكمة أن يتخلص من داود الذى أنتزع إعجاب الشعب فى قتل جليات ، والذى اعتبره خطراً على حكمه وميراث أولاده !

وهيرودس الملك : كان يرى من الحكمة أن يقضى على الطفل يسوع مادام المجوس أسموه "ملك اليهود" (مت٢: ٢) . (وبحكمة) أمر بقتل أطفال بيت لحم فى عمر سنتين أو أقل، وبفكره هذا، يكون الطفل المنافس بين من سيقتهلم !

كل هؤلاء الملوك كانوا حكماء فى أعين أنفسهم ، وقد فشلوا .

✠ ✠ ✠

كذلك كل مضطهدو المسيحية : كانوا حكماء عند أنفسهم بمحاولة التخلص من هذا الدين الجديد الذى رأوه خطراً على آلهتهم وعباداتهم وأصنامهم، وبالتالى على حكمهم. فافتنوا كل أنواع التعذيب والسجن والتهديد والإغراء ، لعلهم يقضون على هذا الدين بالقضاء على تابعيه !

✠ ✠ ✠

٥ – أيضاً الذين يستخدمون السحر والعرافة ، هم حكماء عند أنفسهم .

ويغرون الناس بأن حل مشاكلهم لا تأتى إلا عن هذا الطريق، بفك (العمل) الذى عمل لإيذائهم! أو باستخدام السحر و(التعويذة) و(الحجاب) للتخلص من أعدائهم، ومعرفة (طالعهم) عن طريق البخت ، والنجوم، وقراءة الكف وقراءة الفنجال، وما أشبه ..!

وليس البسطاء فقط يفعلون هذا ، بل أن ملكاً مثل شاول لجأ إلى عرافة عين دور لتخبره بما سوف يحدث له (اصم٢٨) !

✠ ✠ ✠

وفى عصر العلم الذى نحيا فيه يلجأ البعض إلى التنويم المغناطيسى، كما يلجأون إلى الأرواح ويسألونها !

وإن حاورتهم فى هذا ، يقولون إنه علم من العلوم المعترف بها فى كثير من الجامعات! فهل تقاومون العلم؟! وعلى الرغم من أن العرافة قد حرمها الكتاب المقدس، وكذلك استشارة الموتى (تث١٨: ١٠- ١٢) . إلا أن بعضاً من رجال الدين يرون ذلك (حكمة)، ويلجأ اليائسون لاستشارتهم!

✠ ✠ ✠

٦ - أيضاً يظنونها حكمة من يلجأون إلى وسائل للوصول إلى العظمة أو الغنى أو إشباع رغباتهم، هى مستقيمة فى نظرهم ، لأنهم حكماء عند أنفسهم .

★الذين بنوا **برج بابل** ، كانوا حكماء عند أنفسهم حينما قالوا : هلّم نبنِ لأنفسنا مدينة، وبرجاً رأسه فى السماء . ونصنع لأنفسنا إسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض" (تك١٠: ٤).. طرق تبدو مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت!

★بنفس المنطق و(الحكمة) فكّر ذلك **الغنى الغبى** وقال "أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها. وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى : يا نفسى لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة. استريحى وكلى واشربى وافرحى" (لو١٢: ١٨، ١٩) . إنه أيضاً حكيم فى عينى نفسه . أمامه طريق تبدو مستقيمة ..(أم١٤: ١٢) .

✠ ✠ ✠

★أيضاً **جيحزى** حينما جرى وراء نعمان السريانى، يطلب بعضاً من عطاياه (٢مل٥: ٢٠- ٢٤). كان جيحزى حكيماً فى عينى نفسه! إذ كيف يشفى معلمه ذلك الرجل الغنى من بصره، ولا يأخذون منه شيئاً؟! فكانت نتيجة (حكمته) أنه أخذ منه برصه، لما اكتشف أليشع النبى أن جيحزى فعل هكذا ..

★**ويربعام بن نباط** ، الذى أنشق على سليمان ، وانفصل بعشرة أسباط، وأقام فى جبل

افرايم. وخاف أن الشعب يذهب إلى المقادس فى أورشليم فينضمون إلى رحبعام بن سليمان . ففى (حكمة) صنع عجلين من ذهب. ووضع أحدهما فى بيت لحم، والآخر فى دان. وقال هذه هى آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر" (٢مل١٢: ٢٧، ٢٨) إنها طريق كانت تبدو أمامه مستقيمة .. لكونه حكيماً فى عينى نفسه !!

✠ ✠ ✠

٧ - كذلك كانوا حكماء ضد أنفسهم ، الذين قاموا بمؤامرات ظنوها لصالحهم .

من هؤلاء **آخاب وايزابل** اللذان قاما **بمؤامرة** ضد نابوت اليزرعيلى كى يستوليا على الكرم الذى كان له . ودبروا الأمر فى (حكمة!) فإتهماه بالتجديف على الله، واتيا بشهود زور. وانتهى الأمر برجمه والاستيلاء على كرمه (١مل٢١) .

كانا حكيمين عند نفسيهما . وكانت مؤامراتهما تبدو طريقاً مستقيمة، ولكن عاقبتها كانت طرق الموت. وكان حكم الله هو "فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلى ، تلحس دم آخاب" (١مل٢١: ١٩) .

✠ ✠ ✠

★كذلك الطريقة التى أراد بها داود التخلص من أوريا الحثى .

بعد أن زنى بامرأته بثشبع، فحبلت، وأراد تغطية خطيته بأن يدعو زوجها من الجيش للمبيت فى بيته. فلما تسامى أوريا عن هذا الأمر أن يدخل إلى بيته ويكون مع امرأته ، بينما باقى الجيش وتابوت الرب على وجه الصحراء فى الحرب . حينئذ أمر داود قائد الجيش أن يجعل أوريا فى مقدمة الحرب الشديدة فيموت. وحدث ما طلبه داود ، وقُتل أوريا فى الحرب (٢صم١١: ١١، ١٤) .

نجحت الخطة . وكانت تبدو طريقاً مستقيمة تؤدى إلى غرضها . وكان داود فيها حكيماً فى عينى نفسه . ولكن الرب غضب من تصرفه وعاقبه (٢صم١٢) .

✠ ✠ ✠

٨ - أيضاً الذين ينفذون الانتقام ، يظهرون حكماء عند أنفسهم .

إنسان فى مقتل أبيه أو أخيه أو أحد أقاربه ، يصر على قتل الجانى . ويبذل كل جهده حتى يتمم غرضه . فإذا قتل وانتقم يفرح ويسر، شاعراً أنه عمل ما كان ينبغى أن يعمله .

وهكذا إذ وقعت أخته فى زنى ، يقتلها ويقتل من زنى بها . ويقول إنه بهذا قد غسل شرف الأسرة .. وعلى الرغم من أنها جريمة، إلا أنه يريح به (ضميره) . إنه حكيم فى عينى نفسه !!

هكذا فعل أبشالوم بن داود الملك . لم يسترح إلا بعد أن قتل أمنون الذى زنى بأخته ثامار (٢صم١٣: ٢٣- ٢٩). ودبرّ لذلك خطة نجح فيها . وكان فيها حكيماً فى عينى نفسه، لأنه استطاع أن ينفذ ما أراد، وانتقم لشرف أخته .

وبالمثل فعل شمعون ولاوى بكل أهل شكيم . فقتلاهم بحيلة غير إنسانية، إنتقاماً لشرف أختهما دينه (تك٣٤)! وكانا فى أعين نفسيهما حكيمين ..!

✠ ✠ ✠

٩ - أيضاً كل منتحر : يكون حكيماً فى عينى نفسه ، ظاناً أنه بالموت قد استراح من متاعبه !!

بينما تنتظره متاعب أشد بعد الموت، إذ قد مات وهو قاتل نفس، وقاطع للرجاء ، وغير مؤمن بالمصير فى الأبدية .

هكذا فعل أخيتوفل حزناً، إذ لم يأخذ أبشالوم بمشورته "فانطلق إلى مدينته، وأوصى بنيه، وخنق نفسه ومات" (٢صم١٧: ٢٣). وبالمثل فعل يهوذا الإسخريوطى . "مضى وخنق نفسه" (مت٢٧: ٥) .

كل منهما فكرّ (بحكمته)! أن موته هو نهاية لحياة مؤلمة ، بينما موته بذلك الانتحار كان بداية لحياة أكثر إيلاماً .

✠ ✠ ✠

١٠ - فى المعاملات : كثيراً ما يلجأ البعض إلى أسلوب خاطئ يظنونه حكيماً !

★فالبعض قد يظن العتاب وسيلة يحاسب بها من اساء إليه. ولكنه بأسلوبه فى العتاب يخسر صاحبه . ولا يكون حكيماً فى عتابه .

★وبعض الآباء يظن من الحكمة أن يكون حازماً مع أولاده . ولكنه فى قسوته يخسرهم . وقد تظن الأم أنها بالتدليل تكسب محبة أولادها، بينما يؤدى هذا التدليل والتغطية على أخطائهم، إلى فسادهم !

★أو زوج يغار على زوجته ، ويظن من الحكمة أن يغلق عليها فلا يتصل بها أحد. فيخسر محبة زوجته بتضييقه عليها .

★أو البعض يرون التزوير والغش ينفعهم ، فيكون وبالاً عليهم !

★أو يظن البعض أنهم ينسون مشاكلهم وآلامهم بالخمر أو المخدرات، فتكون هذه مشكلة لهم أشد. ومع ذلك فهؤلاء والباقون هم حكماء عند أنفسهم !!

لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب

(رو ١٢: ١٩)

هكذا قال الرسول : لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب "لى النقمة، أنا أجازى يقول الرب" (تث٣٢: ٣٥) .

فهل أنت من النوع الذى ينتقم لنفسه ؟ أم أنك تعطى مكاناً للغضب؟

عبارة تعطى مكاناً للغضب معناها "تفسح له مكاناً ينصرف منه"

وليس معناها تعطيه مكاناً فى قلبك يستقر فيه! حاشا .

معناها إذن : أن تصرف الغضب ، ولا تبقيه . وهكذا فإذا انصرف الغضب عنك، لن تفكر فى أن تنتقم ممن أغضبك ...



والإنسان يغضب لأسباب كثيرة، منها الحساسية الكبيرة لكرامته الشخصية ولحقوقه الشخصية. وشعوره بأنه يجب أن ينتقم لكرامته فيغضب .

أما إذا كان عنده الكثير من الحب ومن الاتضاع ، فمن النادر أن يغضب. وإن حاربه الغضب، تزيل المحبة غضبه .

والاتضاع أيضاً يزيل غضبه، فيهدأ، وينتهى الموضوع عند هذا الحد.. طبيعى أن المحبة تزيل الغضب . لأن "المحبة تحتمل كل شئ" و"لا تحتد" (١كو١٣: ٧، ٥). وهكذا لا تنتقم لنفسها . لماذا؟ لأن المحبة "لا تطلب ما لنفسها" (١كو١٣: ٥) .

لذلك يندر أن تجد إنتقاماً بين الأب وابنه ، أو بين الأم وابنها. لأن محبة كل منهما

تحتمل خطأ الآخر. وأيضاً تستر كثرة من الخطايا . "والمحبة لا تسقط أبداً" (١كو١٣: ٨). ونقصد هنا أنها لا تسقط فى تعاملها مع الآخرين .

فلو غضبت وأردت أن تنتقم من غيرك، إعرف أن محبتك له ناقصة أو غير موجودة

أو أن ما تدعيه من محبة، ليس إلا محبة سطحية، بلا عمق.

فإلهنا الصالح، كلى القوة والمجد، قد أخطأ كل الناس فى حقه. ومع ذلك بذل ذاته عنا. "الله بين محبته لنا. لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" "مات فى الوقت المعين لأجل الفجار" (رو٥: ٨، ٦). إذن يمكن للمحبة أن تعالج الغضب والنقمة .

كذلك أيضاً التواضع يمكنه أن يعالج الغضب والنقمة .

فالإنسان المتواضع ، باستمرار يأتى بالملامة على نفسه .

كما يقول القديس دوروثيئوس "إن المتواضع لا يغضب من أحد، ولا يُغضب أحداً" . لذلك فمن الطبيعى أنه لا ينتقم من أحد.

بل الكتاب يقول: "لا تغرب الشمس على غيظكم" (أف٤: ٢٦) .

فلا يصح أن يبقى الغضب عندك إلى ثانى يوم، لأنه سوف يخزن فى قلبك، ويتحول إلى حقد أو إلى عداوة . أو على الأقل يرسخ فى عقلك الباطن، ويصبح تصريفه صعباً ..

إذن إعطِ مكاناً للغضب ينصرف منه، بأية وسيلة وبأى سبب. ولا تدعه يبقى عندك إلى الغروب، بل اصرفه لتوّه، بسرعة. لأن بقاءه ليس من صالحك ولا من صالح غيرك الذى أنت غاضب عليه. تذكر إذن قول الكتاب :

"إن غضب الإنسان لا يصنع برّ الله" (يع١: ٢) .

وهذا الغضب الذى لا يصنع برّ الله، لا يجوز أن تستبقيه عندك، لأنه غضب ممركز حول الذات وكرامتها وحقوقها. هو لون من الظلمة، بينما البر نور "ولا شركة بين النور والظلمة" (٢كو٦: ١٤). لذلك فأصحاب مدرسة التفسير الرمزى يقولون إن تفسير قول الكتاب "لا تغرب الشمس على غيظكم" معناه "لا تغرب شمس البر على غيظكم". وشمس البر هو الرب نفسه (ملا٤: ٢) (مز٨٤: ١١) ... ويغرب الرب عنك أى يبعد عنك، بسبب غضبك ، أو فى وقت غضبك .

✠ ✠ ✠

والإنسان كما يعالج الغضب فى حياته بالمحبة والإتضاع ، يعالجه أيضاً بالقلب الواسع، بسعة الصدر ...

ما أجمل ما قيل فى ذلك عن سليمان الحكيم "وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً، ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر" (١مل٤: ٢٩). وجميل هنا أيضاً الربط بين رحابة القلب والحكمة.. إذن فالقلب الواسع، هو قلب حكيم، لذلك فهو لا يغضب.

✠ ✠ ✠

لذلك فقد أدان الكتاب غضب الجاهل .. ومدح البطء فى الغضب .

فقيل "الحجر ثقيل ، والرمل ثقيل . وغضب الجاهل أثقل منهما كليهما" (أم٢٧: ٣). وقيل عن الله تبارك اسمه إنه "بطئ الغضب" لأنه أيضاً رحيم ورؤوف (خر٣٤: ٦). وبهذا شهد له يونان النبى فقال للرب "علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطئ الغضب.." (يون٤: ٢). وقال عنه داود النبى "الرب رحيم رؤوف طويل الروح وكثير الرحمة. لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" (مز١٠٣: ٨ – ١٠) .

✠ ✠ ✠

إذن يمكن معالجة الغضب والحقد بطول الروح، وبالرحمة والرأفة وبالحكمة أيضاً .

طول الروح ، سعة الصدر ، رحابة القلب ، طول الأناة .. كلها تمنع الغضب والحقد، وتمنع الانتقام أيضاً ...

وكذلك الحكمة تمنع الغضب والانتقام . فداود النبى ، لما اراد أن ينتقم لنفسه من نابال الكرملى، منعته عن ذلك ابيجايل بحكمتها وبنصيحتها العاقلة الهادئة . فمدحها داود وقال لها "مبارك عقلك، ومباركة أنتِ، لأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء ومن انتقام يدى لنفسى" (١صم٢٥: ٣٣) .

✠ ✠ ✠

أما الإنسان الضيق الصدر ، الضيق الفهم ، فإنه يسرع إلى الغضب وإلى الانتقام لنفسه .

لذلك نصح القديس يعقوب الرسول بأن يكون الإنسان "مبطئاً فى الغضب" (يع١: ١٩). لأنه إذا أبطأ فى الغضب، فسوف يعطى نفسه فرصة للتفكير والتعقل والتبصر فى العواقب. وأيضاً يعطى فرصة لأعصابه حتى تهدأ، وتبعد عن ثورتها، ولا تفكر فى الانتقام.

أما الإنسان الضيق الصدر، فإنه يغضب بسرعة، وينفعل ويثور، ويعزم على الانتقام، دون أن يعطى نفسه فرصة للتفكير .

✠ ✠ ✠

ما أبشع الانتقام الذى قام به أبناء يعقوب بسبب أختهم دينة .

أنتقام للشرف، مع أن اتفاقاً كان قد تم للمصالحة ومعالجة الموضوع، وقبلوه.. ولكنهم قاموا على كل أهل شكيم وقتلوهم، وهم فى حالة لا تمكنهم من الدفاع – وكان يقود هذا الانتقام شمعون ولاوى . فقال لهما أبوهما يعقوب "كدرتمانى بتكريهكما إياى عند سكان الأرض" (تك٣٤: ٣٠). وفى مباركته الأخيرة لأبنائه قال "شمعون ولاوى أخوان. آلات ظلم سيوفهما. فى مجلسهما لا تدخل نفسى، بمجمعهما لا تتحد كرامتى.. ملعون غضبهما فإنه شديد، وسخطهما فإنه قاسٍ" (تك٤٩: ٥– ٧) .

هنا نجد ألفاظاً تتحد معاً فى تعاونها على إفساد قلب الإنسان وعمله: غضب، وسخط، وشدة، وقسوة، وانتقام.. كلها تعمل معاً، حينما يتدرج الإنسان من الغضب إلى الانتقام.

✠ ✠ ✠

العجيب إننا كثيراً ما نجد الغضب والشدة عند بعض المتدينين !

بينما نجد عند كثيرين من أهل العالم اللطف والضحك والمرح. وربما الرد على الاساءة بفكاهة أو بكلمة لطيفة !!

ربما لأن بعض المتدينين يتشددون مع أنفهسم فى محاسبة النفس، وفى التدقيق . وهكذا يعاملون غيرهم بنفس التدقيق والشدة. فينحرفون إلى القسوة فى معاملة الناس، وعدم اللطف فى محاسبتهم على أخطائهم . بينما قد ضرب الكتاب لنا مثالاً طيباً فى معاملة السيد الرب للمرأة السامرية، دون أن يجرح شعورها مع شدة حالتها الخاطئة (يو٤) . وكذلك نفس الطيبة فى معاملة المرأة المضبوطة فى ذات الفعل، بينما كان الكتبة والفريسيون فى غضب شديد متحمسين لرجمها . فأنقذها منهم (يو٨: ٣– ١١) .

✠ ✠ ✠

ربما ظن هؤلاء أنهم لا ينتقمون لأنفسهم، بل لحق الله .

وفى الواقع أن السيد الرب – فى تلك الواقعة – قد قدّم لنا تعليماً أن نأخذ حق الله من أنفسنا أولاً ، قبل محاولتنا أن نأخذ حق الله من الآخرين. وذلك بقوله لطالبى رجم تلك الزانية "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو٨: ٧) .

إذن انتقم من نفسك ، قبل أن تنتقم لنفسك أو لله.

الطاقة الغضبية التى عندك استخدمها استخداماً سليماً فى الغضب على نفسك التى تخطئ وتحتاج إلى عقوبة منك وعليك أن تقودها إلى التوبة، بأن تبكتها على أخطائها،

وتعاقبها لتصلحها ...

أما غيرك ، فتعود أنـك لا تنتقم منـه، كيـلا ينتقـم اللـه منـك أنـت أيضـاً . لأن كليكمـا مخطئ قدامه .

إن أردت أن تنتقـم لنفسـك ، تذكـر هـذه العبـارة "لـى النقمـة، أنـا أجـازى يقـول الـرب" (رو١٢: ١٩). فإن كان الله من حقه النقمة والجزاء على الخطايا، وأنت أيضاً خاطئ، فما أسهل أن تتعرض لنفس النقمة والجزاء إن انتقمت لنفسك. لأن الرب يقول "بالكيل الذى بـه تكيلون ، يُكال لكم" (مت٧: ٢) .

✠ ✠ ✠

فإن كنت تكيل لغيرك بالإنتقام، يكيل الله لك بنفس الكيل .

لأنه يقول "لى النقمة أنا أجازى" (رو١٢: ٩).. أو "لى النقمة والجزاء" (تث٣٢: ٣٥). بل بنفس الكيل "يكال لك ويزاد" (مر٤: ٢٤) ...

لهذا فأنت حينما لا تنتقـم لنفسـك، بـل تغفـر .. كـأنك تقـول للـه: عـاملنى يـارب بنفس معاملتى لغيرى، وبنفس مغفرتى له ...

ليس فقط بعدم الانتقام الذى أكيل به، بل بكثرة رأفاتك ومراحمك ومغفرتـك، تقـول لـى "يكال لك ويزاد" فى عدم الانتقام عن خطاياك ...

علىّ إذن أن أقدم المغفرة لغيرى، حتى أجد المغفرة عندك .

✠ ✠ ✠

فى هذا الموضوع يقدم لنا الرسول تفاصيل فى نفس الرسالة .

وهى : لا تجازوا أحداً عن شر بشر" (رو١٢: ١٧) .

"لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١) .

"إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه" (رو١٢: ٢٠) .

"إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رو١٢: ١٨) .

لا تجازوا أحداً عن شـــر بشـر

لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير

(رو ١٢: ١٧، ٢١)

لا تجازوا عن شـر بشـر :

المجازاة عن شر بشر ، وعن الإساءة باساءة، وعن الشتيمة بشتيمة، كلها ألوان من الإنتقام. وقد قال الرسول "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء" (رو١٢: ١٩). وكما قال لأهل رومية "لا تجازوا أحداً عن شر بشر" (رو١٢: ١٧)، هكذا بنفس الوصية أمر أهل تسالونيكى قائلاً "أنظروا أن لا يجازى أحدٌ أحداً عن شر بشر" (١تس٥: ١٥) .

✠ ✠ ✠

ربنا يسوع المسيح هو أيضاً لم يجازِ عن شر بشر .

كل الإهانات واللطمات التى أصابته قبل الصلب، تحملها فى هدوء، ولم ينتقم لنفسه، ولم يجازِ عن شر بشر "ظُلم، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاةٍ تساق إلى الذبح" (أش٥٣: ٧). بل قال عن نفسه فى نبوءة اشعياء "بذلت ظهرى للضاربين، وخدى للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق" (أش٥٠: ٦) .

ولما أغلقت إحدى قرى السامرة أبوابها فى وجهه، وتحمس تلميذاه يعقوب ويوحنا للانتقام منها قائلين "أتريد يارب أن تقول أن تنزل نار من السماء، فتفنيهم كما فعل إيليا؟"، انتهر الرب هذين التلميذين وقال لهما "لستما تعلمان من أى روح أنتما! لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص" (لو٩: ٥٣- ٥٦). وفعلاً جاء وقت دخل فيه السامرة، وخلص أهلها إذ آمنوا به (يو٤: ٣٦- ٤٢) . وأوصى تلاميذه بها قبل الصعود، فقال لهم "تكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية، وفى السامرة.." (أع١: ٨) .

ولما قُبض عليه بخيانة يهوذا، رفع بطرس سيفه ليرد الشر، فقطع أذن عبد رئيس الكهنة. فالرب الذى لا يجازى عن شر بشر، قال لبطرس "رد سيفك إلى غمده. الكأس التى أعطانى الآب، ألا أشربها؟!" (يو ١٩: ١٠، ١١) .

✠ ✠ ✠

وقد علّم الرب فى عدم مجازاة الشر بالشر، بقوله :

"سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن. أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً، فاذهب مع إثنين" (مت٥: ٣٨- ٤١).

وعاش الآباء الرسل بأسلوب السيد المسيح .

فقال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زملائه فى الخدمة "إلى هذه الساعة نجوع ونعطش، ونُعرّى ونلكم.. نُشتم فنبارك. نضطهد فنحتمل. يُفترى علينا فنعظ.." (١كو١٤: ١١- ١٣). وقال القديس بطرس الرسول "كونوا جميعاً .. ذوى محبة أخوية، مشفقين لطفاء، غير مجازين عن شرّ بشرّ، أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين" (١بط٣: ٨، ٩) .

✠ ✠ ✠

ولنا أمثلة فى العهد القديم : يوسف الصديق ، وداود النبى :

★يُوسف ظُلم كثيراً من أخوته : ألقوه فى بئر، وباعوه كعبد (تك٣٧). ومع ذلك لما وقعوا فى يديه، لم يجازهم عن شر بشرّ، بينما كان فى ذلك الوقت فى مركز القوة كنائب لفرعون. بل أكرمهم كل الإكرام، وأسكنهم فى أرض جاسان..

ولما خافوا أن ينتقم منهم بعد موت أبيهم يعقوب، "وأتوا إليه ووقعوا أمامه قائلين ها نحن عبيدك.." حينئذ طمأنهم يوسف وقال لهم "لا تخافوا، لأنه هل أنا مكان الله؟! أنتم قصدتم لى شراً، أما الله فقصد به خيراً.. ليحيى شعباً كثيراً. فالآن لا تخافوا. أنا أعولكم وأولادكم" "فعزّاهم وطيّب قلوبهم" (تك٥٠: ١٥- ٢١) .

✠ ✠ ✠

كذلك داود ظُلم كثيراً من شاول الملك.

هذا الذى أراد قتله حسداً، وطارده من برية إلى أخرى.. وأخيراً لما وقع شاول فى يدى داود، وكان نائماً . وقال عبيد داود له "ها هوذا اليوم الذى قال لك عنه الرب : هأنذا أدفع عدوك إلى يدك، فتفعل به ما يحسن فى عينيك". أما داود فإنه وبخ رجاله، ولم يدعهم

يقومون على شاول وقال "حاشا لى من قبل الرب، فأمدّ يدى إليه، لأنه مسيح الرب هو". واكتفى بأن قطع طرف جبة شاول ومضى (١صم٢٤: ٣- ٨). ونادى داود على شاول وأعلمه بما حدث، فقال شاول "أهذا صوتك يا ابنى داود، ورفع صوته.. وبكى. وقال لداود: أنت أبرّ منى. لأنك جازيتنى خيراً، وأنا جازيتك شراً.. فالرب يجازيك خيراً عما فعلته بى هذا اليوم" (١صم٢٤: ١- ١٩) .

✠ ✠ ✠

لكن داود لما أراد أن ينتقم من نابال، أرسل له الله من يبكته .

أراد داود أن يجازى نابال عن شر بشرّ، وقال لرجاله "إنما باطلاً حفظت كل ما لهذا (الرجل) فى البرية، فلم يُفقد من كل ماله شئ. فكافأنى شراً بدلاً من خير. هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد، إن أبقيت من كل ماله إلى ضوء الصباح بائلاً بحائط.." (١صم٢٥: ٢١، ٢٢) .

فلم يسمح الله أن يمكث هذا الشرّ فى قلب داود وينفذه. فأرسل له أبيجايل التى استطاعت بحكمتها أن تمنعه من انتقام نفسه لنفسه، قائلة له إن هذا "سيكون لك مصدمة ومعثرة قلب لسيدى أنك قد سفكت دماً عفواً، أو أن سيدى قد انتقم لنفسه" (١صم٢٥: ٣١). وهكذا استطاعت أبيجايل أن تغلب الشر بالخير، بالحكمة والنصيحة من فمها، وبالهدية التى قدمتها من يدها ...

لايغلبنك الشر :

كان داود مغلوباً من الشر، حينما أراد الانتقام من نابال، ولم يكن قوياً كما ظن فى نفسه، وكما هدّد فى ثقة بقدرته. ولكنه غلب الشر بالخير، حينما سمع نصيحة أبيجايل ورجع عن تهديداته (١صم٢٥: ٣٣، ٣٤) .

وسنقدم أمثلة أخرى من العهد القديم .

قايين لم يكن قوياً ، حينما قام على أخيه هابيل وقتله، بل كان مغلوباً من الشرّ. هذا الذى حذّره الرب منه قائلاً "عند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها" (تك٤: ٧). كانت أولاً تحت إرادته، ولكنها عادت وسادت هى عليه وغلبته، فقتل أخاه..

داود أيضاً غلبه الشر ، فى موقفه من أوريا الحثى .

غلبه الشر حينما اشتهى بتشبع زوجة أوريا ، وزنى بها فحبلت. وغلبه الشر أيضاً

حينما أراد أن يغطى الخطية ناصحاً أوريا أن ينزل إلى بيته (٢صم ١١: ٨، ٩) . وغلبه الشر حينما عمل على قتل أوريا، وقتله فعلاً .

✠ ✠ ✠

وهكذا حينما يغلب الشر إنساناً ، قد يقوده من سقطة إلى سقطة .

يوسف الصديق لم يغلبه الشرّ، حينما وقع تحت إغراء إمرأة سيده. إنما غلب هذا الشر بالإفراز، واعتباره أنه بارتكاب تلك الخطية العظيمة، إنما "يخطئ إلى الله" (تك٣٩: ٩). إذن ينبغى أن تغلب الشر ، سواء سعى هو إليك، كما فى قصة يوسف مع تلك المرأة، أو إن سعيت أنت إليه. فلتقف ولا تكمله.

✠ ✠ ✠

★الشيطان أيضاً غلبه الشر ، غلبته محبة الرفعة وشهوة الألوهية .

كما قال عنه الوحى الإلهى فى سفر أشعياء النبى "وأنت قلت فى قلبك: أصعد إلى السموات، أرفع كرسىّ فوق كواكب الله.. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلّى" (أش١٤: ١٣، ١٤) .

غلبته الخطية ، فلم يرتفع ، بل "أنحدر إلى الهاوية، إلى أسافل الجب" "سقط من السماء.. وقُطع إلى الأرض" (أش١٤: ١٥، ١٢) .

✠ ✠ ✠

والإنسان أيضاً غلبه الشر منذ البدء .

غلبه الشر بالخديعة وبالإغراء . بالخديعة فى قول الشيطان "لن تموتا" . وبالإغراء فى قوله "تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر" (تك٣: ٤، ٥) . وبقوله أيضاً "يوم تأكلان منه، تنفتح أعينكما" ..

وظل الإنسان يغلبه الشر، حتى أوقعه فى الجهل والإلحاد والفساد. كما قيل فى المزمور "قال الجاهل فى قلبه ليس إله" "فسدوا ورجسوا بأفعالهم. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (مز١٤: ١- ٣) .

✠ ✠ ✠

الشيطان غلب الإنسان بالخداع والمكر . مصوّراً له الشر أنه شهوة ولذة، وليس أنه خطيئة وسقوط. وهكذا غلبه الشرّ ...

الشرّ تصوّر للشيطان مجداً ، أن يصير مثل العلىّ. وهو نفسه صور الشرّ للإنسان مجداً، بأنه يصير مثل الله!

وهكذا الشرّ غلب أبشالوم، فى صورة المجد ، أنه سيصبح ملكاً بدلاً من أبيه. وأنه سيصل إلى هذا المجد بمجد آخر هو الإنتصار! نعم ، الانتصار على البطل داود الذى هزم جليات الجبار من قبل !

✠ ✠ ✠

والشر يغلب الإنسان عن طريق الخداع لمن يقبل خداعه !

★الأنبا غاليون الراهب المتعبد ، المواظب على صلوات الكنيسة، ظهر له ثلاثة رهبان قالوا له إنهم سواح، وأن عددهم ١٢، وقد تنيح اليوم أحدهم، ويريدون أن يبقى عددهم ثابتاً، وقد وقع اختيارهم عليه، لينضم إليهم ويكمل عدد المجموعة لما يعرفونه عنه من الثبات على الوحدة فى الدير وعدم مغادرته، وثباته على العبادة والصلاة. وطلبوا منه أن يكتم الأمر عن الكل ويخرج معهم. فلما خرج معهم أتاهوه فى البرية. وظلوا يهزأون به بعد ذلك. وظهر أنهم شياطين .

وهكذا غلبه الشر بالخداع ولولا أن الله أرسل له من ينقذه فيما بعد، لانتهى أمره ...

✠ ✠ ✠

★وكذلك استطاع الشر أن يغلب البعض برؤى كاذبة !

على أن بعض القديسين غلبوا تلك الرؤى بالإتضاع أو المشورة !

مثال ذلك الراهب الذى ظهر له الشيطان فى هيئة ملاك. وقال له "أنا جبرائيل الملاك أرسلنى الله إليك". فأجابه الراهب فى اتضاع "لعلك أرسلت إلى غيرى وأخطأت الطريق! أما أنا فإننى إنسان خاطئ، لا استحق أن يظهر لى ملاك" . فخزى الشيطان وانصرف .

وراهب آخر جاءه الشيطان متنكراً. وقال له "من أجل سكناك فى مغارة فى الجبل عابداً هذه المدة الطويلة، قد شاء الله أن يرفعك فى مركبة نارية إلى السماء مثل إيليا. فاستعد سنأتيك غداً" ! فاستشار هذا المتوحد أباه الروحى. فقال له: إنهم شياطين يريدون أهلاكك، فاحترس منهم ومن خيالاتهم. وبالطاعة لمشورة أبيه أمكنه أن يغلب الشر وينتصر .

✠ ✠ ✠

لعلك تسأل عن فرعون مثلاً ، كيف غلبه الشر ؟

غلبه بأن صورّ له أنه سيكون غالباً إن أصرّ على موقفه، ولم يخضع لموسى، واحتفظ بذلك الشعب عبيداً يسخرهم فى خدمته! فبشهوة الغلبة، وبالعناد والإصرار على موقفه، وبشهوة الانتصار على الغير واخضاعه وإذلاله، غلبه الشر، وهلك فرعون ...

حقاً ، إن الشر يريد أن يغلب بالإقناع . بأن يقنع ضحاياه بأن فى هذا الشر خيرهم، وأنه دليل قوتهم وكرامتهم .

ويقدم لهم هذا الإقناع فى شهوة تغريهم . فإن أنقادوا وراء تلك الشهوة، يكون قد غلبهم الشر. أياً كان نوع تلك الشهوة: سواء كانت شهوة إنتقام كما فعل مع داود، أو شهوة مال كما فعل مع يهوذا ومع بلعام، أو شهوة الملك والإنتصار كما فعل مع أبشالوم.. وما أكثر القصص والأمثال ...

✠ ✠ ✠

إن ربنا يسوع المسيح قد غلب الشر بالخير .

شر الناس كلهم غلبه الرب بالفداء ، واستطاع بموته عنهم أن يخلص نفوسهم، ويمحو خطاياهم بدمه الكريم.

واستطاع أن يغلب ذلك التحدى القائل "إن كنت ابن الله انزل من على الصليب وخلّص نفسك (مت٢٧: ٤٠). وذلك بأن ثبت على الصليب من أجل محبته للبشر ومن أجل فدائهم وخلاصهم .

واستطاع أن يغلب الشر فى التجربة على الجبل، بالردّ الحكيم على كل حيل الشيطان واستخدامه لآيات الكتاب استخداماً خاطئاً.وذلك بالرد عليه قائلاً: "مكتوب أيضاً" (مت٤) مظهراً له أننا نغلب بحفظنا لكلام الله ...

✠ ✠ ✠

احرص إذن على أن تغلب الشر بالخير .

واحرص على ألا تجازى الشر بالشر ...

طرق لمجازاة الشر بالشر :

هناك طريقة المعاملة بالمثل : إهانة بإهانة، وشتيمة بشتيمة.. وهناك طريقة وهى مجازاة الشر بما هو أشد منه .

مثل تهديد داود على أن يقتل ويبيد كل ما لنابال الكرملى، بينما الشر الذى صدر من نابال كان البخل وعدم ارسال طعام لداود ورجاله. فكأن داود أراد أن يجازى نابال بما هو أشر من شره ...

✠ ✠ ✠

وهناك طرق أخرى منها الكلام والخطابات والعتاب .

فقد ينتقم الإنسان لنفسه بكلام عنيف يقوله لمن أساء إليه ، أو يقوله عنه ، بلون من الشكوى للآخرين، أو بإساءة سمعته انتقاماً .

وقد يجازيه بطريقة أخرى هي لقاؤه بطريقة متجهمة أو بالنكد .

وقد يجازيه بعتاب مرّ ، بألفاظ قاسية جارحة بأسلوب هجوم قد ينتهى إلى قطع العلاقة بينهما أو توسيع الفجوة فى العلاقات .

✠ ✠ ✠

نلاحظ أن السيد المسيح كان رقيقاً فى عتابه :

فلنتأمل كيف عاتب بطرس بعد القيامة على إنكاره إياه ثلاث مرات: لم يذكّره بنكرانه وبخوفه وبما صدر منه من سب ولعن وقوله لا أعرف الرجل ! (مت٢٦: ٧٢- ٧٤). إنما بلطف سأله ثلاث مرات "يا سمعان بن يونا، أتحبنى أكثر من هؤلاء؟" ثم يعقّب قائلاً "ارعَ خرافى" أو "إرعَ غنمى" .. (يو٢١: ١٥- ١٧). حتى أن أخوتنا الكاثوليك ظنوا أن ذلك كان تسليماً له رعاية الكنيسة، وليس عتاباً !!

كذلك عتاب الرب لتوما ، كان هدفه تثبيتاً لإيمانه، وليس قصاصاً منه على شكه (يو٢٠: ٢٧- ٢٩) .

✠ ✠ ✠

وأحياناً ما كان الرب يعاتب إطلاقاً.

مثلما فعل مع اللص اليمين (التائب) فقد كان هو وزميله يجدفان معاً فى بادئ الأمر ويعيرانه (مت٢٧: ٤٤). ثم ما لبث أن تاب أحدهما، ودافع عنه مهاجماً زميله المخطئ. وقال للرب "أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" . فلم يعاتبه الرب على تعييره الأول. بل قال له فى حنو "اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٣) .

★والمجدلية لم يعاتبها الرب أيضاً ، هذه التى أنكرت قيامته ثلاث مرات قائلة "أخذوا سيدى، ولا أدرى أين وضعوه" (يو٢٠). واكتفى بقوله لها "لا تلمسينى، لأنى لم أصعد بعد إلى أبى". وقرن هذه العبارة بتكليفها أن تذهب لتبشر (أخوته) بالقيامة (يو٢٠: ١٧) .

✠ ✠ ✠

والبعض قد يجازى عن الشر بالخصام أو المقاطعة .

أما الرب فيقول "أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم" ويقول "إن سلمتم على أخوتكم فقط، فأى فضل تصنعون؟!" (مت٥: ٤٤، ٤٧) .

إن كان ممكنًا، فحَسب طاقتكم سَالموا جميع النَاس

(رو١٢: ١٨)

السلام هو القاعدة الأساسية للتعامل بين الناس .

وهو التحية التى يحيون بها بعضهم البعض، سواء عندما يتقابلون، أو فيما يكتبون من خطابات. والقديس بولس الرسول كان يبدأ رسائله فى الغالب بعبارة "نعمة لكم وسلام". والسيد الرب أمر رسله الأطهار قائلاً **"وأى بيت دخلتموه، فقولوا أولاً سلام لهذا البيت"** (لو١٠: ٥) .

والسلام هو من أولى ثمار الروح، التى بدأها الرسول بقوله: "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام.." (غل٥: ٢٢). وبالسلام يحفظ العلاقات الفردية والإجتماعية، ويحيا الإنسان فى هدوء، وتستقر حياة الأسرة. وهو من أكثر العبارات التى تسمعونها من فم الأب الكاهن فى القداس الإلهى: السلام لجميعكم ...

✠ ✠ ✠

ولكن أهم سؤال يُطرح علينا فى هذا الموضوع هو :

هل من الممكن أن يحيا الإنسان فى سلام مع جميع الناس ؟

وهل القديس بولس الرسول نفسه الذى قدم لنا هذه الوصية، أمكنه أن يعيش فى سلام مع جميع الناس؟! هذا الذى قال عن جهاده فى الخدمة "بأخطار من جنسى، بأخطار من الأمم.. بأخطار من أخوة كذبة" (٢كو١١: ٢٦) "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة

إلا واحدة. ثلاث مرات ضُربت بالعصىّ. مرة رجمت" (٢كو١١: ٢٤، ٢٥). وقال "اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة" (٢تى٤: ١٤) .

وقيل إن أكثر من أربعين رجلاً من اليهود كمنوا له "وقد حرموا أنفسهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا شيئاً حتى يقتلوه" (أع٢٣: ٢١) .

المقصود إذن أن نسالم الناس بقدر طاقتنا . حتى إن لم يسالمونا .

✠ ✠ ✠

بل إن السيد الرب قد قال "وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى" (مت١٠: ٢٢). بل قال "تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو١٦: ٢). وقد ضرب الرب لتلاميذه مثلاً بنفسه. فقال لهم "إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم" "إن كانوا يفعلون هذا بالعود الرطب، فماذا يكون باليابس؟!" (لو٢٣: ٣١).

✠ ✠ ✠

حقاً ، إن السيد المسيح نفسه، ما كان ممكناً أن يكون فى سلام مع جميع الناس!!

لقد قام ضده الكتبة والفريسيون والصدوقيون والناموسيون، والشيوخ ورؤساء الكهنة وغيرهم. وانتقدوه وقاوموه. وقالوا عنه إنه كاسر للسبت، وناقض للشريعة" (يو٥: ١٨) (يو٩: ١٦)! و"إنه سامرى وبه شيطان"! (يو٨: ٤٨، ٥٢) (يو٧: ٢٠). وقالوا عنه إنه "أكول وشريب خمر" "محب للعشارين والخطاة" (مت١١: ١٩). وقالوا إنه "ببعلزبول يخرج الشياطين" (مت١٢: ٢٤). وكانوا لا يقبلون كلامه، بل يحاولون "أن يصطادوه بكلمة" (مر١٢: ١٣) "طالبين أن يصطادوا شيئاً من فمه، لكى يشتكوا عليه" (لو١١: ٥٤). وكم من مرة تآمروا عليه. وكانوا يطردونه ويطلبون أن يقتلوه" (يو٥: ١٦، ٨). وأكثر من مرة حاولوا أن يرجموه (يو٨: ٥٩) (يو١٠: ٣١) .

✠ ✠ ✠

ولم يتمكن المسيح من مسالمتهم، بسبب شرهم، فهاجموه بشدة :

كم من مرة شرح لهم ، فلم يقبلوا كلامه. "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" (يو١: ١١).. وأخيراً لم يسالمهم الرب، بل هاجمهم بشدة. وقال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون" وكرر هذه العبارة مراراً (مت٢٣). وقال لهم "أيها القادة العميان" "أيها الجهال والعميان" (مت٢٣: ١٦، ١٩، ٢٤). بل قال لهم "أيها الحيات أولاد الأفاعى، كيف تهربون من دينونة جهنم؟!" (مت٢٣: ٣٣) .

ولما سمعه واحد من الناموسيين يوبخ الكتبة والفريسيين هكذا، "قال له: يا معلم، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً. فقال "وويل لكم أنتم أيها الناموسيون، لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل، وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم" (لو١١: ٤٥، ٤٦) .

وبالمثل هاجم السيد كهنة اليهود وقال لهم "إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأمة تصنع أثماره" (مت٢١: ٤٣، ٤٥) .

وكذلك هاجم الصدوقيين وأبكمهم، قائلاً لهم "تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (مت٢٢: ٢٩، ٣٤) .

ما كان ممكناً أن يسالم السيد كل هؤلاء، لأنهم أعداء الحق ...

وكانوا يحطمون ملكوت الله بتعليمهم الخاطئ. فكان لابد من أن يكشفهم أمام الناس، ولا يبقى فى بنيان ملكوته قادة كهؤلاء .

✠ ✠ ✠

كذلك لم يسالم الرب الباعة الذين فى الهيكل .

بل يقول الإنجيل إنه "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام. وقال لهم : مكتوب بيتى بيت الصلاة يُدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت٢١: ١٢، ١٣) .

إن الذين يدنسون الهيكل، لا تصلح معهم المسالمة. بل كان لابد من موقف حازم معهم. ويروى إنجيل يوحنا ما فعله الرب فى الهيكل، فيقول إنه "وجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً، والصيارف جلوساً. فصنع سوطاً من حبل، وطرد الجميع من الهيكل: الغنم والبقر . وكبّ دراهم الصيارف، وقلب موائدهم. وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من هنا. لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة. فتذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتنى" (يو٢: ١٣- ١٧) .

✠ ✠ ✠

حقاً ليس ممكناً فى كل وقت ، مسالمة جميع الناس .

وبخاصة إن كانوا من المعتدين أو الطامعين أو الحاسدين وما أشبه :

إن داود لم يستطع أن يعيش فى سلام مع شاول الملك الذى كان يغار منه، ومن قوته وبره ومحبة الناس له. وكان لذلك يراه خطراً على مملكته! ومن أجل هذا حاول أن يقتله أكثر من مرة، وأن يغرى أو يوصى عليه من يقتله. وطارده من برية إلى أخرى، ولم

يستطع داود أن يسالمه، على الرغم من أنه لم يجازه شراً بشر، وكان يكلمه بكل احترام واتضاع، حتى قال له مرة "ماذا عملت؟! وأى شرٍ بيدى.. لأن ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد..!" (١صم٢٦: ١٨، ٢٠) .

وهكذا هرب داود إلى أرض الفلسطينيين "وقال داود فى قلبه إنى سأهلك يوماً بيد شاول، فلا شئ خير لى من أن أفلت.." (١صم٢٧: ١) .

✠ ✠ ✠

وكما لم يستطع داود أن يسالم شاول، لم يستطع أيضاً أن يسالم أبشالوم ابنه الذى طمع فى ملك داود أبيه .

ورأينا كيف أن أبشالوم كوّن له جيشاً، وتحدى أباه ، وأختار له مشيرين حتى من رجال أبيه"، ودخل إلى سرارى أبيه أمام جميع أسرائيل" (١صم١٦: ٢٢، ٢١) لكى يقطع خط الرجعة فى إمكانية أى صلح فيما بعد! ودخل فعلاً فى حرب ضد ابيه. كل ذلك من أجل شهوة الملك!!

✠ ✠ ✠

مثال آخر هو ايوب الصديق مع أصحابه الثلاثة .

لم يفعل بهم شراً، بل كانوا أصدقاءه، وفى بادئ الأمر بكوا لما رأوه فى تجربته (أى٢: ١٢). ولكنهم بعد ذلك انجرفوا فى إغاظته وفى جرح شعوره، إذ اعتقدوا أنه لابد أن يكون قد أخطأ وأن شروره كثيرة، ولذلك حلّت به التجربة (أى١١: ٦). وحاول أيوب أن يجيبهم، ولكنهم أصروا على موقفهم. حتى قال لهم "معزون متعبون كلكم" (أى١٦: ٢) "حتى متى تعذبون نفسى وتسحقوننى بالكلام؟ هذه عشر مرات أخزيتمونى" (أى١٩: ٢، ٣). ولم يستطع إطلاقاً أن يسالمهم أو يسكتهم، إلى أن تدخل الله أخيراً ووبخهم (أى٤٢) .

✠ ✠ ✠

وهناك أمثلة كثيرة لم يستطع فيها البار أن يسالم الأشرار .

مثال ذلك نابوت اليزرعيلى الذى لم يستطع أن يسالم آخاب الملك الذى أراد أن يغتصب منه كرمه. وانتهى الأمر بأن تعاون آخاب مع ايزابل زوجته بتلفيق تهمة ضد نابوت، ورجموه فمات (١مل٢١) .

ويوسف الصديق – فى بدء حياته – لم يستطع أن يسالم أخوته الذين حسدوه ، وألقوه فى بئر ، وباعوه للأسماعيليين (تك٣٧) .

وأيضاً لم يستطع أن يسالم زوجة سيده فوطيفار ، بل هرب من شرّها إذ اشتهته وطلبت منه الخطية (تك٣٩: ٧- ١٢) .

✠ ✠ ✠

بل أن داود النبى يقول عبارة عجيبة فى عدم المسالمة وهى :

"أكثر من شعر رأسى الذين أبغضونى بلا سبب" (مز٦٩: ٤) .

وقد استعار السيد المسيح عبارة "أبغضونى بلا سبب" (يو١٥: ٢٥) والمقصود بلا سبب منى. ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى فى قلوب المبغضين: منها الغيرة والحسد، ومنها الطمع ، ومنها الحقد.. إلخ .

✠ ✠ ✠

هنا ونتذكر كلمتين هامتين فى وصية الرسول :

وهما : (إن كان ممكناً)، و(حسب طاقتكم) .

ويفهم من هاتين الكلمتين أنه فى بعض الأوقات تكون مسالمة بعض الناس ليست ممكنة، أو تكون فوق الطاقة!!

فماذا يفعل إنسان لكى يسالم شخصاً يحسده على بره، أو على حكمته، أو على محبة الناس له، أو على موهبة منحه الله إياها..؟! هل يمكنه أن يفقد كل هذا، لكى يسالم حاسده؟! وليس هذا ممكناً!!

هل كان ممكناً ليوسف الصديق أن يسالم امرأة فوطيفار ، بأن يخطئ معها؟! لذلك صدق الرسول حينما قال "إن كان ممكناً": ...

✠ ✠ ✠

هناك سبب آخر وهو المحافظة على الإيمان والعقيدة .

وبه لم يكن ممكناً للآباء أن يسالموا الهراطقة والمبتدعين .

القديس يوحنا الرسول الإنجيلى الذى تحدث فى عمق شديد عن المحبة حتى قال "الله محبة. من يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه" (١يو٤: ١٦).. نراه بالنسبة إلى الهراطقة يقول "إن كان أحد يأتيكم، ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام. ومن يسلم عليه، يشترك فى أعماله الشريرة" (٢يو١٠: ١١) .

✠ ✠ ✠

والقديس بولس الرسول الذى تكلم كلاماً عجيباً عن المحبة فى (١كو١٣). وقال إنها أعظم من الإيمان والرجاء (١كو١٣: ١٣). بل قال "لو كان لى كل الإيمان حتى أنقل

الجبال، وليس لى محبة، فلست شيئاً" (١كو١٣: ٢).. بولس الذى يتكلم عن المحبة هكذا، حينما يتعرض للحديث عن العقيدة يقول "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما" (غل١: ٨) أى فليكن محروماً. ويكرر الحكم مرة أخرى (غل١: ٩) .

✠ ✠ ✠

لهذا فإن القديسين أبطال الإيمان ، ما كان ممكناً لهم أبداً أن يسالموا الهراطقة أو المبتدعين .

بل الكنيسة كلها أجتمعت فى مجامع مسكونية لتحرم كل أولئك .

وكمثال بارز وقوى، القديس أثناسيوس الرسولى الذى وقف بكل قوة ضد الهرطقة الأريوسية. وألف كتابه Contra Arianos (ضد الأريوسيين) مدافعاً عن الإيمان السليم. وفى سبيل ذلك تحمّل النفى أربع مرات بعيداً عن شعبه وكرسيه.. حتى قيل له "العالم كله ضدك يا أثناسيوس" فأجاب بعبارته المشهورة "وأنا ضد العالم" وأصبح هذا لقبه Athanasius Contra Mondum أى ضد العالم .

✠ ✠ ✠

ومثل أثناسيوس ، كان كذلك القديس كيرلس الكبير .

الذى وقف ضد نسطور بطريرك القسطنطينية . وضد هرطقات نسطور وكتب رسائل لنسطور يشرح فيها ويفسر وينصح. فلم يقبلها نسطور. فوضع البابا كيرلس حرومه الإثنى عشر 12 Anathemas. وجاهد جهاداً عنيفاً فى سبيل ذلك، واستطاع فى رئاسته لمجمع أفسس المسكونى سنة ٤٣١م أن يحكم على نسطور ، فخلع من رتبته ونُفى عن كرسيه .

أكان ممكناً للقديس كيرلس أن يسالم نسطور؟! كلا. لم يكن فى طاقته أن يفعل ذلك. وبنفس الوضع نتكلم عن القديس ديسقورس، والقديس ساويرس الأنطاكى، وغير كل أولئك من أبطال الإيمان فى وقوفهم ضد الأخطاء الإيمانية فى زمنهم...

✠ ✠ ✠

وبنفس الوضع نتكلم عن الهرطقات الحديثة فى أيامنا .

مثل شهود يهوه ، والسبتيين ، والمورمون فى أمريكا، وغيرهم ممن يتخذون العلم مجالاً ضد الدين ويحاولون أن يزيغوا أولاد الله عن عقيدتهم. هل يمكن مسالمة هؤلاء على حساب الإيمان؟! كلا طبعاً ...

وأيضاً الألحاد المعاصر مثل الشيوعية، والماركسية الملحدة، ومثلهما الوجودية، والذين يعملون في النقد الكتابي ضد الكتاب .

فالرسول حينما يقول "إن كان ممكناً.. سالموا جميع الناس" ، إنما يقصد أن ذلك ليس ممكناً ، وليس في طاقة أحد .

✠ ✠ ✠

القديس بولس الرسول نفسه ، حارب حركة التهود التي قامت في أيامه لإدخال الطقوس اليهودية في الإيمان المسيحي .

لم يسالم أولئك إطلاقاً . بل قال بكل صراحة "لا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التي هي ظل الأمور العتيدة" (كو٢: ١٦، ١٧) .

كذلك كان له موقفه الحازم من جهة العلاقة بين الناموس والنعمة، مما ذكره في رسالتيه إلى رومه وإلى غلاطية ...

✠ ✠ ✠

أمر آخر لا يمكن المسالمة فيه، وهو الروحيات والأخلاق .

وكان موقف الكتاب حاسماً وحازماً في ذلك إذ يقول إن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة (١كو١٥: ٣٣). ويقول أيضاً "اعزلوا الخبيث من وسطكم" (١كو٥: ١٣). وأيضاً "لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا" (١كو٥: ١١). وكانت الكنيسة الأولى تحكم بفرز أولئك من جماعة المؤمنين. والمزمور الأول يأمر الرجل البار بأنه "لا يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لا يقف، وفي مجلس المستهزئين لا يجلس". هل يصادق أولئك بحجة المسالمة؟! كلا، بلا شك.

أخيراً ما هي الحدود الممكنة للمسالمة كما دعا إليها الرب في العظة على الجبل؟ وما الوسائل الروحية لمسالمة الناس ؟

... سالموا جميع الناس إن جاع عدوك فاطعمه، وإن عطش فأسقه

(رو ١٢: ١٨، ٢٠)

نحن قد لا نستطيع أن نعيش فى سلام مع جميع الناس، إذا ما اصطدم هذا السلام بضمائرنا وعقائدنا وروحياتنا واخلاقياتنا . وأيضاً إذا ما كان عدم السلام صادراً منهم وليس منا . وفى نفس الوقت الذى يقاوموننا فيه، نحتفظ نحن بسلامنا الداخلى .

ولكن يمكننا أن نحيا فى سلام مع جميع الناس ، وسط المتاعب التى تصيبنا شخصياً، وليس عقيدياً وضميرياً .

✠ ✠ ✠

وفى هذا النطاق قدم لنا الرب الوصايا الآتية :

★من لطمك على خدك الأيمن ، فحوّل له الآخر أيضاً .

★من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضاً .

★من سخرك ميلاً واحداً، فاذهب معه إثنين (مت٥: ٣٩- ٤١) .

إذن فى الأمور المادية ، والتى ليس فيها خطية ، سالم الجميع .

إن ضميرك لن يتعبك إن حوّلت الخد الآخر، ولا يمس عقيدتك أن تترك لمن يخاصمك الثوب والرداء . ولن تخرج عن مثلك العليا، إن ذهبت مع من يسخرك ميلاً آخر .

✠ ✠ ✠

حدث أن السيد المسيح طلبوا منه أن يدفع الجزية (الدرهمين) . فسأل : ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أوالجزية؟ أمن بنيهم أم من الأجانب؟ فلما قيل له من الأجانب، قال: إذن فالبنون أحرار. ولكن لئلا نعثرهم (قال لبطرس)، اذهب إلى البحر وإلق سنارة.

والسمكة التى تطلع أولاً ، خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً . فخذه واعطهم عنى وعنك" (مت١٧: ٢٥- ٢٧) .

وهكذا قبِل الظلم فى الأمور المادية ، ولم يحدث إشكالاً ...

✠ ✠ ✠

إذن هناك أمور ، يمكن للإنسان أن يمررها فى هدوء ، دون أن يفقد السلام بينه وبين الناس . ولا يعطى لها خطورة .

فى هذه الأمور البسيطة التى لا تتعب الضمير ، يقول السيد الرب "لا تقاوموا الشر" (مت٥: ٣٩) أى لا تدخل فى صراع مع الأشرار . كما يقول الرسول "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١) .

✠ ✠ ✠

هنا ونتعرض للوصية التى تقول "إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رو١٢: ١٨) ، فنسأل :

كيف نتعامل فى سلام ، مع الذين يعاملوننا فى غير سلام ؟!

أو كيف نسالم الذى يتعبوننا ، ويعادوننا ، ويقاوموننا ؟

هناك بلاشك بعض مبادئ روحية وأساليب معاملات ، إن إتبعناها يمكننا أن نعيش فى سلام مع الكل . ونذكر من بينها .

✠ ✠ ✠

الوداعة والاتضاع :

إن الإنسان الوديع الذى يصفه الكتاب بأنه "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت١٢: ١٩، ٢٠) .. هذا يمكنه أن يسالم كل أحد .

الإنسان الوديع ، الهادئ الطيب القلب ، الدمث الخلق، الرقيق اللطيف ، المبتسم البشوش .. لاشك أنه يستطيع أن يسالم جميع الناس .

وهكذا أيضاً يستطيع مسالمة الكل، الإنسان المتواضع الذى باستمرار يأتى بالملامة على نفسه. الذى – فى تواضعه – لا يغضب من أحد ، ولا يُغضب أحداً، كما وصفه القديس دوروثيئوس .. بعكس ذلك الشخص العصبى الثائر .

✠ ✠ ✠

لذلك إن أردت أن تسالم الكل ، لا تكن عصبياً .

حاول فى كل حين أن تهدئ أعصابك . ولا تكن سهل الإستثارة . وإن حاول أحد أن يثيرك ، لا تستسلم إلى الضعف وتثار . فإن الكتاب يقول "يجب علينا نحنا الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء ، ولا نرضى أنفسنا" (رو١٥: ١) .

فإنك إن غضبت على من يسئ إليك ، تكون ضعيفاً لم تحتمل . وإن ثرت عليه ، تصبح ضعيفاً لم تقدر على ضبط نفسك .

وإن قابلت الإساءة بمثلها ، فإنك تخسر من أساء إليك .

✠ ✠ ✠

فلا يكن من طبعك الإنتقام ، إن أردت أن تسالم الناس .

محال أن تسالمهم إن كنت ترد على الإهانة بإهانة ، وعلى الشتيمة بشتيمة . وفى نفس الوقت تكون قد هبطت من مستواك الروحى ، وأصبحت مثل أولئك المسيئين. وما أجمل قول الحكيم "لا تجاوب الجاهل حسب حماقته ، لئلا تعدله أنت" (أم٢٦: ٤) . تعدله أى تصبح معادلاً له، مساوياً له . وأيضاً لن تسالمه بذلك .

✠ ✠ ✠

إذن كيف تسالم من يثيرك ويغضب عليك ؟ يقول الكتاب :

"الجواب اللين يصرف الغضب" (أم١٥: ١) .

إن الإنسان الوديع ، هو الذى يقابل غضب غيره بكلام طيب هادئ. وبهذا الأسلوب يصرف غضبه عنه ويسالمه. أما إن ردّ عليه بكلام موجع، فإنه يهيّجه عليه بالأكثر، وقد يتحول الأمر إلى معركة. ولذلك فإن الحكيم حينما قال "الجواب اللين يصرف الغضب" قال بعدها مباشرة "والكلام الموجع يهيج السخط". ولذلك حسنٌ ما قاله الآباء فى هذا المجال:

"إن النار لا تطفئها النار ، بل يطفئها الماء" .

النار تزيد النار اشتعالاً . أما الماء ، فإنه يخمد لهيبها ، بليونته .

✠ ✠ ✠

لذلك إن أردت أن تسالم الناس ، لا تكن حساساً جداً حينما تقابل أخطاءهم . لا تقل : هذه الكلمة أغضبتنى ، وهذه الكلمة جرحتنى . وهذه الكلمة أهانتنى . مادام كل شئ يجرحك ، فلن تستطيع أن تحيا فى سلام مع الناس .

لا تكن كنبات الخروع الذى يهزه أى ريح ، بل كن مثل السنديانة الصلبة التى تثبت أمام الريح العاصفة ولا تهتز .

أيضاً يمكنك أن تسالم الناس ، إن أكتسبت الهدوء والإحتمال .

الهـدوء والاحتمال :

لا تقل : فلان متعب ، فلم أقدر أن أتعامل معه. نعم، أنـا معك فـى أنـه قد يكون حقاً متعباً. ولكن المهم هو: هل عندك أنت احتمال؟ لـو كـان عنـدك احتمـال، مـا استطاع هذا المتعب أن يتعبك .

لقد كان شعب إسرائيل متعباً جداً. كان "شعباً صلب الرقبـة" (خر٣٢: ٩) . ومع ذلك فإن موسى "الحليم جداً" (عد١٢: ٣)، لم يتعب منه بل احتمله . بـل أن اللـه حينمـا غضب على هذا الشعب ، وأراد أن يفنيـه بسبب عبادتـه للعجـل الذهبـى ، تشفع موسـى فـى هذا الشعب العنيد، وطلب من الله أن يغفر له (خر٣٢: ١١) . بل وصلـت شفاعة موسـى فـى أولئك المخطئين الجاحدين ، أن قال للرب "والآن: إن غفـرت خطيئتهم، وإلا فـامحنى مـن كتابك الذى كتبت" (خر٣٢: ٣٢).

وأنت يا أخى ، ربما سمح الله أن يعترض حياتك بعض المتعبين ، لكى تتدرب على فضيلة الإحتمال ، وعلى المغفرة للمسيئين .



تذكرنى هذه النقطة بقصة راهب قديس ذهب إلى أب الدير، وطلب منـه أن يسمح لـه بترك الدير والذهاب إلى دير آخر. فسأله الأب : هل أساء إليـك أحد أو أتعبك؟ فأجـاب : كلا يا أبى، فجميعهم قديسون. ولكنى أريد أن أتعلم الفضيلة. لست أجد فى هذا الدير إنساناً متعباً، فأتدرب على فضيلة الإحتمال. ولم يسىء إلىّ أحد ، فأتدرب على المغفرة للمسيئين. ولم يقم أحد بإهانتى ، فأتعلم التواضع .. فعلم الأب أنه راهب عمّـال! أى عمّـال فـى حقل الفضيلة ، فصرفه بسلام .



نقطة هامة أخرى ، تستطيع أن تسالم بها الناس ، وهى الحكمة .

الحـكمة :

الإنسان الحكيم ، يتصرف برزانة ، ولا يخسر الناس . فالكتاب يقول :

"رابح النفوس حكيم" (أم١١: ٣٠) .

والنفوس لا نستطيع أن تربحها بالمنازعة والعداوة ، إنما بالمسالمة .

الحكيم يعرف ما هو المفتاح الذى يمكنه به أن يدخل إلى قلب كل أحد . وهكذا يعامل كل إنسان بما يناسبه، حسب دراسته لطبعه وصفاته . وهكذا ليس فقط يسالم الناس، بل بالأكثر يكسب محبتهم. وكما قال بولس الرسول : "فإنى إذ كنت حراً من الجميع، استعبدت نفسى للجميع لأربح الكثيرين" "صرت للضعفاء كضعيف، لأربح الضعفاء" "صرت للكل كل شئ، لأخلّص على كل حال قوماً" (١كو٩: ١٩، ٢٣) .

✠ ✠ ✠

إذن لكى تسالم الناس ، ادرس شخصياتهم وعاملهم بما يناسبهم .

ولذلك تصرّف فى تؤدة وهدوء . وبحكمة لا تتسرع فى مجابهة الأمور ، بل عامل الغير بطول أناة ، وسعة صدر ، ورحابة قلب . وحسب التعبير لتكن لك صفة إنسان (بحبوح). وتذكر ما قيل عن سليمان الحكيم "وأعطى الله سليمان حكمة، وفهماً كثيراً جداً، ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر" (١مل٤: ٢٩) . وحسن أنه ربط الحكمة والفهم برحابة القلب .

✠ ✠ ✠

ليكن لك التأنى والهدوء ، فى التعامل مع مشاكل الناس .

لا تسرع فى التصرف والمواجهة ، فالسرعة قد يصحبها تعب الأعصاب . أما الأعصاب الهادئة ، فتنتظر إلى أن يهدأ الجو. وتعطى المشاكل مدى زمنياً تنحل فيه. وربما يتغير الناس ويعاودون التفكير فى أسلوبهم. وربما يخجلهم صبرك عليهم وطول أناتك فى احتمال أخطائهم .

✠ ✠ ✠

تأكد أن ما يتعبك ، ليس هو أخطاء الناس . بل أعصابك وتفكيرك .

فإن استطعت أن تهدئ أعصابك ، ولا ترهق تفكيرك بالحكم على تصرفاتهم ، حينئذ سيمكنك أن تسالمهم ، ولو بالبعد عن مجالهم المتعب . وهنا أحب أن أذكرك بعبارة للقديس يوحنا ذهبى الفم ، قال فيها :

"لا يستطيع أحد أن يؤذى إنساناً ، ما لم يؤذِ هذا الإنسان نفسه" .

فأنت تؤذى نفسك إن تركت أفكارك تتعبك . وأيضاً سوف تؤذى نفسك ، إن سلكت فى أسلوب عدم مسالمة الناس .

هناك أسلوب آخر يستطيع به البعض مسالمة الناس ، وهو روح المرح .

روح المرح :

قد تخسر الناس ، بوجهك العابس المتجهم ، وبجديتك الزائدة ومقابلة كل أمر بحزم شديدا إنما بالبشاشة واللطف يمكنك أن تكسب الناس فى أصعب المواقف.

إنسان مثلاً يعاملك بطريقة متعبة، فتبتسم فى وجهه وترد عليه بلطف ، أو بفكاهة تضحكه ، فيشاركك المرح ، وتكسبه .

طبعاً ليس الجميع يمكنهم أن يتقنوا أسلوب المرح هذا ...

إنما على الأقل أنصحهم بالبشاشة واللطف .

والوجه البشوش محبوب من الناس ، ويمكنه أن يكسبهم . كذلك باللطف فى المعاملة تستطيع أن تعيش فى سلام مع غيرك .

✠ ✠ ✠

وقد نصحنا الكتاب باللطف فقال "كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين، كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح" (أف٤: ٣٢) .

وهذه الآية تقدم لنا التسامح أيضاً كوسيلة لمسالمة الناس .

لأنه لو كنت إنساناً تحاسب غيرك على كل كلمة وكل تصرف، ولا تسامح على أى خطأ، فلن يمكنك أن تسالم الناس. وكما قال الشاعر :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلقَ الذى لا تعاتبه

فعِش واحداً أو صِلْ أخاك فإنه ... مقارف ذنباً مرة وجانبه

إن الإنسان الذى يعامل غيره بلطف يستطيع أن يمرّر له الكثير من الهفوات والزلات. وحتى إن عاتبه على بعضها ، إنما يعاتبه بلطف . ولا ننسى أن اللطف ذكره الكتاب ضمن ثمر الروح (غل٥: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

إن جاع عدوك :

ومع كل هذا إن أصرّ أحد على معاداتك ، يقول لك الرسول

إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه (رو١٢: ٢٠) .

هنا تسلك بأنسانية ونبل . وقد أمرنا الرب بمحبة الأعداء ، والإحسان إلى المسيئين (مت٥: ٤٤). وضرب لنا مثل السامرى الصالح ، الذى أحسن إلى يهودى جريح ملقى

على الطريق ، واعتنى به كل الإعتناء حتى شفى (لو١٠: ٣٠- ٣٥). بينما المعروف أن "اليهود كانوا لا يعاملون السامريين" (يو٤: ٩) . فلتسلك إذن كالسامرى الصالح . وإن جاع عدوك فاطعمه ...

✠ ✠ ✠

"لأنك إن فعلت هذا ، تجمع جمر نار على رأسه" (رو١٢: ٢٠) .

أى أنك تخجله بنبلك ، أكثر مما تنتصر عليه بنبالك . وذلك لأن المحبة لا تسقط أبداً (١كو١٣: ٨). ولها تأثيرها فى النفوس . فكأنك بعمل المحبة قد جمعت جمر نار على رأس من يعاديك . وقد قال القديس يوحنا ذهبى الفم :

هناك طريقة تستطيع بها أن تتخلص من عدوك .

وهى أن تحوّل هذا العدو إلى صديق ...

وكيف تحوّله إلى صديق ؟ بمسالمته والإحسان إليه .

ولا تجعل شرّه يغلبنك . بل أغلب الشر الذى فيه ، بالخير الذى فيك (رو١٢: ٢١) .

فهرست

صفحة

في هذا الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد آمين

فى هذا الكتاب تقرأ :

أكثر من ثلاثين عظة :

الجسد ، وتقديمه ذبيحة ..

لا تشاكلوا هذا الدهر .

ما قسمه الله لكل واحد

الإيمان .. المواهب ..

الخدمة.. الوعظ.. التعليم..

المحبة التى بلا رياء .

تقديم الغير فى الكرامة

الحرارة فى الروح.الاجتهاد

العبادة .. الصلاة كل حين

إضافة الغرباء

باركوا ولا تلعنوا

صابرين فى الضيق

فرح وبكاء مع الناس

الحكماء عند أنفسهم

لا يغلبنك الشر

المسالمة إلى أى حد؟

إنه منهج روحى متكامل .

البابا شنوده الثالث

